جامعة النَّجاح الوطنيَّة
كلّية الدِّراسات العليا

خصائص العقيدة الإسلامية وآثارها من خلال تفسير الظلال لسيد قطب

إعداد
فراس فريد أبو بكر

إشراف
د. عودة عبد الله

قدِّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلَّبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلّية الدِّراسات العليا في جامعة النَّجاح الوطنيّة في نابلس، فلسطين.

2017م

خصائص العقيدة الإسلامية وآثارها من خلال تفسير الظلال لسيد قطب

إعداد

فراس فريد أبو بكر

نُوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: / / 2017 وأُجيزت:

أعضاء لجنة المناقشة	**التواقيع**
- د. عودة عبد الله / مشرفاً ورئيساً	.....
- د. حازم حسني زيود / ممتحناً خارجياً	.....
- د. منتصر أسمر / ممتحناً داخلياً	.....

الإهداء

إلى الهادي البشير والسراج المنير المبعوث رحمةً للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى الشهيد الحي سيد قطب رحمه الله.

إلى العاملين لظهور الدين ورفعة الأمة.

إلى أمي الفاضلة وأبي العزيز حفظهما الله تعالى.

إلى زوجتي الكريمة وأبنائي الأعزاء.

إلى كل من علمني حرفاً ازددت به من الله قرباً.

إلى من أشرف على هذه الرسالة.

إلى جميع المسلمين.

أهدي هذا العمل المتواضع.

شكر وتقدير

الحمد لله حتى يرضى، والحمد لله إذا رضي، والحمد لله بعد الرضى، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، على ما تفضلت به عليَّ وأنعمت.

وبعد:

أسمى آيات الشكر والعرفان أرفعها خالصةً لفضيلة الدكتور عودة عبد الله، الذي سعدت بإشرافه على هذه الرسالة، فما وجدت منه إلا النصح والتقويم كما ينبغي، فجزاك الله خيراً، وزادك علماً وتقوى، وحفظك وأهلك من كل سوء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى فضيلة الدكتور منتصر اسمر، وفضيلة الدكتور حازم حسني زيود؛ لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الأطروحة، فجزاهما الله جير الجزاء.

والشكر الجميل موصول كذلك لجميع الأساتذة الأفاضل ممن تشرفت بتلقي العلم على أيديهم بكلية الشريعة في جامعة النجاح، أو لم أنل شرف معرفتهم، جزاكم الله عنا جميعاً أفضل ما جزى به العاملين.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان

خصائص العقيدة الإسلامية وآثارها من خلال تفسير الظلال لسيد قطب

أقر بأن ما شملت عليه الرسالة هو نتاج جهدي الخاص, باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد, وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة علمية أو بحثية

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degrees or qualifications.

Student's Name: **اسم الطالب:**

Signature **التوقيع:**

Date **التاريخ:**

فهرس المحتويات

الإهداء ..... **ج**

شكر وتقدير ..... **د**

الإقرار ..... **هـ**

فهرس المحتويات ..... **و**

الملخّص ..... **ط**

مقدمة 1

الدراسات السابقة: 1

ما امتازت به هذه الدراسة: 2

أهمية الدراسة: 2

مشكلة الدراسة: 3

منهجية الدراسة: 3

أهداف الدراسة: 4

أسباب اختيار الموضوع: 4

خطة الدراسة: 4

الفصل الأول: تعريف بسيد قطب **7**

المبحث الأول 8

اسمه ونشأته 8

المبحث الثاني 9

تعليم سيد قطب وعمله 9

المبحث الثالث 11

حياة سيد قطب الإسلامية والسياسية 11

المطلب الأول: حياة سيد قطب بشكل عام 11

المطلب الثاني: حياة سيد قطب الإسلامية 11

المطلب الثالث: حياة سيد قطب السياسية 12

المبحث الرابع 14

استشهاد سيد قطب وبعض مؤلفاته 14

الفصل الثاني: معنى العقيدة وأهميتها وقواعد فهمها عند سيد قطب **17**

المبحث الأول 18

معنى العقيدة عند سيد قطب 18

المبحث الثاني 20

أهمية العقيدة عند سيد قطب 20
المبحث الثالث 26
توضيح سيد قطب لأهمية العقيدة الإسلامية من خلال بيان العقائد الجاهلية 26
المبحث الرابع 31
قواعد فهم العقيدة عند سيد قطب 31
المطلب الأول: العقيدة لا تقبل الظن 31
المطلب الثاني: العقيدة تقوم على الدليل وليس التقليد 34
المطلب الثالث: القرآن هو مصدر العقيدة وليس الفلسفة وعلم الكلام 35
المطلب الرابع: إبراز دور العقيدة في بناء الأمة 39
المطلب الخامس: تحديد دور العقل في فهم العقيدة 40
الفصل الثالث: خصائص العقيدة الإسلامية من خلال " في ظلال القرآن" 43
المبحث الأول 43
الربانية 43
المبحث الثاني 46
الثبات 46
المبحث الثالث 50
الشمول والكمال 50
المبحث الرابع 52
إقناع العقل وموافقة الفطرة 52
المبحث الخامس 55
السهولة واليسر 55
المبحث السادس 59
حاكمة على العقائد 59
المبحث السابع 62
الإيجابية 62
المبحث الثامن 66
عقيدة ينبثق عنها نظام 66
الفصل الرابع: آثار العقيدة على الفرد كما يصورها سيد قطب 71
المبحث الأول 71
دقة التصور 71
المطلب الأول: دقة التصور لحقيقة الإنسان 72
المطلب الثاني: دقة التصور لحقيقة الكون 74
المطلب الثالث: دقة التصور لحقيقة الحياة 76
المبحث الثاني 78

الطاعة والتسليم.....78
المبحث الثالث 82
الطمأنينة.....82
المبحث الرابع 89
تكريم الإنسان.....89
المبحث الخامس.....96
تحرير الإنسان.....96
المبحث السادس 100
قوّة الإرادة 100
المبحث السابع.....105
رفع الاهتمامات 105
الفصل الخامس: أثر العقيدة الإسلامية على المجتمع كما يصورها سيد قطب..... 111
المبحث الأول.....111
تشكيل وصياغة شخصية الأمة 111
المبحث الثاني.....119
إقرار مبدأ الحاكمية.....119
المبحث الثالث 128
تقوية الروابط داخل المجتمع 128
المبحث الرابع 132
حماية المجتمع من الزلل والانحراف 132
الخاتمة:.....137
فهرس الآيات 139
فهرس الأحاديث 141
المصادر والمراجع..... 142
Abstract..... B

خصائص العقيدة الإسلامية وآثارها من خلال تفسير الظلال لسيد قطب

إعداد

فراس فريد أبو بكر

إشراف

د. عودة عبد الله

الملخّص

جاءت هذه الرسالة لإبراز خصائص العقيدة وأثرها على الفرد والمجتمع من خلال تفسير (في ظلال القرآن)، مع بيان جهود سيد قطب– رحمه الله– في هذا الباب، وقد جعلتها في خمسة فصول في كل فصل عدة مباحث.

شرعت في الفصل الأول بذكر مختصر لحياة سيد قطب، فتحدثت عن اسمه ونشأته، وبعض معالم أسرته وأخوته، ثم تابعت مراحل تعليم سيد قطب في قريته إلى أن تخرج من كلية (دار العلوم) بالقاهرة، وذكرت عمله في وزارة المعارف المصرية، وبينت مراحل حياته العامة وحياته الإسلامية والسياسية، وأنهيت الفصل بذكر استشهاده وبعض جهوده العلمية التي تمثلت في كتبه الأدبية والإسلامية.

ويتلخص الفصل الثاني في شرح معنى العقيدة لغةً واصطلاحاً ومعناها في (الظلال)، ووقفت على أهمية العقيدة الإسلامية كما يصورها سيد قطب، كما توصلت من خلال الاستقراء لما كتبه سيد في تفسيره إلى القواعد التي وضعها لفهم العقيدة الإسلامية.

وجعلت الفصل الثالث كله لبيان خصائص العقيدة الإسلامية من خلال (في ظلال القرآن)، وهي ثمانية خصائص: الربانية، والثبات، وإقناع العقل وموافقة الفطرة، والشمول والكمال، والسهولة واليسر، وأنها حاكمة على العقائد، والإيجابية، وأنها عقيدة ينبثق عنها نظام.

وخصصت الفصل الرابع للحديث عن أثر العقيدة على الفرد المؤمن كما يصورها سيد قطب، فتكلمت فيه عن دقة التصور للكون والإنسان والحياة كأثر أول للعقيدة، والطاعة والتسليم، وعن الطمأنينة النفسية كزاد ضروري لقطع مشوار الحياة، وعن كرامة الإنسان وحريته، والقوة التي يمنحها الإيمان للفرد، وأخيراً تناولت أثر الإيمان في رفع اهتمامات الإنسان.

وفي الفصل الخامس والأخير تناولت أثر العقيدة على المجتمع المسلم، فبينتُ من خلاله وجهة نظر سيد قطب في أن المجتمع الإسلامي هو وليد الحركة بالعقيدة، وجميع الموازين والقيم والأفكار والأنظمة التي تسود المجتمع ما هي إلا أثر من آثار العقيدة، ووقفت في هذا الفصل على الحاكمية كما يراها سيد قطب، وجعلت مبحثاً تحدثت فيه عن رابطة العقيدة في المجتمع المسلم، وختمته ببيان أثر العقيدة في حماية المجتمع من الزلل والانحراف.

ودونت في الخاتمة أهم النتائج والتوصيات.

مقدمة

العقيدة الإسلامية لم تنشئها ضرورة واقعية ولا دعوة أرضية ولا صراعات فلسفية، إنما هي عقيدة ربانية مصدرها خالق الكون والإنسان والحياة، تقنع العقل وتطمئن الفطرة، أعادت للإنسان إنسانيته وللبشرية آدميتها بعد انتكاستها إلى عالم البهيمية.

هذه العقيدة هي التي صقلت الشخصية الإسلامية الأولى، وأعطت للأمة المسلمة شخصيتها المتميزة، وأخرجتها من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام وعدله، وهيأت للأمة ذلك الحضور القويّ بين أمم الأرض بعد أن لم يكن لها أدنى وجود، وجعلتهم أسياداً بعد أن كانوا خدماً للإمبراطوريات من حولهم.

وبعد قرون من العزة والسؤدد، تنتكس الأمة من جديد، بعد أن خَبَتْ جذوة العقيدة في حياتها، واستبدلت بمحركات أرضية زادت في تسارع انحطاطها، لتعود ومعها البشرية كما بدأت تتردى في ظلمات الجهل والظلم، ولتصبح أوطان المسلمين مرتعاً للكافرين.

إن فقه خصائص العقيدة الإسلامية، وإدراك آثارها في حياة الفرد والتجمع الإنساني، حريٌّ أن يحتل حيزاً كبيراً في أبحاث الدارسين، لأن العقيدة هي الأساس التي إن صلُحت صلح ما بني عليه وما انبثق منه، فهي بلا ريب مصنع الرجال ومحرك الجماعات وبانية المجتمع الفاضل.

فكانت هذه الدراسة المتواضعة، التي تحاول جمع شتات البحث من تفسير رجل عاش في ظلال عقيدته وقضى من أجلها عزيزاً شهيداً، هو سيد قطب وتفسيره (في ظلال القرآن)، سائلاً المولى جل وعلا أن يوفقني فيما أردت، وأن يجعل في هذه الرسالة خيراً كثيراً.

الدراسات السابقة:

أُجريت العديد من الدراسات على تفسير في ظلال القرآن، وتنوعت مجالات هذه الدراسات، إلا أنني لم أظفر بدراسة مستقلة عُنيت بموضوع خصائص العقيدة وآثارها، مع غنى تفسير (في ظلال القرآن) في هذا المجال. أما أهم الدراسات التي يمكن الإفادة منها في هذا المجال فهي:

1. في ظلال القرآن "دراسة وتقويم"، للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير، عام 1984م، جامعة محمد بن سعود، الرياض.

قسم رسالته إلى أربعة أبواب: مدخل إلى الظلال، ومنهج سيد قطب في التفسير، وطريقة سيد قطب في التفسير، والظلال في الميزان.

2. منهج سيد قطب في ظلال القرآن، للدكتورة أسماء بنت عمر حسن فدعق، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في التفسير، عام 1999م، جامعة أم القرى بمكة.

قسمت الرسالة على بابين بعد التمهيد، الباب الأول: عصر الشهيد وحياته. والباب الثاني: جعلته خمسة فصول: الاهتمام بالمأثور، والوحدة الموضوعية، والتصوير الفني ودلالاته، والعبر المستفادة من آيات القصص، والاهتمام بالإصلاح الاجتماعي.

3. منهج سيد قطب في العقيدة، ماجد شبالة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة صنعاء قسم الدراسات الإسلامية، صنعاء، عام 2009م، وهي رسالة في فكر سيد قطب وليست محصورة في الظلال، قسمها الباحث إلى أربعة أبواب: عصره وحياته، ومنهجه في تقرير مسائل الإيمان والعقيدة، ومنهجه في التوحيد، ومنهجه في النبوات والمعاد، ولم يتطرق إلى خصائص وآثار العقيدة.

4. عقيدة الشهيد سيد قطب المفترى عليها، لولاء حامد، ردت فيه على الشبهات المثارة ضد سيد قطب في تفسير كلمة التوحيد، وصفات الله عز وجل، وحجية أخبار الآحاد في الاعتقاد، وتكفير المجتمع ووحدة الوجود. وانتهت أن التشكيك في عقيدة سيد وفكره ليس موجهاً إلى شخصه ولكن إلى منهجه في مقارعة حكام الجور وأئمة الظلم. وفي ردها اعتمدت ما كتبه الشهيد في الظلال وغيره. ولم تتناول في كتابها خصائص وآثار العقيدة.

ما امتازت به هذه الدراسة:

تميزت هذه الرسالة بأنها دراسة علمية شاملة في بابها تجمع بين خصائص العقيدة الإسلامية وآثارها في النفس الإنسانية والمجتمع بشكل مفصل ومستقل.

أهمية الدراسة:

1. جاءت لخدمة العقيدة الإسلامية التي هي أساس الدين ومنها تتفرع التصورات والأخلاق والعبادات والأحكام.

2. اعتماد الدراسة على تفسير سيد قطب (في ظلال القرآن) بعيداً عن علم الكلام والمنطق والفلسفة.
3. جمع شتات البحث في دراسة واحدة.
4. حاجة المكتبة الإسلامية إلى مثل هذه الأبحاث التي من شأنها أن تساعد على بناء عقيدة حية.

مشكلة الدراسة:

تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. ما هي خصائص العقيدة التي ركز عليها سيد قطب –رحمه الله– والتي يجب أن تُراعى في غرس مفاهيم العقيدة؟
2. ما هي أثار العقيدة على الفرد كما يراها سيد قطب؟
3. كيف تؤثر العقيدة في المجتمع من وجهة نظر سيد قطب؟

منهجية الدراسة:

اتبعتُ في هذه الدراسة المنهجين الاستقرائي والتحليلي، من خلال الوقوف على ما كتبه سيد قطب في تفسيره عن موضوع العقيدة، ودراسة المادة دراسة تحليلية. وقد اتبعت في ذلك الطريقة التالية:

1. قراءة تفسير (الظلال) كاملاً، وحددت المواضع التي تحدث فيها سيد عن العقيدة.
2. قراءة عميقه لكل هذه المواضع.
3. عمل فهارس تجمع المواد ذات الصلة بالموضوع الواحد.
4. تحليل ما جاء في هذه المواضع ثم تقسيمها إلى فصول ومباحث.
5. وضع علامات الترقيم والتشكيل والتصنيف على ما يقتضيه البحث العلمي.
6. التوثيق العلمي.

أهداف الدراسة:

1. لفت الأنظار إلى منهجية تكوين العقيدة من خلال (في ظلال القرآن)، وجعلها حيّة مؤثرة في التصور والسلوك.
2. بيان خصائص العقيدة الإسلامية التي أبرزها سيد قطب في تفسيره.
3. بيان آثار العقيدة الإسلامية الفريدة التي تكسبها للمؤمن وللمجتمع الإسلامي وفق رؤية سيد قطب.

أسباب اختيار الموضوع:

1. ملاحظة ضعف تأثير العقيدة في أخلاق المسلمين ومعاملاتهم.
2. توفر مباحث العقيدة في (الظلال) التي من شأنها أن تجعل العقيدة مؤثرة.
3. عدم وجود دراسة مستقلة في هذا الموضوع.
4. محاولة في تقديم شيء يسير في باب الدعوة إلى الله تعالى.

خطة الدراسة:

تضمنت خطة الرسالة بعد المقدمة، خمسة فصول، وذلك على النحو الآتي:

الفصل الأول: تعريف بسيد قطب

المبحث الأول: اسمه ونشأته

المبحث الثاني: تعليم سيد قطب وعمله

المبحث الثالث: حياة سيد قطب الإسلامية والسياسية

المبحث الرابع: استشهاد سيد قطب وبعض مؤلفاته

الفصل الثاني: معنى العقيدة وأهميتها وقواعد فهمها عند سيد قطب

المبحث الأول: معنى العقيدة عند سيد قطب

المبحث الثاني: أهمية العقيدة عند سيد قطب

المبحث الثالث: توضيح سيد قطب لأهمية العقيدة الإسلامية من خلال بيان العقائد الجاهلية

المبحث الرابع: قواعد فهم العقيدة عند سيد قطب

الفصل الثالث: خصائص العقيدة عند سيد قطب

المبحث الأول: الربانية

المبحث الثاني: الثبات

المبحث الثالث: إقناع العقل وموافقة الفطرة

المبحث الرابع: الشمول والكمال.

المبحث الخامس: السهولة واليسر

المبحث السادس: حاكمة على العقائد.

المبحث السابع: الإيجابية

المبحث الثامن: عقيدة ينبثق عنها نظام

الفصل الرابع: آثار العقيدة على الفرد كما يصورها سيد قطب

المبحث الأول: دقة التصور

المبحث الثاني: الطاعة والتسليم

المبحث الثالث: الطمأنينة

المبحث الرابع: تكريم الإنسان

المبحث الخامس: تحرير الإنسان

المبحث السادس: قوة الإرادة

المبحث السابع: رفع الاهتمامات

الفصل الخامس: آثار العقيدة في المجتمع كما يصورها سيد قطب

المبحث الأول: تشكيل وصياغة شخصية الأمه الإسلامية.

المبحث الثاني: إقرار مبدأ الحاكمية

المبحث الثالث: تقوية الروابط داخل المجتمع

المبحث الرابع: حماية المجتمع من الزلل والانحراف

الخاتمة وفيها أبرز النتائج والتوصيات

الفصل الأول

تعريف بسيد قطب

المبحث الأول: اسمه ونشأته

المبحث الثاني: تعليم سيد قطب وعمله

المبحث الثالث: حياة سيد قطب الإسلامية والسياسية

المبحث الرابع: استشهاد سيد قطب وبعض مؤلفاته

الفصل الأول

تعريف بسيد قطب

يتناول هذا الفصل التعريف بسيد قطب ومراحل تعليمه وعمله وحياته الإسلامية والسياسية والتعرف على بعض جهوده العلمية، ومما يجدر الإشارة إليه أنني سأختصر في الكتابة عن حياة سيد بسبب كثرة الكتب التي تناولت حياته بالشرح والتفصيل[1].

[1] – انظر: قطب، محمد علي، **سيد قطب أو ثورة الفكر الإسلامي**، العظم، يوسف، **رائد الفكر الإسلامي المعاصر الشهيد سيد قطب**، حسين، عبد الباقي محمد، **سيد قطب حياته وأدبه**، خباص، عبد الله، **سيد قطب الأديب الناقد**، حمودة، عادل، **سيد قطب من القرية إلى حبل المشنقة**، الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **سيد قطب الشهيد الحي**، الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**.

المبحث الأول

اسمه ونشأته

هو سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، ولد في إحدى قرى محافظة أسيوط في صعيد مصر تدعى (موشه)، وكانت ولادته في التاسع من تشرين أول عام ألف وتسعمائة وست ميلادية[1].

نشأ سيد قطب في أسرة مؤمنة تحرص على شعائر الإسلام، ويُعرف والده إبراهيم بالتقوى والصلاح والمحافظة على أداء واجبات الدين، ويحظى في قريته بمكانة اجتماعية مرموقة، وكذلك كانت والدة سيد قطب من أهل الصلاح والخير، ويُلاحظ من كلام سيد عن والديه أنهما كانا يحرصان على غرس قيم الإسلام وحب القرآن في أبنائهما، يحدثنا سيد عن أمنية أمه، يقول: " وحينما نشأت بين يديك، بعثت بي إلى المدرسة الأولية في القرية، وأولى أمانيك أن يفتح الله عليّ فأحفظ القرآن"[2]. وعن أبيه يقول: " لقد طبعتَ في حسي وأنا طفل صغير مخافة اليوم الآخر"[3].

ويمكن من خلال بعض الآثار أن نستنتج عظم مكانة القرآن في حياة أسرته، فقد كانت المناسبات الإسلامية جامعة للقراء في منزل العائلة، وكذلك حفلات (ختم القرآن) التي كان يحرص والده على عقدها خصوصاً في رمضان[4]، ويروي سيد أن أمه أسلمت روحها لله وهي تسمع القرآن من المذياع[5]. وهذه التربية قد أتت أكلها، فشقيق سيد الوحيد هو محمد قطب، وهو أحد طلائع ومفكري العالم الإسلامي، وله الكثير من المؤلفات والأبحاث النافعة[6]. ولسيد ثلاث شقيقات، نفيسة وأمينة وحميدة، ما من واحدة إلا وقدمت في سبيل الدعوة إلى الله جهداً لا يستهان به، فأمينة استشهد زوجها في سجون السادات، وقدمت نفيسة ولدها شهيداً، وحميدة ذاقت ويلات السجن والعذاب في محنة الإخوان عام 1965م. ومن الجدير بالذكر أن حميدة وأمينة كانت لهما اهتمامات أدبية[7].

---

[1] – انظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، الناشر: دار القلم–دمشق والدار الشامية–بيروت، ط:2، 1414هـ–1994م، (ص:15).

[2] – قطب، سيد، (ت: 1966م)، **التصوير الفني في القرآن**، الناشر: دار الشروق–القاهرة، ط:6، 1423هـ–2002م، (ص:5).

[3] – قطب، سيد، (ت: 1966)، **مشاهد القيامة في القرآن**، الناشر: دار الشروق–القاهرة، ط:6، 1423هـ–2002م، (ص: 5).

[4] – الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، (ص: 35).

[5] – انظر: قطب، **التصوير الفني في القرآن**، (ص:5).

[6] – انظر: الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، (ص: 44–49).

[7] – انظر: الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، (ص: 40–49).

المبحث الثاني

تعليم سيد قطب وعمله

في السادسة من عمره انتظم الطفل سيد في المدرسة الأولية في القرية، ولم يلحقه والده بالكُتاب، وبالرغم من أن المدرسة لم تكن تهتم بتحفيظ الطلاب القرآن الكريم، كما يفعل الكُتاب في ذلك الوقت، إلا أن سيد بدأ بحفظ القرآن في السنة الثانية الابتدائية وأتم حفظ القرآن بجيل العاشرة من عمره[1]. ويذكرُ سيد أنه في طفولته كان له تدبر بسيط للقرآن الكريم، يقول سيد: " لقد قرأت القرآن وأنا طفل صغير، لا ترقى مداركي آفاق معانيه، ولا يحيط فهمي بجليل أغراضه، لكنني كنت أجد في نفسي منه شيئاً. لقد كان خيالي الساذج الصغير، يجسم لي بعض الصور من خلال تعبير القرآن، وإنها لصورة ساذجة، ولكنها كانت تشوق نفسي وتلذ حسي، فأظل فترة غير قصيرة أتملاها، وأنا بها فرح، ولها نشط"[2].

تخرج سيد من المدرسة الابتدائية عام 1918م[3]، وفي عام 1920م سافر إلى القاهرة لإكمال دارسته، فأقام عند خاله (أحمد حسين عثمان)، وانقطع عن التعليم أكثر من سنة، وفي عام 1922م التحق بمدرسة المعلمين الأولية، وتخرج منها عام 1924م.

وقد تفوق سيد في دراسته مما أهّله للالتحاق في (تجهيزية دار العلوم)، التي تخرج منها عام 1929م. وفي العام نفسه التحق بكلية دار العلوم التي درس فيها مواضيع عدة، كالعلوم الشريعة والمنطق والفلسفة والعربية والتاريخ وغيرها من المواضيع، وتخرج منها عام 1933م.

ولسيد في فترة دراسته الجامعية نشاطات تكشف عن طبيعة شخصيته المتميزة، فقد ألقيت إليه مهام إدارة النقاشات الأدبية والعقدية في الكلية، وإلقاء محاضرات أدبية على مدرج الجامعة، وكان ينشر مقالاته وقصائده في الصحف، وقد عرف بنقده لأدباء وشعراء كبار أمثال مصطفى صادق الرفاعي،

---

[1]– المصدر السابق، (ص: 60).

[2] – قطب، **التصوير الفني في القرآن**، (ص:7).

[3] – انظر: الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، (ص: 70).

وأحمد شوقي. وكان في هذه الفترة عضواً في حزب الوفد مما أتاح له النشاط السياسي والاجتماعي، وهو أحد مؤسسي (جماعة دار العلوم) التي دافعت عن العربية وعلومها وآدابها في الكلية[1].

وفور تخرجه من الكلية عُين مدرساً في وزارة المعارف، وقد درّس في مدارس عدة في محافظات مصر، حتى انتهى به الأمر إلى حلوان، حيث اشترى هناك بيتًا واستقر بها. وفي عام 1940م، عُين موظفاً في وزارة المعارف كمحرر في مراقبة الثقافة العامة، ثم نُدب إلى الترجمة والإحصاء، ثم مفتشاً بالتعليم الابتدائي عام 1944م[2].

كان سيد صاحب نشاط سياسي وثقافي وأدبي مما أثار عليه الوزارة، فدبروا له بعثة علمية لأمريكا سنة 1948م، هدفها المعلن التخصص في (التربية وأصول المناهج)، وهي في الحقيقة إقصاء لسيد عن الوزارة وعن مصر، وعاد من هذه البعثة بعد سنتين[3]. وانتهى به المطاف في وزارة المعارف مراقباً مساعداً بالبحوث الفنية والمشروعات عام 1952م، وفي ذات العام وعلى أثر مضايقات الوزارة قدم سيد استقالته من الوزارة[4].

---

[1] – انظر: الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، (ص: 71–82).

[2] انظر: المصدر السابق، (87–85).

[3] – انظر: حسين، عبد الباقي محمد، **سيد قطب: حياته وأدبه**، الناشر: دار الوفاء–المنصورة، ط:1، 1406هـ–1988، (31–30). حموده، عادل، **سيد قطب من القرية إلى المشنقة**، الناشر: سناء للنشر، 1987م، (48). الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب**، الناشر: دار المنارة–جدة، ط:1، 1985م، (20–19).

[4] – انظر: حسين، عبد الباقي محمد، **سيد قطب: حياته وأدبه**، (43).

المبحث الثالث

حياة سيد قطب الإسلامية والسياسية

المطلب الأول: حياة سيد قطب بشكل عام

قسم سيد حياته إلى أربع مراحل كما أخبر هو بذلك في لقاء جمعه بأبي الحسن الندوي عام 1951م، وهذه المراحل تتلخص بالآتي[1]:

المرحلة الأولى: النشوء على الإسلام وتقاليده، وذلك في قريته وبين أسرته.

المرحلة الثانية: الشك والارتياب في الحقائق الدينية، وهي مرحلة دراسته في القاهرة التي أقبل فيها على الأدب والنقد والثقافة، والتلقي من الثقافة الغربية المادية. وهذه الفترة حسب تقديرات الخالدي[2] استمرت نحو خمسة عشر عاماً ما بين 1925م-1940م، خلال دراسته في الثانوية وفي كلية دار العلوم، وفي السنوات الأولى من حياته الوظيفية.

المرحلة الثالثة: الإقبال على دراسة القرآن لدواع أدبية.

المرحلة الرابعة: الانتقال إلى الإيمان واليقين متأثراً من دراسته للقرآن.

المطلب الثاني: حياة سيد قطب الإسلامية

قسم الدكتور صلاح الخالدي حياة سيد الإسلامية إلى أربع مراحل[3]:

المرحلة الأولى: وهي الفترة التي أقبل فيها سيد على القرآن بقصد التدبر الفني والتذوق الجمالي، وكان في منتصف الأربعينيات، وقد ألف في هذه المرحلة كتاب (التصوير الفني في القرآن)، وكتاب (مشاهد يوم القيامة).

---

[1] – انظر: الندوي، أبو الحسن، (ت: 1420هـ)، **مذكرات سائح في الشرق العربي**، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط:2، 1395هـ-1975م، (189)، وانظر: الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، (215-214).

[2] – انظر: الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، (ص: 215).

[3] – انظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **مدخل إلى ظلال القرآن**، الناشر: دار عمار-عمان، ط:2، 1421هـ-2000م، (31-30)، وانظر: العظم، يوسف، (ت: 2007م)، **رائد الفكر الإسلامي المعاصر الشهيد سيد قطب**، الناشر: دار القلم-بيروت، ط:1، 1400هـ-1980م، (150-149).

المرحلة الثانية: مرحلة الإسلاميات العامة، ابتدأت هذه المرحلة في نهاية الأربعينيات، وقد أقبل سيد على القرآن بقصد الدراسة الفكرية، والتوصل إلى مناهج إصلاحية، والكتاب الذي يمثل هذه المرحلة هو (العدالة الاجتماعية في الإسلام).

المرحلة الثالثة: مرحلة الإسلام المنظم، وهي المرحلة التي انتظم فيها سيد قطب في صفوف الإخوان المسلمين، حيث حمل الإسلام، عقيدة ونظاماً، فكراً وعملاً، ثقافة وجهاداً، وتقدير هذه الفترة بين عام 1950م حتى عام 1954م، أي في العام الذي زج بالإخوان المسلمين في السجون، وفي هذه المرحلة كتب سيد (معركة الإسلام والرأسمالية)، و(السلام العالمي والإسلام)، والأجزاء الأولى من (في ظلال القرآن).

المرحلة الرابعة: مرحلة الجهاد والحركة، وهي المرحلة التي خاض فيها سيد صراعاً فكرياً مع الجاهلية، وهذه الفترة امتدت ما بين دخوله السجن إلى أن استشهد سنة 1966م، وأهم كتب هذه المرحلة (في ظلال القرآن)، و (ومعالم في الطريق).

المطلب الثالث: حياة سيد قطب السياسية

ويمكن تقسيم حياة سيد السياسية إلى أربع مراحل[1]:

المرحلة الأولى: بدأ سيد حياته السياسية مع حزب الوفد الذي أسسه (سعد زغلول)، وكان السبب الرئيس في انتمائه إلى الوفد هو إقامته في بداية دراسته عند خاله (أحمد حسين عثمان) الذي كان وفدياً، وعند خاله بدأت صلة سيد بأستاذه المفضل عباس محمود العقاد الذي كان هو الآخر وفدياً، وبقي سيد منتمياً للوفد ما يزيد على سبعة عشر عاماً.

في عام 1942م وصل حزب الوفد إلى الحكم، وشكل (مصطفى النحاس) الوزارة، وكان هذا بفضل الاستعمار البريطاني الذي ألزم الملك (فاروق) بإقالة رئيس الوزراء وإجباره على إعطاء مهمة تشكيل الوزارة للنحاس. وهنا كشفت علاقات المستعمر البريطاني بحزب الوفد مما أدى إلى خسارة كبيرة في شعبية حزب الوفد، وانفض عنه الكثير من المؤيدين ومنهم سيد قطب.

[1] – انظر: : الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، (267-265).

المرحلة الثانية: بعد الانشقاق في صفوف حزب الوفد على أثر تشكيل (مصطفى النحاس) الوزارة بدعم بريطاني، قام بعض الأعضاء البارزين الذين انشقوا عن الوفد بتأسيس حزب جديد أسموه حزب(السعديين) نسبة لسعد زغلول أو حزب (الطليعة الوفدية)، فانتظم سيد في صفوفه حتى عام 1945م، ثم تخلى عن جميع الأحزاب.

المرحلة الثالثة: العمل الفردي، حيث توصل سيد إلى عدم كفاءة وصلاحية الأحزاب الموجودة في الساحة المصرية. بدأ سيد في هذه المرحلة بالدعوة إلى الإصلاح السياسي والاجتماعي بمفرده ودون الانتماء إلى جماعة، وكان يكتب لأجل هذه الغاية المقالات، وأنشأ في هذه المرحلة مجلتين تعالجان قضايا الإصلاح، هما (العالم العربي) و(الفكر الجديد)، وكان منزله في حلوان مقراً لعقد المنتديات التي يقصدها الشباب لمعرفة التحليلات وسماع التوجيهات، واستمرت هذه المرحلة حتى عام 1953م.

المرحلة الرابعة: في عام 1953م انتظم سيد في صفوف الإخوان المسلمين، وأسند إليه إصدار جريدة (الإخوان المسلمون)، وإلقاء المحاضرات والدروس، وفي سنة 1954م دخل السجن مع إخوانه وحكم علية بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً، ولكنه خرج بعفو صحي بعد عشرة سنوات، ومن أهم أعماله بعد خروجه من السجن تولي قيادة التنظيم الإخواني الجديد، ثم ألقي القبض عليه بتهمة تدبير انقلاب على جمال عبد الناصر ليعود إلى السجن من جديد سنة 1965م، وبقي في السجن حتى نفذ فيه حكم الإعدام سنة 1966م.

المبحث الرابع

استشهاد سيد قطب وبعض مؤلفاته

في عام 1965م أعلن جمال عبد الناصر خلال زيارته لموسكو عن اكتشاف مؤامرة تهدف إلى إسقاط حكمه وتخريب مصر، مؤامرة يقودها الإخوان المسلمون، فقامت أجهزة الأمن المصرية بإلقاء القبض على الإخوان ومعارفهم، وكان سيد قطب من أوائل المعتقلين، وبعد تعذيب شديد لهؤلاء الإخوان ومنهم سيد قطب، أصدرت محكمة الثورة الحكم بالإعدام شنقاً لكل من سيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل ومحمد يوسف هواش.

وقامت الكثير من المحاولات والوساطات من مختلف قيادات العالم الإسلامي للتخفيف من الحكم الصادر بحق سيد قطب وإخوته، إلا أن الطاغية أوعز إلى زبانيته في السجن الحربي بالإسراع في تنفيذ الحكم[1].

وفي فجر الإثنين 13 جمادى الأولى 1386هـ الموافق 1966/8/29م تم تنفيذ حكم الإعدام على سيد وإخوته، وأسدل الستار على آخر يوم في حياة المفكر الإسلامي العظيم سيد قطب[2].

لقد رحل سيد قطب بجسده عن الدنيا، إلا أنه حاضر ومؤثر ليس في مصر وحدها، وإنما في العالم الإسلامي كله، حاضر بفكره في مساجد المسلمين، وفي بيوتهم وأسرهم، وفي جامعاتهم وأبحاثهم، حاضر بين علماء الأمه وشبابها، وفي جماعات المسلمين، وما زال الطغاة يخافونه ويحذرونه ويحذّرون منه، ويعلنون حربهم على فكره وكتبه، التي لا تكاد تخلو منها مكتبة إسلامية، وسأذكر بعض أهم مؤلفاته الإسلامية والأدبية:

1. في ظلال القرآن
2. خصائص التصور الإسلامي
3. مقومات التصور الإسلامي
4. معالم في الطريق
5. هذا الدين

---

[1] – انظر: الخالدي، **مدخل إلى الظلال**، (30-26).

[2] – انظر: الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، (479).

6. المستقبل لهذا الدين
7. السلام العالمي والإسلام
8. التصوير الفني في القرآن
9. العدالة الاجتماعية في الإسلام

ومن مؤلفاته الأدبية:

1. مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر
2. الشاطئ المجهول (ديوان شعر)
3. نقد كتاب (مستقبل الحضارة في مصر) للدكتور طه حسين
4. طفل من القرية
5. النقد الأدبي أصوله ومناهجه

الفصل الثاني

معنى العقيدة وأهميتها وقواعد فهمها عند سيد قطب

المبحث الأول: معنى العقيدة عند سيد قطب

المبحث الثاني: أهمية العقيدة عند سيد قطب

المبحث الثالث: توضيح سيد قطب لأهمية العقيدة الإسلامية من خلال بيان العقائد الجاهلية

المبحث الرابع: قواعد فهم العقيدة عند سيد قطب

الفصل الثاني

معنى العقيدة وأهميتها وقواعد فهمها عند سيد قطب

يتناول هذا الفصل بيان معنى العقيدة، ويقف على أهميتها من خلال تفسير (في ظلال القرآن)، ويأتي على ذكر بعض عقائد الجاهلية التي كانت حاضرة وقت البعثة لإبراز مكانة العقيدة الإسلامية كما يراها سيد قطب، إضافة لاستعراض أهم القواعد والأسس التي أرساها سيد قطب لفهم العقيدة بالشكل الصحيح.

المبحث الأول

معنى العقيدة عند سيد قطب

العقيدة لغةً:

قال ابن فارس: "(عقد) العين والقاف والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على شَدٍّ وشِدّةِ وُثوق، وإليه ترجعُ فروعُ البابِ كلها"[1].

والعقيدة من العَقْد، وهو: الشَّد والربط، والإبرام، والتأكيد، والتصميم، والإحكام، والإلزام، والاثبات، والاعتقاد الجازم[2].

والعَقْد: عَقْدُ اليمين، ومنه قوله تعالى: { ولكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ } [المائدة: 89].

وعُقْدَة النكاح: وُجوبُه وإبرامُه[3]. وعَقَدَ قَلْبَه على الشيْءِ: لَزِمَه[4].

قال الزبيدي: " والذي صَرَّحَ به أَئِمَّةُ الاشتِقَاقِ: أَنَّ أَصلَ العَقْدِ نَقِيض الحَلِّ، عَقَدَه يَعْقِده عَقْداً وتَعْقَاداً... ثم اسْتُعْمِل في أَنْواعِ العُقُودِ من البُيوعاتِ... ثم استُعْمِل في التصميم والاعتقادِ الجَازِم"[5].

العقيدة اصطلاحاً:

قال الإيجي في المواقف: " والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد– صلى الله عليه وسلم_... كقولنا الله تعالى عالم قادر سميع بصير وهذه تسمى اعتقادية وأصلية وعقائد وقد دون علم الكلام لحفظها"[6].

---

[1] – ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت: 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر –بيروت –، ط: (1399هـ – 1979م)، (4/ 86).

[2] – انظر: مادة (عقد): المصدر السابق، (4/ 90–86)، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (ت: 711 هـ)، **لسان العرب**، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار احياء التراث العربي– بيروت، ط: 1، (1416 هـ)، (9/312–309). الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرازق الملقب بمرتضى (ت: 1205 هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار هداية، بدون ذكر السنة والطبعة، (8/ 394– 404).

[3] – ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (4/ 86).

[4] – الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (8/ 403).

[5] – المصدر السابق: (4/ 394).

[6] – الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، (ت: 756 هـ)، **المواقف**، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت، ط: 1، (1997م)، (1/ 33).

والعقيدة: "هي الأمور التي يجب أن يُصَدِّقَ بها القلب، وتطمئن إليها النفس، حتى تكون يقينا ثابتا لا يمازجها ريب ، ولا يخالطها شك .أَي : الإيمان الجازم الذي لا يتطرَّق إليه شك لدى معتقده، ويجب أَن يكون مطابقا للواقع، لا يقبل شكا ولا ظنا؛ فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يُسَمى عقيدة"[1].

وتطلق العقيدة الإسلامية على الإيمان بأركانه الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر[2].

وتطلق العقيدة عند سيد قطب ويراد بها النظرة الكلية عن الكون والإنسان والحياة وما وراءها من قوة مدبرة، وحقيقة العلاقة بينهما[3].

[1] – الأثري، عبد الله بن عبد الحميد، **الوجيز في عقيدة السلف الصالح**، مراجعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط: 1، (1422هـ)، (11/1).

[2] – انظر: سابق، السيد، (ت: 1420 هـ)، **العقائد الإسلامية**، دار الكتاب العربي– بيروت، بدون ذكر السنة والطبعة، (ص: 7–8).

[3] – انظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، الناشر: دار الشروق – القاهرة، ط: 30، 1422هـ – 2001م، (86/1، 181، 252. 1004/2. 1263/3، 1422. 6/ 3395، 3466، 3583).

المبحث الثاني

أهمية العقيدة عند سيد قطب

الذي يقرأ في " في ظلال القرآن" لا يحتاج إلى كبير عناء ليلحظ المساحة الهائلة التي شغلتها العقيدة الإسلامية ومباحثها في ثنايا هذا التفسير، فقد كان منطق سيد قطب في فهم القرآن على أنه مسوق لغاية واحدة عظيمة، وهي: تقرير الألوهية والربوبية والقوامة والحاكمية في حياة البشر، بل إن هذه الحقيقة كانت مدار الرسالات السماوية كافة، لهذا جاء الظلال حافلاً بقضايا الاعتقاد.

يقول سيد قطب في مقدمة تفسير سورة يونس: " والواقع أن تلك القضية الكبرى هي قضية القرآن كله، وقضية القرآن المكي بصفة خاصة. فتعريف الألوهية الحقة، وبيان خصائصها من الربوبية والقوامة والحاكمية، وتعريف العبودية وحدودها... والوصول من هذا كله إلى تعبيد الناس لإلههم الحق... هذا هو الموضوع الرئيسي للقرآن كله، وما وراءه إن هو إلا بيان لمقتضيات هذه الحقيقة الكبيرة في حياة البشر بكل جوانبها"[1].

وهذا المنطق له ما يبرره، فقد كانت أغلب سور القرآن العظيم من القرآن المكي[2]، والقرآن المكي على المشهور هو: ما نزل قبل الهجرة[3]، وهذه الفترة الزمنية –المكية–من حياة الدعوة أكثر ما كانت تعنى به العقائد. فضلا عن أن القرآن المدني لم يخلو من ذكر العقيدة، بل كان يذكرها في مناسبات شتى.

وقد كانت نظرة سيد للقرآن المكي أعمق وأوسع من نظرة علماء كثيرين اعتقدوا أن فوائد معرفة المكي والمدني منحصرة في معرفة الناسخ والمنسوخ، وتاريخ التشريع، وحفظ القرآن[4]، فهو يرى أن موضوع القرآن المكي الذي عالج العقيدة على امتداد ثلاثة عشر عاما كاملة دون تجاوزها إلى شيء من تفصيلات النظام والشريعة، ظاهرة كبيرة يجب فهمها بأبعادها الحقيقية[5].

---

[1] – المصدر السابق، (1753/3).

[2] – انظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، (ت: 794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط: 1، (1376 هـ –1957 م)، (187/1).

[3] – المصدر السابق: (1/ 187).

[4] – انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم، (ت: 1948م)، **مناهل العرفان غي علوم القرآن**، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث –القاهرة، بدون ذكر الطبعة (1422هـ)، (167/1).

[5] – انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (3/ 1005–1004).

ويمكن للباحث أن يخلص إلى أن أهمية العقيدة من خلال القرآن المكي عند سيد تتلخص في أمرين:

الأول: حاجة الإنسان للعقيدة

تنبع أهمية العقيدة من كونها حاجة حيوية للإنسان كحاجته إلى الطعام والشراب، لأنها تلبي دوافعه الفطرية في معرفة سر وجوده ووجود الكون والحياة من حوله، فهو يريد أن يعرف عن أصله ونشأته ومصيره بعد الموت، وأن يتبين حقيقة الكون الذي يحيا فيه، كيف نشأ وما وراءه من أسرار، وسر الحياة على هذه الأرض، كيف نشأت هذه الحياة من هذا الموات المحيط بها؟ ولماذا؟ ... وهل وراء هذا الوجود والحياة قوة مدبرة؟ ومن هي هذه القوة؟ وماذا تريد منه؟ وما صلته بها؟ هذه الأسئلة تساور كل نفس، ولا يمكن للإنسان أن يطمئن دون إيجاد إجابات تقنع عقله وتجيب فطرته، وتحدد وظيفته وغايته ودوره وارتباطاته بهذا الوجود. وتجاوز هذه الأسئلة أو حلها بصورة خاطئة يبقي على مشاعر القلق والشك والحيرة.

يقول سيد قطب: " والشأن في مسألة الاعتقاد هو الشأن في كل أمر حيوي تتوقف عليه حياة الكائن البشري. فالكائن الحي يبحث عن الطعام والشراب والهواء – كما يبحث عن التناسل والتكاثر – بحثاً فطرياً ولا يترك الأمر في هذه الحيويات حتى يكمل التفكير وينضج، أو حتى ينمو العلم ويغزر. وإلا تعرضت حياة الكائن الحي إلى الدمار والبوار . . والإيمان حيوي للإنسان حيوية الطعام والشراب والهواء سواء بسواء. ومن ثم يكله الله فيه إلى تلاقي الفطرة بآياته المبثوثة في صفحات الكون كله في الأنفس والآفاق[1]".

الثاني: بناء تصّور الإنسان عن الكون والإنسان والحياة

العقيدة هي التي تشكل وجهة نظر الإنسان عن الكون والإنسان والحياة، وإدراك حقيقة وجوده وغايته ووظيفته، وتحدد رؤيته لما وراء الكون والإنسان والحياة من قوة مدبرة، وتكشف له عن القوى الحقيقية الفاعلة في هذا الوجود، وتحدد ارتباطاته بها وبالوجود كله، وهذا التفسير للوجود يترجم عملياً في حياة الفرد والجماعة عن طريق أنظمة العيش والقيم والأخلاق التي تنظم الحياة وتحدد السلوك، ولهذا تختلف توجهات البشر واهتماماتهم وفق ما يحملون من عقائد، وتتغاير المجتمعات البشرية وتصطبغ

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (1 /299).

بصبغة العقيدة التي يعتنقونها، لهذا كان أمر العقيدة في غاية الخطورة، فمفرق الطريق بين الحياة الصحيحة والحياة التائهة هي العقيدة.

يقول سيد قطب عند ملاحظة الجهد الهائل الذي بذله القرآن وخصوصاً القرآن المكي في تصحيح التصور الاعتقادي: " وهذا الاهتمام البالغ بتصحيح التصور الاعتقادي، وإقامته على قاعدة التوحيد الكامل الحاسم، يدل على أهمية هذا التصحيح. وأهمية التصور الاعتقادي في بناء الحياة الإنسانية وفي صلاحها، كما يدل على اعتبار الإسلام للعقيدة بوصفها القاعدة والمحور لكل نشاط إنساني، ولكل ارتباط إنساني كذلك"[1].

ويقول في موضع آخر: " فنظام الحياة ومنهج السلوك وقواعد الأخلاق والآداب، ليست بمعزل عن التصور الاعتقادي؛ بل هي قائمة عليه، مستمدة منه. وما يمكن أن تثبت وتستقيم ويكون لها ميزان مستقر إلا أن ترتبط بالعقيدة، وبالتصور الشامل لحقيقة هذا الوجود وارتباطاته بخالقه الذي وهبه الوجود"[2].

وهذا رأي دراز الذي يقول: " إن تصرفات الإنسان الاختيارية يتولى قيادتها معنى انساني، اسمه الفكرة والعقيدة... ولقد ضل أقوام قلبوا هذا الوضع وحسبوا أن الفكر والضمير لا يؤثران في الحياة المادية الاقتصادية بل يتأثران بها... هذا الرأي الماركسي... تصوير مقلوب للحقائق الثابتة المشاهدة في سلوك الأفراد والجماعات في كل عصر"[3].

ويستدل قطب لهذه الحقيقة بأمثلة كثيرة في تفسيره، ولنضرب بعض الأمثلة يتضح بها المقال:

يقول سيد: " الإيمان بالله معناه إفراده –سبحانه –بالألوهية والربوبية والعبادة. ومن ثم إفراده بالسيادة على ضمير الإنسان وسلوكه في كل أمر من أمور الحياة ... فالسيادة على ضمائر الناس وعلى سلوكهم لله وحده بحكم هذا الإيمان. ومن ثم فالتشريع وقواعد الخلق، ونظم الاجتماع والاقتصاد لا تتلقى إلا من صاحب السيادة الواحد الأحد"[4].

---

[1] – المصدر السابق: (946/2).

[2] – المصدر السابق: (1/ 296).

[3] – د. دراز، محمد عبد الله، (ت: 1958م)، **الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)**، دار القلم–الكويت، بدون ذكر السنة والطبعة، (ص: 99).

[4] –قطب، **في ظلال القرآن**، (341/1).

ويقول في موضع آخر: " هذه الوحدانية الحاسمة الناصعة هي القاعدة التي يقوم عليها التصور الإسلامي؛ والتي ينبثق منها منهج الإسلام للحياة كلها... وعن هذا التصور تنشأ قاعدة: الحاكمية لله وحده. فيكون الله وحده هو المشرع للعباد؛ ويجيء تشريع البشر مستمداً من شريعة الله. وعن هذا التصور تنشأ قاعدة استمداد القيم كلها من الله؛ فلا اعتبار لقيمة من قيم الحياة كلها إذا لم تقبل في ميزان الله، ولا شرعية لوضع أو تقليد أو تنظيم يخالف عن منهج الله. وهكذا إلى آخر ما ينبثق عن معنى الوحدانية من مشاعر في الضمير أو مناهج لحياة الناس في الأرض على السواء"[1].

ففرق كبير في الحياة والتصورات والقيم والتوجهات بين ما تفرزه عقيدة الإسلام القائمة على التوحيد في الواقع، وبين العقائد الأرضية التي تقطع الصلة بين الله وبين خلائقه كالرأسمالية والاشتراكية أو الديمقراطية والديكتاتورية والملكية التي تتخذ لها أرباباً من دون الله تجعل لها القوامة والسلطان والحاكمية فيعبّدون الناس لربوبيتهم الزائفة، فيشرعون للناس ما يشاءون من القيم والتقاليد والأوضاع ما يجعل دينونتهم لهذه الأرباب لا لله[2].

أما الإيمان باليوم الآخر، فإنه يشكّل – من وجهة نظر سيد قطب– مفرق الطريق بين من يعتقد أن حياته محصورة في مجال الأرض هي كل ما له في هذا الوجود، وبين من يؤمن بأن هناك حياة أخرى أبدية وراء هذا الحيز الصغير تستحق أن يجاهد لها، يقول سيد: " والاعتقاد بيوم الدين كلية من كليات العقيدة الإسلامية ذات قيمة في تعليق أنظار البشر وقلوبهم بعالم آخر بعد عالم الأرض؛ فلا تستبد بهم ضرورات الأرض. وعندئذ يملكون الاستعلاء على هذه الضرورات... ومن ثم فإن هذه الكلية تعد مفرق الطريق بين العبودية للنزوات والرغائب، والطلاقة الإنسانية اللائقة ببني الإنسان. بين الخضوع لتصورات الأرض وقيمها وموازينها والتعلق بالقيم الربانية والاستعلاء على منطق الجاهلية... وما تستقيم الحياة البشرية على منهج الله الرفيع ما لم تتحقق هذه الكلية في تصور البشر. وما لم تطمئن قلوبهم إلى أن جزاءهم على الأرض ليس هو نصيبهم الأخير. وما لم يثق الفرد المحدود العمر بأن له حياة أخرى تستحق أن يجاهد لها، وأن يضحي لنصرة الحق والخير معتمداً على العوض

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** (1/ 287–286).

[2] – انظر: المصدر السابق، (4/ 1852، 1866، 2074).

الذي يلقاه فيها. وما يستوي المؤمنون بالآخرة والمنكرون لها في شعور ولا خلق ولا سلوك ولا عمل. فهما صنفان مختلفان من الخلق. وطبيعتان متميزتان لا تلتقيان في الأرض في عمل ولا تلتقيان في الآخرة في جزاء، وهذا هو مفرق الطريق"[1].

ويبرز سيد قطب أن كل انحراف في السلوك أو القيم أو الأخلاق مرده إلى فساد التصور والاعتقاد، فالعرب – قبل الإسلام– لم يؤمنوا بأن الرزق من عند الله، وإنما هو حصيلة الجهد والكسب في الأعمال والحروب، فكانوا يخشون الفقر مع ولادة الأنثى لضعفها عن مزاولة أعمال الذكورة، فتحركت مشاعرهم بهذه العقيدة { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [النحل: 58، 59] فكان منهم احتقار جنس الإناث، وشرعوا لأنفسهم نظاماً مبنياً على عقيدتهم السخيفة، فوأدوا البنات في الجاهلية أو أبقوا عليهن في الذل والهوان[2].

يقول سيد عند تفسير قوله تعالى: { وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا } [الإسراء : 31]. " إن انحراف العقيدة وفسادها ينشئ آثاره في حياة الجماعة الواقعية، ولا يقتصر على فساد الاعتقاد والطقوس التعبدية. وتصحيح العقيدة ينشئ آثاره في صحة المشاعر وسلامتها، وفي سلامة الحياة الاجتماعية واستقامتها. وهذا المثل من وأد البنات مثل بارز على آثار العقيدة في واقع الجماعة الإنسانية. وشاهد على أن الحياة لا يمكن إلا أن تتأثر بالعقيدة، وأن العقيدة لا يمكن أن تعيش في معزل عن الحياة"[3].

ومن هذه النظرة يجيب سيد قطب عن ظاهرة اعتناء القرآن المكي بتصحيح العقيدة قبل الاعتناء بتصحيح السلوك، يقول: " إنما بدأ الإسلام من عقدة النفس البشرية الأولى. عقدة العقيدة. بدأ باجتثاث التصور الجاهلي الاعتقادي جملة من جذوره؛ وإقامة التصور الإسلامي الصحيح. إقامته من أعماق القاعدة المرتكزة إلى الفطرة. بيّن للناس فساد تصوراتهم عن الألوهية وهداهم إلى الإله الحق. وحين عرفوا إلهم الحق بدأت نفوسهم تستمع إلى ما يحبه منهم هذا الإله الحق وما يكرهه. وما كانوا قبل

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** (25/1–24).

[2] – انظر: المصدر السابق، (2178/4).

[3] – المصدر السابق: (2223/4).

ذلك ليسمعوا! أو يطيعوا أمراً ولا نهياً؛ وما كانوا ليقلعوا عن مألوفاتهم الجاهلية مهما تكرر لهم النهي وبذلت لهم النصيحة. إن عقدة الفطرة البشرية هي عقدة العقيدة؛ وما لم تنعقد هذه العقدة أولاً فلن يثبت فيها شيء من خلق أو تهذيب أو إصلاح اجتماعي"[1].

هذه الأهمية للعقيدة في صياغة المجتمعات الإنسانية، وبناء الشخصيات الإنسانية، التي خلص إليها سيد قطب على ضخامتها قد يغفل عنها أهل الاختصاص، فقد حصر الشيخ عمر سليمان الأشقر في كتابه (العقيدة في الله)، في أن أهمية العقيدة وضرورتها تنبع من كونها تجيب الإنسان عن الأسئلة التي شغلت الفكر الإنساني، من أين جئت؟ ومن أين جاء الوجود؟[2]، ولم يتطرق البتة الى كون العقيدة أساس منهج الحياة تصلح بصلاحها وتفسد بفسادها، وإن الإنسان أسير فكرته وعقيدته.

مما سبق يتبين للباحث كيف أبرز سيد قطب أثر العقيدة في بناء الإنسان وصقل شخصيته، وفي بناء المجتمع وتحديد معالمه وهويته، وتكوين حضارته، واخيراً يمتد التأثير إلى التجمع الإنساني برمته، خصوصا في حاضرنا الذي بات فيه العالم قرية صغيرة تتزاحم فيها الأفكار والثقافات وتتصارع فيها الحضارات. لهذا كان للعقيدة هذا الشأن العظيم في حياة البشر.

وهذا ما سنناقشه في فصلين قادمين بعون الله.

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** (973/1).

[2] – انظر: الأشقر، د.عمر سليمان عبد الله، (ت: 2012م)، **العقيدة في الله**، دار النفائس للنشر والتوزيع– الأردن، دون ذكر السنة والطبعة، (115–118).

المبحث الثالث

توضيح سيد قطب لأهمية العقيدة الإسلامية من خلال بيان العقائد الجاهلية

يرى سيد قطب أن إدراك معنى العقيدة الإسلامية متوقف على مراجعة ركام عقائد الجاهلية، فالمقابلة والمقارنة تظهر الخصائص، وفي ذلك يقول: " وإن جمال هذه العقيدة وكمالها وتناسقها وبساطة الحقيقة الكبيرة التي تمثلها. كل هذا لا يتجلى للقلب والعقل كما يتجلى من مراجعة ركام الجاهلية من العقائد والتصورات، والأساطير والفلسفات! وبخاصة موضوع الحقيقة الإلهية وعلاقتها بالعالم. عندئذ تبدو العقيدة الإسلامية رحمة. رحمة حقيقية للقلب والعقل، رحمة بما فيها من جمال وبساطة، ووضوح وتناسق، وقرب وأنس، وتجاوب مع الفطرة مباشر عميق"[1].

ومعرفة عقائد الجاهلية – قبل الإسلام–تعطي فكرة عميقة عن أثر العقيدة الإسلامية في أحوال الناس، قال سيد: " ولكن مراجعة ذلك الركام تكشف عن ضرورة ذلك الجهد المتطاول، كما تكشف عن مدى عظمة الدور الذي قامت به هذه العقيدة –وتقوم في تحرير الضمير البشري وإعتاقه؛ وإطلاقه من عناء التخبط بين شتى الأرباب وشتى الأوهام والأساطير!"[2].

وهذا الذي يقوله سيد قطب، هو ذاته الذي ذهب إليه محمد رشيد رضا، ففي مقدمة تفسيره ذكر أن من واجبات المفسر أن يعلم ما كان عليه حال الناس من العرب والعجم حتى يعلم تأثير القرآن في هداية الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور[3].

وقبل أن أعرض لبعض عقائد الجاهلية، لا بد من التنويه، أن الجاهلية عند سيد قطب ليست فترة زمانية محددة، وإنما هي وصف لواقع معين، كلما وجد هذا الواقع صح أن يطلق عليه حكم (جاهلية).

يقول سيد وهو يفسر قول الله تعالى: { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة : 50]، " إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص . فالجاهلية –كما يصفها الله ويحددها قرآنه –هي حكم البشر للبشر، لأنها هي عبودية البشر للبشر، والخروج من عبودية الله، ورفض ألوهية

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (24/1).

[2] – المصدر السابق: (23/1).

[3] – انظر: رضا، محمد رشيد بن علي، (ت: 1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون ذكر الطبعة، 1990 م، (1/ 21).

الله، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر وبالعبودية لهم من دون الله. إن الجاهلية – في ضوء هذا النص – ليست فترة من الزمان؛ ولكنها وضع من الأوضاع . هذا الوضع يوجد بالأمس، ويوجد اليوم، ويوجد غداً، فيأخذ صفة الجاهلية، المقابلة للإسلام، والمناقضة للإسلام"[1].

فالجاهلية عنده لا يقابلها التقدم العلمي ولكن يقابلها تحقيق الحاكمية في واقع المجتمع.

ونأتي الآن على بعض عقائد الجاهلية التي عرضها سيد قطب في تفسيره، ونقتصر هنا على العقائد التي كان لها تأثير في جزيرة العرب وكان لها موقف من عقيدة الإسلام، غاضين الطرف عن عقائد ضآلة لأقوام غابرة ذكرها القرآن. فقد "جاء الإسلام وفي العالم ركام من العقائد والتصورات والأساطير والفلسفات والأوهام والأفكار. يختلط فيها الحق بالباطل، والصحيح بالزائف، والدين بالخرافة، والفلسفة بالأسطورة"[2].

ومن العقائد التي بينها صاحب الظلال، ليظهر عظمة العقيدة الإسلامية، عقائد أهل الكتاب عموماً، وعقائد العرب قبل الإسلام، وذلك على النحو الآتي:

أولا: عقائد اليهود

يظهر الانحراف في عقائد اليهود كما يرى سيد قطب من عدة جوانب، أهمها[3]:

(1) نسبة الولد إلى الله. وهذا انحراف في التصوّر، لأن فيه تشبيه الخالق بالمخلوقين، واعتقاد بأن الله يحتاج إلى الولد كما يحتاج إليه المخلوق، قال تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ.} [التوبة: 3].

(2) وصفهم الله بصفات نقص– تعالى الله عما يقولون– حيث قالوا: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ } [المائدة : 64]، { لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } [آل عمران : 181].

(3) الادعاء بأنهم أبناء الله وأحباؤه. فقد افتروا على الله الكذب حين ادعوا أنهم أبناء الله، قال تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ } [المائدة : 18]، وبناء عليه قالوا بأن الله لن يعذبهم

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (904/2).

[2] – المصدر السابق: (23/1).

[3] – انظر: المصدر السابق، (23/1، 866/2، 679/2).

بذنوبهم، وأنهم لن يدخلوا النار إلا أياماً معدودة ، { وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [البقرة : 80]، قال سيد: " ومعنى هذا أن عدل الله لا يجري مجراه! وأنه سبحانه –يحابي فريقاً من عباده، فيدعهم يفسدون في الأرض ثم لا يعذبهم عذاب المفسدين الآخرين! فأي فساد في الحياة يمكن أن ينشأ عن مثل هذا التصور؟ وأي اضطراب في الحياة يمكن أن ينشئه مثل هذا الانحراف؟"[1].

(4) الاعتداء على حق الله تعالى في التحليل والتحريم. وهذا حق خالص لله دون أحد، فالألوهية والربوبية تقتضي على أن السلطان والسيادة والتحليل والتحريم في حياة البشر هي لله وحده، والعبودية لا تكون الا لله، قال تعالى: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } [التوبة : 31].قال سيد: "وقد بدل هؤلاء الأحبار في شريعة الله ، ليرضوا ذوي السلطان والشرفاء؛ وليملقوا كذلك رغبات الجماهير وأهواءهم . وبذلك اتخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله. وأكلوا الربا، ووهنت علاقتهم بدين الله وكتابة الذي أنزله عليهم"[2].

ثانياً: عقائد النصارى

أما النصارى فيمكن إجمال تحريفهم لعقيدة التوحيد– كما يرى سيد قطب– بعدة أمور[3]:

(1) قولهم إن الله هو المسيح بن مريم، قال تعالى: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ } [المائدة : 72].

(2) قولهم إن المسيح ابن الله، قال تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [التوبة : 30]

(3) القول بعقيدة التثليث، قال تعالى: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [النساء : 171].

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** (2/ 866).

[2] – المصدر السابق: (2/ 679).

[3] – انظر: المصدر السابق، (1624/3، 1642/3، 2069/4).

(4) الاعتقاد بألوهية عيسى وأمه– عليهما السلام– وتقديم الشعائر اليهما في العبادة، وهو خلط بين طبيعة الالوهية وطبيعة النبوة، قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ} [المائدة : 116].

(5) اتخاذ الرهبان أرباباً من دون الله، قال تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: 31]. قال سيد قطب: " إن النص القرآني يسوي في الوصف بالشرك واتخاذ الأرباب من دون الله، بين اليهود الذين قبلوا التشريع من أحبارهم وأطاعوه واتبعوه، وبين النصارى الذين قالوا بألوهية المسيح اعتقاداً وقدموا إليه الشعائر في العبادة. فهذه كتلك سواء في اعتبار فاعلها مشركاً بالله، الشرك الذي يخرجه من عداد المؤمنين ويدخله في عداد الكافرين، أن الشرك بالله يتحقق بمجرد إعطاء حق التشريع لغير الله من عباده؛ ولو لم يصحبه شرك في الاعتقاد بألوهيته؛ ولا تقديم الشعائر التعبدية له"[1].

ثالثاً: عقائد العرب قبل الإسلام

يظهر الانحراف في عقائد العرب قبل الإسلام– كما يرى سيد قطب– من خلال عدة أمور، أهمها[2]:

(1) كانوا يعتقدون بوجود خالق للوجود وأن له ما في السموات والأرض، والظاهر أن هذا الاعتقاد من بقايا ديانة التوحيد عن جدهم إسماعيل– عليه السلام– قال تعالى: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [العنكبوت : 61].

ولكنهم ما كانوا يرتبون على هذه العقيدة نتائجها المنطقية من توحيد الله بالعبادة والحاكمية، فاشركوا في العبادة، وابتدعوا شرائع وتقاليد نسبوها الى الله { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف : 28]، وإن لم يجعلوا لله شركاء في الخلق.

(2) زعموا أن الملائكة بنات الله، قال تعالى: { أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ} [الزخرف: 16]، { أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا } [الإسراء : 40].

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** (1624/3).

[2] – انظر: المصدر السابق: (199/1، 366/1، 760/2، 1031/2، 1041/2، 1048/2، 1182/3، 2177/4، 3407/6–3406).

(3) عبادة الأصنام، التي هي تماثيل للملائكة – بنات الله بزعمهم– ويعتبرونها الهة دون منزلة ومرتبة الخالق، ويعبدونها على أن لها شفاعة وتقربهم الى الله، ثم نسي هذا الأصل وعبدوا جنس الحجارة، قال تعالى: { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى...} [الزمر: 3]، { إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا } [النساء : 117].

(4) ومن العرب من جعل بين الله وبين الجِنة نسبا فعبدوهم، قال تعالى: { وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ} [الصافات: 158].

من خلال هذه النقاط الأربعة يتبين شمول وعمق سيد في البحث، فغيره من العلماء[1] حصر شرك العرب في عبادة الأصنام، ولم يتطرق إلى باقي النقاط مع أن القرآن أكثر من ذكرها.

مما سبق يتضح للباحث أن معتقدات أهل الكتاب ومعتقدات العرب – قبل الإسلام– تلتقي في جاهلية واحدة تتمثل في:

1. التصور الباطل في ذات الله وصفاته.
2. عدم توحيد الربوبية والألوهية والحاكمية.
3. عدم توحيد العبودية لله تعالى.

[1] – انظر: د. الأشقر، عمر سليمان، **العقيدة في الله**، (292–286).

المبحث الرابع

قواعد فهم العقيدة عند سيد قطب

يتبين من خلال تفسير سيد قطب أنه وضع قواعد لأخذ العقيدة، نجملها في هذا المبحث في عدة مطالب.

المطلب الأول: العقيدة لا تقبل الظن

ذهب سيد إلى أن العقيدة لا تؤخذ إلا عن يقين، ولا تقبل الظن، يقول: " والعقيدة الإسلامية عقيدة الوضوح والاستقامة والنصاعة. فلا يقوم شيء فيها على الظن أو الوهم أو الشبهة: { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا } [الإسراء : 36]... ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة"[1].

وبما أن العقيدة كما يرى سيد قطب، هي الأساس الذي تُبنى عليه نظرة الإنسان للكون والإنسان والحياة، وينبثق عنها منهج الحياة، فلا بد لهذا الأساس أن يكون يقينياً ثابتاً، يقول سيد: " ولم يكن مستطاعاً أن يستقر الضمير البشري على قرار في أمر هذا الكون، وفي أمر نفسه وفي منهج حياته، قبل أن يستقر على قرار في أمر عقيدته وتصوره لإلهه وصفاته، وقبل أن ينتهي إلى يقين واضح مستقيم"[2].

وقد عاب القرآن على أهل الكتاب والمشركين الأخذ بالظن في العقيدة والقول بغير علم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[3]. قال الله تعالى: { أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى*.... إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى * وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا } (النجم: 19-28).

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (2227/4).

[2] – المصدر السابق: 23/1.

[3] – انظر: المصدر السابق، (9720/2).

يقول سيد: "فلا حجة ولا علم ولا يقين إنما هو الظن يقيمون عليه العقيدة... والعقيدة لا مجال فيها للظن والهوى ولا بد فيها من اليقين القاطع"[1].

والظن قد يدخل على الوحي من جهة الثبوت أو من جهة الدلالة، فأما من جهة الثبوت فممتنع في القرآن لأنه مقطوع النسبة الى الله تعالى، فتقوم بذلك حجتيه وسلطانه على النفوس والعقول لأنه كلام الله المعجز[2]. وأما بالنسبة لحديث النبي – صلى الله عليه وسلم– فان سيد قطب يشترط لأصول العقيدة التواتر، يقول سيد: " وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة . والمرجع هو القرآن. والتواتر شرط للأخذ بالأحاديث في أصول الاعتقاد"[3]. ويقول في موضع آخر: " ونحن – على منهجنا في هذه الظلال – لا نتعرض لهذه الأمور الغيبية بتفصيل لم يرد به نص قرآني أو حديث نبوي صحيح متواتر . فهي من أمور الاعتقاد التي لا يلتزم فيها إلا بنص هذه درجته"[4].

وأما بالنسبة لدلالة النصوص فهو يصرح بأن دلالات نصوص أصول العقيدة قطعية، لا تدع مجالا لتأويل فاسد، وفي ذلك يقول: " فأما أصول الرسالة الدقيقة للعقيدة الإسلامية فهي مفهومة المدلولات قاطعة الدلالة"[5].

إذاً منهج سيد في إثبات العقيدة يتلخص بالاحتجاج بالقرآن الكريم والحديث المتواتر، دون الصحيح، بشرط أن تكون النصوص قطعية في دلالتها. وهذا رأي جمهور العلماء، ذكر ذلك الدكتور نور الدين عتر، قال: " ثم إن العلماء... اختلفوا في إثبات العقائد ووجوبها به. فذهب أكثر العلماء إلى أن الاعتقاد لا يثبت إلا بدليل يقيني قطعي هو نص القرآن أو الحديث المتواتر"[6].

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**: (408/6).

[2] انظر: المصدر السابق: (721/2).

[3] – المصدر السابق: (4008/6).

[4] – المصدر السابق: (1530/3).

[5] – المصدر السابق: (369/1).

[6] – د.عتر، نور الدين، **منهج النقد في علوم الحديث**، دار الفكر دمشق–سورية، ط: 3، (1418هـ)، (ص: 245).

وقد ناقش الدكتور عمر الأشقر في كتابه (العقيدة في الله)[1] قول الذين لا يقبلون حديث الآحاد في العقيدة وخطأ منهجهم، ومن مراجعة ما استدل به عمر الأشقر من أدلة، أقول – والله أعلم–إنه لا دليل له فيما ذهب إليه، وسنناقش بعض أدلته:

الدليل الأول: احتجاجهم بعدم قبول الظن في العقيدة هو قول الله تعالى: { إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ} [النجم : 23] ونحوها من الآيات، وهذا الاحتجاج مردود، لأن الظن الذي نعاه الله على المشركين هو الشك المبني على الخرص والتخمين، وهم رفضوا الاحتجاج في مسائل الاعتقاد بالاحاديث وهي تفيد الظن الراجح[2].

والدكتور الأشقر هنا يقع في تناقض، فقد قال في المطلب الثالث من الكتاب نفسه وعنونه: " العقيدة يقين لا تقبل الشك"، قال: " وحتى تصبح هذه الأصول عقيدة لا بد أن نصدق بها تصديقا جازما لا ريب فيه، فان كان فيها ريب أو شك كانت ظنا لا عقيدة"[3].

فالدليل اما يقيني واما غير ذلك، والعقيدة لا تقبل الا الجزم –كما قال– فالشك والظن والظن الراجح، لا تقبل في أصول العقائد لأنها ليست يقين.

الدليل الثاني: لم يسلم د. الأشقر لهم أن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم، بل قد تفيده إذا احتفت بها القرائن، ونقل عن بعض العلماء أقوالهم في هذه المسألة[4].

وهنا يقع في التناقض مرة أخرى، فقد قال من صفحة سابقة: " فإن النصوص التي ردوها ورفضوا الاحتجاج بها في مسائل الاعتقاد تفيد الظن الراجح"[5]. فالحديث يدور عما يفيده خبر الآحاد، وليس خبر الآحاد المحتف بالقرائن الذي يبلغ معها الخبر درجة اليقين.

الدليل الثالث: يخلص الدكتور الأشقر إلى أن علماء أهل السُنة يقبلون أحاديث الآحاد الصحيحة في العقائد والأحكام من غير تفريق، ونقل القول عن ابن عبد البر في التمهيد[6] أنها لا تفيد القطع ويجب الأخذ بها في الاعتقاد وينسب ذلك الى جماعة أهل السُنة.

---

[1] – انظر: د. الأشقر، **العقيدة في الله**، (ص:53–56).

[2] – انظر: المصدر السابق، (ص: 53).

[3] – المصدر السابق، (ص:13).

[4] – انظر: المصدر السابق، ص: (56–54).

[5] – المصدر السابق: (ص: 53).

[6] – انظر: ابن عبد البر، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد، (ت: 463هـ)، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، المحقق: مصطفى بن أحمد العلوى و محمد عبد الكبير البكرى، مؤسسة القرطبه، بدون ذكر السنة والطبعة، (1/8–7).

وأهل السُّنة الذين يقصدهم الدكتور الأشقر هم أهل الحديث، وهم ليسوا حجة على علماء الإسلام، فقد نقلنا قول الدكتور نور الدين عتر بأن أكثر العلماء لا تثبت عندهم العقائد إلا بدليل يقيني.

وأخيراً فإن ما تبقى من أدلة لم نناقشها مردود عليها من علماء أفاضل، ولا تصلح حجة برد منهج سيد قطب.

أقول – والله أعلم– إن منهج سيد قطب من طلب العلم لأصول العقيدة يجعل لها سلطاناً وبرهاناً قوياً ينعقد عليه القلب، ويغلق منافذ الظن والهوى والوهم، وفيه استجابة لطلب الشرع، واحتراز مما وقع به أهل الديانات السماوية السابقة من التأويلات الفاسدة والتحريفات الشنيعة في عقيدة التوحيد، واستبعاد للأوهام والخرافات.

المطلب الثاني: العقيدة تقوم على الدليل وليس التقليد

ذهب سيد إلى عدم جواز التقليد في العقيدة بلا دليل، فعند قول الله تعالى: { فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } [يونس : 94]، يقول: " ثم إنه المنهج الذي يضعه الله لهذه الأمة فيما لا تستوثق منه، أن تسأل أهل الذكر، ولو كان من أخص خصائص العقيدة؛ لأن المسلم مكلف أن يستيقن من عقيدته وشريعته، وألا يعتمد على التقليد دون تثبت ويقين"[1] .

ويفسر قوله جل وعلا: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } [البقرة : 170]، " ويحذرهم من التقليد في شأن العقيدة بغير هدى من الله"[2]، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما مر.

ومن أمثال هذه الآيات قوله تعالى: { إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ } [الصافات: 69 ، 70]، " إنهم عريقون في الضلالة ، وهم في الوقت ذاته مقلدون لا يفكرون ولا يتدبرون؛ بل يطيرون معجلين يقفون خطى آبائهم الضالين غير ناظرين ولا متعقلين"[3].

وقد لخص ابن تيمية النزاع في هذه المسألة بقوله:

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** (3/ 1820).

[2] – المصدر السابق: (1/ 154).

[3] – المصدر السابق: (5/ 2990).

" أما في المسائل الأصولية فكثير من المتكلمة والفقهاء من أصحابنا وغيرهم من يوجب النظر والاستدلال على كل أحد حتى على العامة والنساء ... وأما جمهور الأمة فعلى خلاف ذلك ; فإن ما وجب علمه إنما يجب على من يقدر على تحصيل العلم وكثير من الناس عاجز عن العلم بهذه الدقائق فكيف يكلف العلم بها؟"[1].

وسيد وسط بين الرأيين فيفهم من كلامه جواز التقليد بدليل، ولكن جاء بدون تفصيل، ولابن القيم تفصيل دقيق، فقد فرق بين المكلفين، فمنهم العاجز عن إدراك الدليل فيعذرون في التقليد، ومنهم القادر على طلب الدليل، فهذا يأثم بتركه العلم[2]. وهو رأي وجيه، والله أعلم.

المطلب الثالث: القرآن هو مصدر العقيدة وليس الفلسفة وعلم الكلام

لقد تجاوز سيد قطب القوالب الفكرية التي صنعتها الفرق الإسلامية أو الفرق الكلامية في طريقة تكوين العقيدة وعرضها، هذه القوالب التي استمرت في حياة الأمة الإسلامية لقرون طويلة وما زالت. وأقبل سيد على القرآن يستمد منه وحده منهج تكوين العقيدة وطريقة عرضها، وفي عقليته النجاح الباهر التي حققته هذه الطريقة في إخراج جيل فريد من نوعه على مستوى التاريخ البشري كله.

يقول سيد: " وبعد فلا بد أن نقول كيف عالج القرآن المكي قضية العقيدة في خلال الثلاثة عشر عاما. إنه لم يعرضها في صورة نظرية! ولم يعرضها في صورة لاهوت ولم يعرضها في صورة جدل كلامي كالذي زاوله فيما بعد ما سمي بعلم التوحيد أو علم الكلام! كلا . . لقد كان القرآن الكريم يخاطب فطرة الإنسان بما في وجوده هو وبما في الوجود من حوله من دلائل وإيحاءات، كان يستنقذ فطرته من الركام ; ويخلص أجهزة الاستقبال الفطرية مما ران عليها وعطل وظائفها ; ويفتح منافذ الفطرة لتتلقى الموحيات المؤثرة وتستجيب لها... هذا بصفة عامة. وبصفة خاصة كان القرآن يخوض بهذه العقيدة معركة حية واقعية. كان يخوض بها معركة مع الركام المعطل للفطرة. في نفوس آدمية

---

[1] – ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (ت: 728هـ)، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: أنور الباز – عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، ط: 3، (1426 هـ)، (20/ 202).

[2] – ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، (ت: 751هـ)، **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، تحقيق : د. محمد جميل غازي، الناشر : مطبعة المدني – القاهرة، بدون ذكر السنة والطبعة، (ص: 255).

حاضرة واقعة. ومن ثم لم يكن شكل النظرية هو الشكل الذي يناسب هذا الواقع الحاضر. إنما كان هو شكل المواجهة الحية للعقابيل والسدود والحواجز والمعوقات النفسية والواقعية في النفوس الحاضرة الحية. ولم يكن الجدل الذهني الذي انتهجه – في العصور المتأخرة – علم التوحيد، هو الشكل المناسب كذلك"[1].

ويصرح سيد بأن علم الكلام بعيد عن العقلية الإسلامية التي أنشأها القرآن، وبعيد عن منهج القرآن في طرح قضايا العقيدة، فيقول: " وقضية الجبر والاختيار كثر فيها الجدل في تاريخ الفكر الإسلامي بين أهل السنة والمعتزلة والمجبرة والمرجئة . . . وتدخلت الفلسفة الإغريقية والمنطق الإغريقي واللاهوت المسيحي في هذا الجدل، فتعقد تعقيداً لا تعرفه العقلية الإسلامية الواضحة الواقعية. ولو أخذ الأمر بمنهج القرآن المباشر الميسر الجاد، ما اشتد هذا الجدل، وما سار في ذلك الطريق الذي سار فيه"[2].

وهذه قضية يقررها سيد قطب في معظم كتبه، لا في الظلال فحسب، يقول في كتاب (خصائص التصور الإسلامي): " وأنا على يقين جازم بأن التصور الإسلامي لن يخلص من التشويه والانحراف والمسخ، الا حين نلقي عنه جملة بكل ما أطلق عليه اسم الفلسفة الإسلامية وبكل مباحث علم الكلام وبكل ما ثار من الجدل بين الفرق الإسلامية المختلفة في شتى العصور! ثم نعود الى القرآن الكريم، نستمد منه مباشرة"[3].

وهذا الرأي ليس بدعاً من سيد، بل قال به علماء أجلاء، يقول الإمام الغزالي في (إلجام العوام): " فأدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان، وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع بها آحاد الناس ويستضر به الأكثرون"[4].

وقد التزم سيد نظرته هذه في تفسير نصوص القرآن العقدية، فتجاوز الجدال والمقررات السابقة، وأخذ يفسر آيات العقيدة تفسيرا يريد بها هداية القارئ، يخاطب عقله ومشاعره، ويلفت النظر إلى دلائل

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (2/112-1011).

[2] – المصدر السابق: 3/1226.

[3] – قطب، سيد، (ت: 1966م)، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، دار الشروق– لبنان، ط: 3، (1978م)، (ص: 13).

[4] – الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد، (ت: 505هـ)، **إلجام العوام عن علم الكلام**، المكتبة الأزهرية للتراث–مصر، بدون ذكر الطبعة، (1988م)، (ص: 35).

العقيدة من خلال التفكر في مادة الإنسان والوجود، ويبتعد عن التعقيدات الفلسفية والكلامية مهملا لمباحثها، ويقدم المعنى سهلا ميسورا على المتلقي.

وبمجرد المقارنة بين تفسيره وبين تفسير يعتمد على علم الكلام يتضح مراد سيد من عرض العقيدة حية واقعية تخاطب الفطرة، وبين تقديم العقيدة في صورة نظرية. فلنأخذ مقطعا من التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي مع مقابلة لتفسير سيد قطب. في معنى (رب العالمين) من الآية الثانية لسورة الفاتحة، لنعرف الفرق:

يقول الإمام الرازي: " وأما قوله جل جلاله: {رَبِّ الْعَالَمِينَ} فاعلم أن قوله: {رَبِّ} مضاف وقوله: {الْعَالَمِينَ} مضاف إليه، وإضافة الشيء إلى الشيء تمتنع معرفتها إلا بعد حصول العلمبالمتضايفين، فمن المحال حصول العلم بكونه تعالى رباً للعالمين إلا بعد معرفة رب والعالمين، ثم إن العالمين عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى ، وهي على ثلاثة أقسام: المتحيزات، والمفارقات، والصفات. أما المتحيزات فهي إما بسائط أو مركبات، أما البسائط فهي الأفلاك والكواكب والأمهات، وأما المركبات فهي المواليد الثلاثة..."[1].

قال سيد في الظلال: " أما شطر الآية الأخير: { رب العالمين } فهو يمثل قاعدة التصور الإسلامي، فالربوبية المطلقة الشاملة هي إحدى كليات العقيدة الإسلامية. والرب هو المالك المتصرف، ويطلق في اللغة على السيد وعلى المتصرف للإصلاح والتربية. والتصرف للإصلاح والتربية يشمل العالمين – أي جميع الخلائق – والله – سبحانه – لم يخلق الكون ثم يتركه هملاً. إنما هو يتصرف فيه بالإصلاح ويرعاه ويربيه. وكل العوالم والخلائق تحفظ وتُتعهد برعاية الله رب العالمين. والصلة بين الخالق والخلائق دائمة ممتدة قائمة في كل وقت وفي كل حالة... فإطلاق الربوبية في هذه السورة، وشمول هذه الربوبية للعالمين جميعاً، هي مفرق الطريق بين النظام والفوضى في العقيدة. لتتجه العوالم كلها إلى رب واحد، تقر له بالسيادة المطلقة، وتنفض عن كاهلها زحمة الأرباب المتفرقة، وعنت الحيرة كذلك بين شتى الأرباب"[2].

---

[1] – الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، (ت: 606هـ)، **التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)**، اعداد: مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي، دار احياء التراث العربي–بيروت، ط: 2، (1417هـ)، (24/1).

[2] – قطب، في ظلال القرآن، (23/1–22).

ولنأخذ مثلا اخر ممن اعتمدوا طريقة المتكلمين في إثبات وجود الله. ونعرض لدليل بطلان الرجحان بدون مرجح، يقول البوطي: "ومعنى الرجحان بدون مرجح أن يكون الشيء جارياً على نسق معين ثم يتغير عن نسقه ويتحول عنه بدون وجود أي مغير أو محول إطلاقاً فهذا من الأمور الواضحة البطلان، وجميع العقلاء يعلمون أن الأصل بقاء ما كان عليه ولابد لتحويله عن حاله السابقة من محول ومؤثر يفرض عليه هذا الوضع الجديد وينسخ حالته القديمة. فإذا عرفت هذا فلنطبق هذا البرهان على مسألة وجود الله عز وجل: إن جميع الأمور والأشكال المفروضة في الذهن لا تعدو أن تتصف بأحد أوصاف ثلاثة: الوجوب، الاستحالة، الإمكان. فما اتصف بالوجوب هو ما يحيل العقل عدمه، وما اتصف بالاستحالة هو ما يحيل العقل وجوده، وما اتصف بالإمكان هو مالا يحيل العقل وجوده ولا عدمه"[1].

ولنتوقف مع سيد كيف يثبت المسألة متبعا لمنهج القرآن، يقول سيد: " إن هذه التربة الأرضية مؤلفة من ذرات معلومة الصفات. فإذا أخذ الناس هذه الذرات فقصارى ما يصوغونه منها لبنة أو آجرة، أو آنية أو أسطوانة، أو هيكل أو جهاز. كائناً في دقته ما يكون. ولكن الله المبدع يجعل من تلك الذرات حياة. حياة نابضة خافقة. تنطوي على ذلك السر الإلهي المعجز. سر الحياة. ذلك السر الذي لا يستطيعه بشر، ولا يعرف سره بشر... والقرآن يواجه البشر بما لا بد لهم من مواجهته، والاعتراف به، والتسليم بمقتضياته. يواجههم بموكب حياتهم وأطوار وجودهم. لقد كانوا أمواتاً فأحياهم. كانوا في حالة موت فنقلهم منها إلى حالة حياة ولا مفر من مواجهة هذه الحقيقة التي لا تفسير لها إلا بالقدرة الخالقة. إنهم أحياء، فيهم حياة. فمن الذي أنشأ لهم هذه الحياة؟ من الذي أوجد هذه الظاهرة الجديدة الزائدة على ما في الأرض من جماد ميت؟ إن طبيعة الحياة شيء آخر غير طبيعة الموت المحيط بها في الجمادات. فمن أين جاءت؟ إنه لا جدوى من الهروب من مواجهة هذا السؤال الذي يلح على العقل والنفس؛ ولا سبيل كذلك لتعليل مجيئها بغير قدرة خالقة ذات طبيعة أخرى غير طبيعة المخلوقات"[2].

---

[1] . البوطي، محمد سعيد رمضان، (ت: 1434 هـ)، **كبرى اليقينيات الكونية**، دار الفكر المعاصر-بيروت، ط: 8، (1982م)، (ص: 79).

[2] – قطب، **في ظلال القرآن**، (38/1، 52).

أظن أن الفرق يبدو واضحا – من خلال الأمثلة– بين تقديم حقائق العقيدة في شكل نظريات معقدة، يضيع معها المعنى المراد بتتبع المصطلحات وغموضها، وبين تقديم العقيدة سهلة ميسورة وواقعية مؤثرة، تجمع في الخطاب بين العقل والفطرة، وتخاطب الإنسان بما حوله من واقع محسوس، مما يجعلها عقيدة حيوية.

واخيراً فان الباحث يطمئن لمنهج سيد في عدم عرض العقيدة على العقول بطريقة المتكلمين والفلاسفة، مما يجعل العقيدة باردة لا تؤثر في النفس كما أرادها القرآن، وطريقة القرآن صالحة لكل زمان ومكان، وهي طريقة ثابتة لبناء العقيدة في النفس الإنسانية بغض النظر عن الواقع المحيط بها، فيخاطب خطابا يلامس فطرته ويقنع عقله من خلال آيات الله المنثورة في نفسه وفي الكون، بعيدا عن تعقيدات علم الكلام.

المطلب الرابع: إبراز دور العقيدة في بناء الأمة

كان سيد واضحاً من خلال تعرضه لقضية بناء القرآن للعقيدة الإسلامية في نفوس الصحابة، فكان ينظر إلى غاية هذه العقيدة التي تلازمها، وهي أن العقيدة جاءت لتغير عقائد الجاهلية وتغير الواقع الحيوي في حياة الناس، وتغير طريقة تفكيرهم، فهي عقيدة حيوية إيجابية، ولا يجوز جعلها صورة نظرية للدراسة والمعرفة الثقافية، بل يجب أن تترجم في نفوس حية وتتمثل في بناء جماعي وحركة واقعية تواجه الجاهلية من حولها، ويقرر سيد أن هذا هو طريق القرآن في بناء العقيدة، الذي لا تجوز مخالفته[1].

يقول سيد: " كان القرآن وهو يبني العقيدة في ضمائر الجماعة المسلمة يخوض بهذه الجماعة المسلمة معركة ضخمة مع الجاهلية من حولها، كما يخوض بها معركة ضخمة مع رواسب الجاهلية في ضميرها وأخلاقها وواقعها. ومن هذه الملابسات ظهر بناء العقيدة، لا في صورة نظرية، ولا في صورة لاهوت ولا في صورة جدل كلامي، ولكن في صورة تكوين تنظيمي مباشر للحياة، ممثل في الجماعة المسلمة ذاتها"[2]. ويقول: " كان يريد بناء الجماعة وبناء الحركة وبناء العقيدة في وقت واحد

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (2/115–1004).

[2] – المصدر السابق: (2/1012).

كان يريد أن يبني الجماعة والحركة بالعقيدة، وأن يبني العقيدة بالجماعة والحركة! كان يريد أن تكون العقيدة هي واقع الجماعة الفعلي، وأن يكون واقع الجماعة الحركي الفعلي هو صورة العقيدة..."[1].

أقول – والله أعلم– أن ما ذهب اليه سيد في هذه النقطة عين الصواب في حالة وجود الجاهلية كما هو حالنا اليوم، ولكن في حال وجود المجتمع الإسلامي الذي يطبق الإسلام بجميع جزيئاته لا يبقى لهذا الطرح معنى، فهذا نهج القرآن في تغير الجاهلية.

المطلب الخامس: تحديد دور العقل في فهم العقيدة

لقد تعرض سيد قطب في تفسيره لسورة الأنعام – وفي مواطن أخرى– لدور العقل البشري في التصور الإسلامي وعلاقته بالوحي، فقال: " إن هذا العقل الذي وهبه الله للإنسان قادر على تلقي ذلك الوحي، وإدراك مدلولاته، وهذه وظيفته، ثم هذه هي فرصته في النور والهداية؛ وفي الانضباط بهذا الضابط الصحيح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فأما حين يستقل هذا العقل البشري بنفسه بعيداً عن الوحي، فإنه يتعرض حينئذ للضلال والانحراف وسوء الرؤية، ونقص الرؤية، وسوء التقدير، وسوء التدبير. يتعرض لهذا كله بسبب طبيعة تركيبه ذاتها في رؤية الوجود أجزاء لا كلا واحداً. تجربة بعد تجربة، وحادثة بعد حادثة، وصورة بعد صورة، حيث يتعذر عليه أن يرى الوجود جملة، ليقيم على أساس هذه الرؤية الكاملة أحكاماً، ويضع على أساسها نظاماً، ملحوظاً فيه الشمول والتوازن"[2].

لهذا السبب يخلص إلى نتيجة مفادها: " لو كان الله – سبحانه – ... يعلم أن العقل البشري، الذي وهبه للإنسان، هو حسب هذا الإنسان في بلوغ الهدى لنفسه والمصلحة لحياته، في دنياه وآخرته، لوكله إلى هذا العقل وحده؛ يبحث عن دلائل الهدى وموحيات الإيمان في الأنفس والآفاق، ويرسم لنفسه كذلك المنهج الذي تقوم عليه حياته، فتستقيم على الحق والصواب؛ ولما أرسل إليه الرسل على مدى التاريخ؛ ولما جعل حجته على عباده هي رسالة الرسل إليهم؛ وتبليغهم عن ربهم؛ ولما جعل حجة الناس عنده – سبحانه – هي عدم مجيء الرسل إليهم: {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: 165].

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (1013/2).

[2] – المصدر السابق: (2/ 1098–1097).

ولكن لما علم الله – سبحانه – أن العقل الذي آتاه للإنسان أداة قاصرة بذاتها عن الوصول إلى الهدى – بغير توجيه من الرسالة وعون وضبط – وقاصرة كذلك عن رسم منهج للحياة الإنسانية يحقق المصلحة الصحيحة لهذه الحياة؛ وينجي صاحبه من سوء المآل في الدنيا والآخرة . لما علم الله – سبحانه – هذا شاءت حكمته وشاءت رحمته أن يبعث للناس بالرسل ، وألا يؤاخذ الناس إلا بعد الرسالة والتبليغ : { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء : 15] وهذه تكاد تكون إحدى البديهيات التي تبرز من هذا النص القرآني . . فإن لم تكن بديهية فهي إحدى المقتضيات الحتمية"[1].

ولو نظرنا في حقيقة العقيدة الإسلامية لوجدناها في معظمها غيبية عصية على الفكر البشري من حيث الإنشاء، لأن العقل لا يستطيع إدراك الغيب لأنه عالم غير محسوس، فلا مجال للعقل فيه غير التصديق أو التكذيب، فالله – سبحانه– بذاته وصفاته وأفعاله غيب، وكذلك الملائكة واليوم الآخر والقدر والرسل والكتب السابقة جميعها غيب.

يقول سيد: " إن عقيدة التوحيد الإسلامية، لا تدع مجالاً لأي تصور بشري عن ذات الله سبحانه؛ ولا عن كيفيات أفعاله. فالله سبحانه ليس كمثله شيء. ومن ثم لا مجال للتصور البشري لينشئ صورة عن ذات الله. فكل التصورات البشرية إنما تنشأ في حدود المحيط الذي يستخلصه العقل البشري مما حوله من أشياء. فإذا كان الله – سبحانه – ليس كمثله شيء، توقف التصور البشري إطلاقاً عن إنشاء صورة معينة لذاته تعالى. ومتى توقف عن إنشاء صورة معينة لذاته العلية فإنه يتوقف تبعاً لذلك عن تصور كيفيات أفعاله جميعاً. ولم يبق أمامه إلا مجال تدبر آثار هذه الأفعال في الوجود من حوله، وهذا هو مجاله"[2].

فمجال العقل في العقيدة عند سيد قطب محصور في التلقي وفهم مدلولات النصوص، وهو بذلك يرد على الفلاسفة الذين قالوا إن العقل يغني عن الوحي[3].

وفي نهاية هذا المبحث يتبين للباحث أن سيد قطب وضع لنفسه منهجاً واضحاً في فهم العقيدة وأخذها، ومنهجه يتلخص في أخذ العقيدة من النصوص قطعية الثبوت والدلالة، فلا يقوم فيها شيء على الظن، ولا يجوز التقليد فيها بغير دليل، ويلتزم طريقة القرآن في تكوين العقيدة من مخاطبة العقل والفطرة من خلال الأدلة المنثورة في الكون والنفس، ولا بد من ملاحظة دور العقيدة بالاعتبار في تغيير واقع الإنسان والمجتمع، ويحدد دور العقل بفهم الدليل.

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (806/2).

[2] – المصدر السابق: (3/ 1296).

[3] – انظر: المصدر السابق، (1089/2).

الفصل الثالث

خصائص العقيدة الإسلامية من خلال (في ظلال القرآن)

المبحث الأول: الربانية.

المبحث الثاني: الثبات.

المبحث الثالث: الشمول والكمال.

المبحث الرابع: إقناع العقل وموافقة الفطرة.

المبحث الخامس: السهولة واليسر.

المبحث السادس: حاكمة على العقائد.

المبحث السابع: الإيجابية.

المبحث الثامن: عقيدة ينبثق عنه نظام.

الفصل الثالث

خصائص العقيدة الإسلامية من خلال " في ظلال القرآن"

يبحث هذا الفصل في خصائص العقيدة الإسلامية التي تميزها عن سائر العقائد من خلال (في ظلال القرآن) لسيد قطب.

المبحث الأول

الربانية

أولى خصائص العقيدة الإسلامية وأهمها والتي ترجع وتضام اليها باقي خصائصها، خاصية الربانية، وقد أبرز سيد هذه الخاصية في تفسيره وسائر مؤلفاته، حيث جعل من هذه الخاصية قاعدة تنبثق منها سائر خصائص العقيدة الإسلامية والتصور الإسلامي[1].

والربانية عند سيد تعني: صدور هذه العقيدة عن الله تعالى وهي محصورة في هذا المصدر لا تستمد من غيره، فهي ليست نتاج الفكر البشري، فجميع حقائقها المتعلقة بالكون والإنسان والحياة، وحقيقة الارتباط بين هذه الثلاث وبين خالقها هي وحي الله للبشر. ومن هنا جاء تميزها عن سائر العقائد البشرية[2].

يقول سيد: " ومن ثم كان هنالك مصدر واحد يتلقى منه البشر التصور الصادق الكامل الشامل لحقيقة الوجود كله ولحقيقة الوجود الإنساني. ولغاية الوجود كله وغاية الوجود الإنساني.... مصدر واحد هو مصدر الرسالات، وما عداه ضلال وباطل، لأنه لا يتلقى عن ذلك المصدر الوحيد الواصل الموصول"[3].

ويقول عند قول الله تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا } [الإنسان : 23]، " وهي اللفتة الأولى إلى مصدر التكليف بهذه الدعوة ، وينبوع حقيقتها . . إنها من الله. هو مصدرها الوحيد. وهو الذي نزل بها القرآن. فليس لها مصدر آخر، ولا يمكن أن تختلط حقيقتها بشيء آخر لا يفيض من

---

[1] – انظر: سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، (51، 85، 109).

[2] – انظر: قطب، في **ظلال القرآن**، (1257/3)، والمصدر السابق، (ص: 51).

[3] – قطب، **في ظلال القرآن**، (281/1).

هذا الينبوع. وكل ما عدا هذا المصدر لا يُتلقى عنه، ولا يُستمد منه، ولا يُستعار لهذه العقيدة منه شيء، ولا يخلط بها منه شيء"[1].

ويركز سيد في مواطن كثيرة في تفسيره على الإيمان بالغيب، الذي ليس للعقل فيه موطئ قدم، فلا يستطيع العقل خوض هذا المجال، وبالنظر الى العقيدة تجدها غيب عن مدارك الانسان بجملتها، فلا سبيل للعقل أن ينشئ تصوراً عن الله وصفاته وأفعاله، ولا عن اليوم الآخر، أو الملائكة أو القدر أو ما غاب من أمر الأنبياء وكتبهم. نافياً أن تكون العقيدة من عمل البشر، فلا يمكن أن تكون عقيدة الإسلام إلا من الله.

وفي ذلك يقول: " إن عقيدة التوحيد الإسلامية، لا تدع مجالاً لأي تصور بشري عن ذات الله سبحانه؛ ولا عن كيفيات أفعاله، فالله سبحانه ليس كمثله شيء ومن ثم لا مجال للتصور البشري لينشئ صورة عن ذات الله. فكل التصورات البشرية إنما تنشأ في حدود المحيط الذي يستخلصه العقل البشري مما حوله من أشياء. فإذا كان الله –سبحانه – ليس كمثله شيء، توقف التصور البشري إطلاقاً عن إنشاء صورة معينة لذاته تعالى. ومتى توقف عن إنشاء صورة معينة لذاته العلية فإنه يتوقف تبعاً لذلك عن تصور كيفيات أفعاله جميعاً. ولم يبق أمامه إلا مجال تدبر آثار هذه الأفعال في الوجود من حوله، وهذا هو مجاله[2]". فيثبت بالشرع والعقل ربانية عقيدة الإسلام.

وكذلك تتجلى ربانية العقيدة عند سيد قطب بمجرد إجراء أي مقارنة بينها وبين أي تصور فلسفي، أو مذهب فكري، يقول: " التصور الذي جاء به القرآن قد أنشأه القرآن من الأساس، في كلياته وجزئياته، مع تعين مصدره الإلهي. فكل ما في هذا التصور يوحي بأنه ليس من عمل البشر، فليس من طبيعة البشر أن ينشئوا تصوراً كونياً كاملاً كهذا التصور، لم يسبق لهم هذا ولم يلحق، وهذا كل ما أبدعته قرائح البشر من تصورات للكون وللقوة المنشئة له المدبرة لنظامه، هذا هو معروضاً مسجلاً في الفلسفة وفي الشعر وفي غيرها من المذاهب الفكرية؛ فإذا قرن إلى التصور القرآني وضح أن هذا التصور صادر من جهة غير تلك الجهة! وأنه متفرد بطابع معين يميزه من كل تصورات البشر"[3].

وتظهر ربانية العقيدة عند سيد قطب في الأثر الضخم الذي حققته هذه العقيدة، في بناء الإنسان، والقيادة البشرية، والأثر العظيم في حياة الناس، يقول: " الدليل القاطع على أن هذه العقيدة حقيقة من عند الله؛ هو هذا الذي أثبته الواقع التاريخي من بلوغ البشرية باستقرار حقيقة الإيمان في حياتها ما

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (3785/6).

[2] – المصدر السابق: (1296/3).

[3] – المصدر السابق، (6/ 3686).

لم تبلغه قط بوسيلة أخرى من صنع البشر: لا علم، ولا فلسفة، ولا فن، ولا نظام من النظم. وأنها حين فقدت قيادة المؤمنين الحقيقيين لم ينفعها شيء من ذلك كله؛ بل انحدرت قيمها وموازينها وإنسانيتها، كما غرقت في الشقاء النفسي والحيرة الفكرية والأمراض العصبية، على الرغم من تقدمها الحضاري في سائر الميادين، وعلى الرغم من توافر عوامل الراحة البدنية والمتاع العقلي، وأسباب السعادة المادية بجملتها. ولكنها لم تنل السعادة والطمأنينة والراحة الإنسانية أبداً. ولم يرتفع تصورها للحياة قط كما ارتفع في ظل الحقيقة الإيمانية، ولم تتوثق صلتها بالوجود قط كما توثقت في ظل هذه العقيدة، ولم تشعر بكرامة النفس الإنسانية قط كما شعرت بها في تلك الفترة التي استقرت فيها تلك الحقيقة"[1].

ومن خلال هذه الخاصية يُبرز سيد قطب بعض القيم التي تنتج عن هذه الخاصية:

أولا: حفظ العقيدة من التبديل أو التحريف أو الزيادة أو النقصان لأنها محفوظة في مصدرها ومرجعها وهو القرآن الكريم المحفوظ بأمر الله، قال تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (الحجر:9)، فلن ينالها الدثور، ولن يطالها ما طال التصورات الاعتقادية السماوية من قبل، وستبقى هي العقيدة الوحيدة بأصلها الرباني ما دامت السماوات والأرض[2].

ثانياً: البراءة من النقص والجهل والهوى، فهذه صفات نتاج الفكر البشري لطبيعة تكوينه، ولكن الله تعالى مبرأ من هذا كله، وصفاته صفات الكمال[3].

ويمكن للباحث بعد هذا المبحث أن يعتقد، أن الميزان في صحة العقائد وبطلانها، يعود الى تحديد مصدر هذه العقيدة، فاذا كانت من الخالق فهي عقيدة صحيحة، وإذا كانت من الإنسان فهي باطلة، لقصور الإنسان عن الإحاطة بالوجود، ولعدم القدرة على بحث ما وراء الوجود (الغيب)، بشرط أن يطمئن إلى عدم اختلاط ما هو من عند الله بما هو من عند البشر، كحال العقيدة الإسلامية المحفوظة في كتاب الله، فلا يبقى في الأرض عقيدة صالحة إلا عقيدة التوحيد الإسلامية.

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (6/ 3709).

[2] – المصدر السابق، 2/ 841–842، وانظر: قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، (ص:51).

[3] – قطب، **في ظلال القرآن**، (3/1785–1784)، وانظر: قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، (ص:53).

المبحث الثاني

الثبات

من خاصية الربانية نشأت خاصية الثبات، فكون العقيدة الإسلامية صادرة عن الله وحده اكتسبت صفة الثبات على طول التاريخ البشري كله، وهي غير خاضعة لما تخضع له تقريرات البشر من التغير والتطور.

فمجال العقيدة متعلق بحقيقة تفسير الكون الذي يحيا به الإنسان وعلة نشأته، وبحقيقة نشأة الإنسان وغاية وجوده ودوره، والحياة الإنسانية وحقيقتها، وما وراء الكون والإنسان والحياة من قوة مدبرة، والعلاقة بين الخالق والخلائق، والمصير الذي ينتظر الإنسان والوجود. فهي إجابات للأسئلة الخالدة التي تساور كل إنسان بوصفه إنسانا بغض النظر عن الزمان والمكان. من أين جئت؟ لماذا جئت؟ إلى أين أذهب؟[1].

والحقائق لماهية الأشياء في علم الله ثابتة لا تتغير، خلافا للحقائق التي ينتجها العقل البشري المحدود والتي تحتمل الصواب والخطأ ويلحقها التغير والتبديل.

وفي ذلك يقول سيد قطب: " **إن** الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة، أما ما يصل إليه البحث الإنساني فهي حقائق غير نهائية ولا قاطعة؛ وهي مقيدة بحدود تجاربه وظروف هذه التجارب وأدواتها"[2].

فحقيقة وجود الله، وحقيقة أن كل ما في الوجود مخلوق لله، ووظيفة الإنسان العبادة، ودوره الخلافة والعمارة، وحقيقة الدنيا دار ابتلاء، والآخرة دار الجزاء، وغيرها من حقائق العقيدة الاسلامية، ثابتة لا تتغير بتغير الحياة الواقعية والأوضاع العملية. لهذا كانت عقيدة التوحيد ثابتة، ومن ثم فهي عقيدة الأنبياء والرسل جميعاً، فالذي جاء به النبي محمد – صلى الله وسلم – والذي جاء به الأنبياء من قبله حقيقة واحدة موحى بها من الله ولم تتبدل هذه الحقيقة في رسالة واحدة من الرسالات، وإنما كان

[1] – انظر: **قطب، في ظلال القرآن**، (3395/6).

[2] – المصدر السابق، (182/1).

الاختلاف في التفصيلات والشرائع المصاحبة للعقيدة الواحدة وفق حاجات الأجيال والأمم[1]، قال تعالى: { لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} (المائدة: 48).

هذا الجانب من وحدة العقيدة وثبوتها كان محل اهتمام القرآن الكريم، وجاء تباعاً محل اعتناء سيد قطب في تفسيره. فيقف سيد عند قول الأنبياء لأقوامهم: {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}[2] فيقول: " والسياق القرآني يوحد الألفاظ التي عبر بها جميع الرسل – صلوات الله عليهم – مع اختلاف لغاتهم . . يوحد حكاية ما قالوه، ويوحد ترجمته في نص واحد: {يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره}، وذلك لتحقيق معنى وحدة العقيدة السماوية – على مدار التاريخ – حتى في صورتها اللفظية! لأن هذه العبارة دقيقة في التعبير عن حقيقة العقيدة، ولأن عرضها في السياق بذاتها يصور وحدة العقيدة تصويراً حسياً، ولهذا كله دلالته في تقرير المنهج القرآني عن تاريخ العقيدة"[3].

وعند قول الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} (الأنبياء: 25)، يقول: " فالتوحيد هو قاعدة العقيدة منذ أن بعث الله الرسل للناس. لا تبديل فيها ولا تحويل. توحيد الإله وتوحيد المعبود. فلا انفصال بين الألوهية والربوبية؛ ولا مجال للشرك في الألوهية ولا في العبادة. قاعدة ثابتة ثبوت النواميس الكونية، متصلة بهذه النواميس وهي واحدة منها"[4].

والقرآن يُعبر عن كتب الأنبياء (بالكتاب)، قال الله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ} (البقرة: 213)، " وهو كتاب واحد في حقيقته، جاء به الرسل جميعاً . فهو كتاب واحد في أصله، وهي ملة واحدة في عمومها، وهو تصور واحد في قاعدته: إله واحد، ورب واحد، ومعبود واحد، ومشرّع واحد لبني الإنسان... ثم تختلف التفصيلات بعد ذلك وفق حاجات الأمم والأجيال"[5].

وجعل القرآن الكفر برسالة الواحد من الأنبياء كفر بجميع الرسل قال تعالى: { كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ } (الشعراء: 105)، وقال: { كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ} (الشعراء: 123)، وقال: { كَذَّبَتْ

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** (1/ 41، 118، 216، 284، 342. 3/1304–1305، 4/1844 ،1963، 2331،2100، 2396–2395. 5/2564،، 2607، 6/3708)، وانظر: **خصائص التصور الإسلامي**، (88–86).

[2] – انظر: الآيات: المائدة: (72، 117)، الأعراف (59، 65، 73، 85)، هود: (50، 61، 84)، المؤمنون: (23)، النمل: (23).

[3] – قطب، **في ظلال القرآن**، (3/1304).

[4] – المصدر السابق، (4/2374).

[5] – المصدر السابق، (1/216).

ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ} (الشعراء: 141)، مع أن كل قوم كذبوا رسولهم فقط، ولكن كون عقيدتهم واحدة، فمن كذب رسول واحد فكأنما كفر بالمرسلين جميعاً.

يقول سيد: " وقوم نوح لم يكذبوا إلا نوحاً. ولكنه يذكر أنهم كذبوا المرسلين. فالرسالة في أصلها واحدة، وهي دعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبودية له. فمن كذب بها فقد كذب بالمرسلين أجمعين، فهذه دعوتهم أجمعين. والقرآن يؤكد هذا المعنى ويقرره في مواضع كثيرة، بصيغ متعددة، لأنه كلية من كليات العقيدة الإسلامية، تحتضن بها الدعوات جميعاً... على مدار الرسالات ومدار القرون"[1].

وفي نهاية استعراض نماذج من الرسل في سورة الأنبياء، وعند قول الله تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 92]، يقول سيد: " إن هذه أمتكم، أمة الأنبياء، أمة واحدة، تدين بعقيدة واحدة"[2]. ويقول في موضع آخر: " إن أمة الرسل واحدة تقوم على عقيدة واحدة وملة واحدة، أساسها التوحيد... الذي دعت إليه الرسل منذ أولى الرسالات إلى أخراها دون تبديل ولا تغيير في هذا الأصل الكبير. إنما كانت التفصيلات والزيادات في مناهج الحياة القائمة على عقيدة التوحيد، بقدر استعداد كل أمة، وتطور كل جيل؛ وبقدر نمو مدارك البشرية ونمو تجاربها، واستعدادها لأنماط من التكاليف ومن التشريعات؛ وبقدر حاجاتها الجديدة التي نشأت من التجارب، ومن نمو الحياة ووسائلها وارتباطاتها جيلاً بعد جيل"[3].

من هذه النظرة يبين سيد قطب تهافت نظرية (تطور العقيدة) التي يقول بها عباس محمود العقاد وبعض علماء الأديان المقارن بدون تفريق بين العقائد الوثنية والعقيدة السماوية، وتقوم هذه النظرية على أن العقيدة مرت بطورين قبل بلوغ التوحيد في العبادة، فمن دور التعدد حيث كانت القبائل الأولى تتخذ لها أرباباً بالمئات إلى دور الترجيح والتمييز أو التثنية حيث تبقى الأرباب على كثرتها ويأخذ رب منها مكانة خاصة ويرجح على غيره، ثم يأتي الدور الأخير وهو توحد الأمة على رب واحد. فجعلت هذه النظرية جميع العقائد بلا استثناء متطورة[4].

---

[1] – – قطب، **في ظلال القرآن** ، (2607/5).

[2] – المصدر السابق، (2395/4).

[3] – المصدر السابق، (2397/4).

[4] – انظر: العقاد، عباس محمود، (ت: 1964م)، **الله**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون ذكر السنة والطبعة، (ص:22). انظر: في ظلال القرآن، 4(/1885-1884).

تصدى سيد للرد على هذه النظرية – من خلال خاصية الثبات – فيبطل هذه النظرية ويقرر أن آدم – عليه السلام– هبط الى الأرض بعقيدة التوحيد وعلمها لبنيه، فهي عقيدة البشر الأولى وأولها على الإطلاق ثم انحرفت البشرية الى التثنية وربما الى التعدد، ثم بعث نوحا – عليه السلام– ليعيد البشرية من عبادة الأرباب الى عبادة رب واحد، ثم كان الطوفان ولم يبق على الأرض من الكافرين ديارا ولم ينج الا الموحدون حتى طال الأمد على ذراري هؤلاء فاجتالتهم الشياطين عن عقيدة التوحيد فبعث الله اليهم رسولا اخر، وهكذا كان شأن كل رسول. ويخلص من أن العقيدة الإسلامية القائمة على ربوبية واحدة والوهية واحدة وعبودية شاملة هي عقيدة ربانية ثابتة، وهي عقيدة الأنبياء جمعيا، وأن العقائد الجاهلية بوثنيتها وأساطيرها وخرافاتها وأصنامها طارئة على البشر[1].

وتتجلى في خاصية الثبات قيمة عظيمة، يقول سيد قطب: " وهكذا تتلقى الأمة المسلمة تراث الرسالة كله؛ وتقوم على دين الله في الأرض، وهي الوارثة له كله؛ ويشعر المسلمون – من ثم – بضخامة دورهم في هذه الأرض إلى يوم القيامة. فهم الحراس على أعز رصيد عرفته البشرية في تاريخها الطويل. وهم المختارون لحمل راية الله – وراية الله وحدها – في الأرض، يواجهون بها رايات الجاهلية المختلفة الشارات، من قومية ووطنية وجنسية وعنصرية وصهيونية وصليبية واستعمارية وإلحادية . . إلى آخر شارات الجاهلية التي يرفعها الجاهليون في الأرض... إن رصيد الإيمان الذي تقوم الأمة المسلمة حارسة عليه في الأرض، ووارثة له منذ أقدم الرسالات، هو أكرم رصيد وأقومه في حياة البشرية. إنه رصيد من الهدى والنور، ومن الثقة والطمأنينة، ومن الرضى والسعادة، ومن المعرفة واليقين. وما يخلو قلب بشري من هذا الرصيد حتى يجتاحه القلق والظلام، وتعمره الوساوس والشكوك، ويستبد به الأسى والشقاء. ثم يروح بتخبط في ظلماء طاخية، لا يعرف أين يضع قدميه في التيه الكئيب!"[2].

وختاماً يمكن القول إن من آثار خاصية الثبات شعور المؤمن بالطمأنينة والعزة، فهو ينتمي لموكب رسل الله الكرام الذين حملوا لواء العقيدة الواحدة منذ فجر البشرية، مع شعوره بعظم المسؤولية في حمل هذه العقيدة للناس.

---

[1] – انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (1330/3، 1346. 4/ 1884–1885، 1944–1943، 2100).

[2] – المصدر السابق: (342/1).

المبحث الثالث

الشمول والكمال

خاصية الشمول والكمال منبثقة من خاصية الربانية، وإذا ذكر الشمول والكمال فهو من خصائص الصنعة الربانية، بخلاف ما يعتور نتاج الفكر الإنساني من القصور والنقص لطبيعة محدودية العقل والإدراك.

لقد فسرت عقيدة الإسلام حقيقة الكون والإنسان والحياة، وعما قبلها وما بعدها، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها تفسيرا شاملا كاملا، وأجابت عن جميع التساؤلات الملحة على العقل والنفس دون الهروب من مواجهة حتى ولو سؤال واحد، ودون الإحالة الى تصورات وأوهام لا تغني ولا تسمن، وسدت جوعة الفطرة والعقل في معرفة حقائق الوجود، فجاءت عقيدة ضخمة شاملة وتصورا كاملا للوجود كما لم تفسره ولم تصوره عقيدة قط[1].

يقول سيد: " القرآن المكي الذي ظل يتنزل على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ثلاثة عشر عاماً كاملة، يحدثه عن قضية واحدة لا تتغير... لقد كان يعالج القضية الأولى، والقضية الكبرى، والقضية الأساسية... قضية العقيدة... وهكذا انقضت ثلاثة عشر عاماً كاملة في تقرير هذه القضية الكبرى. التي ليس وراءها شيء في حياة الانسان إلا ما يقوم عليها من المقتضيات والتفريعات"[2]. وهذا يكشف عن مدى الشمول والكمال في جميع قضايا العقيدة.

وسيد يفسر هذا الشمول والكمال بصور شتى، فالعقيدة تعرف الناس بربهم تعريفا دقيقا كاملا شاملاً، فعرفت بذات الله تعالى وصفاته وأفعاله، وخصائص الألوهية وأثرها في الكون والإنسان والحياة. ووضحت العقيدة طبيعة الكون من حولهم، وخصائصه، وعلاقته بالخالق، وعلاقة الأنسان به، وتعرفهم بطبيعة الحياة ونشأتها ومصدرها، وتبين للناس حقيقة وجود الإنسان ومصدره ونشأته، وتكشف لهم عن غاية خلق الإنسان ودوره، ومصيره، وعلاقته بربه[3].

---

[1] – انظر :قطب **في ظلال القرآن**، (1/ 252، 1793/3، 1263.،6 / 3466، 3583).

[2] – المصدر السابق، (1004/2).

[3] – انظر: المصدر السابق، (1004/2، 1745/3، 3629/6–3628). وانظر: **خصائص التصور الإسلامي**، (111، 117، 123، 125).

ونمثل لصورة من هذه الصور: يقول سيد: " إحدى هذه الصور وأكبرها، رد هذا الوجود كله، بنشأته ابتداء، وحركته بعد نشأته، وكل انبثاقة فيه، وكل تحور وكل تغير وكل تطور. والهيمنة عليه وتدبيره وتصريفه وتنسيقه... الى إرادة الذات الإلهية السرمدية المطلقة... هذه الذات المريدة، القادرة، المطلقة المشيئة، المبدعة لهذا الكون، ولكل شيء فيه ولكل حي"[1].

وهكذا في كل حقيقة من حقائق العقيدة، فعقيدة الآخرة، والقدر، والنبوات، وسائر حقائق العقيدة جاء القرآن على بيانها بشمول وكمال تامين، فأعطت بذلك تصوراً شاملاً كاملاً للوجود وخالقه وحقيقة الصلات بين الخالق والمخلوقات ومصير الوجود، وأجابت عن جميع التساؤلات التي تساور الإنسان.

يقول سيد: " وإن الأمور لتظل مضطربة في حس الإنسان وتصوره، متأثرة بالتصورات المنحرفة، وبالمحاولات البشرية الناقصة، ثم يسمع آيات من القرآن في الموضوع الذي يساوره. فإذا النور الهادئ. والميزان الثابت. وإذا هو يجد كل شيء في موضعه، وكل أمر في مكانه، وكل حقيقة هادئة مستقرة لا تضطرب ولا تمور. ويحس بعدها أن نفسه استراحت، وأن باله هدأ، وأن عقله اطمأن إلى الحق الواضح، وقد زال الغبش والقلق واستقرت الأمور"[2].

ويؤكد سيد على حقيقة شمول العقيدة وكمالها وتنزيهها عن أي نقص يستدعي الإكمال، فعند قول الله تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة : 3]، يقول: " فأعلن لهم إكمال العقيدة، وإكمال الشريعة معا، فهذا هو الدين، ولم يعد للمؤمن أن يتصور أن بهذا الدين – بمعناه هذا – نقصا يستدعي الإكمال. ولا قصورا يستدعي الإضافة. ولا محلية أو زمانية تستدعي التطوير أو التحوير. وإلا فما هو بمؤمن؛ وما هو بمقر بصدق الله؛ وما هو بمرتض ما ارتضاه الله للمؤمنين!"[3].

ويمكن للباحث أن يدرك مقدار الطمأنينة التي تسكبها هذه العقيدة الشاملة الكاملة في قلوب المؤمنين بمجرد مقارنتها مع العقائد الأخرى، ودقة التصور لهذا الوجود والقوة الفاعلة فيه، ومعرفة وظيفته ودوره، فينطلق في هذه الحياة برؤية شاملة عميقة متوجها إلى صاحب السلطان الحقيقي في هذا الوجود.

---

[1] – قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، (ص: 110).

[2] – قطب، **في ظلال القرآن**، (3395/6).

[3] – المصدر السابق، (843/2).

المبحث الرابع

إقناع العقل وموافقة الفطرة

ركز سيد قطب على حقيقة أن الإنسان بما وهبه الله من عقل وما فُطر عليه من تديُّن، مدفوع إلى إيجاد تفسير لهذا الوجود، وإلى خالق مدبر وراء هذا الوجود، وبالتالي لا بد للعقيدة أن تكون مقنعة لعقل الإنسان مطمئنة لفطرته، وهذه خاصية للعقيدة الإسلامية.

يقول سيد: " والنظر بالقلب المفتوح والعين المبصرة في هذا الملكوت الواسع الهائل العظيم، يكفي وحده لانتفاض الفطرة من تحت الركام، وتفتح الكينونة البشرية لإدراك الحق الكامن فيه، والإبداع الذي يشهد به، والإعجاز الذي يدل على البارئ الواحد القدير، والنظر إلى ما خلق الله من شيء... يدهش القلب ويحير الفكر، ويلجئ العقل إلى البحث عن مصدر هذا كله، وعن الإرادة التي أوجدت هذا الخلق على هذا النظام المقصود المشهور"[1].

والمقصود بالفطرة في هذا المبحث عند سيد قطب: عهد الله على البشر بعقيدة التوحيد وهم في عالم الذر، كما يدل عليه قول الله تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} [الأعراف : 172 ، 173]، فالاعتراف والاقرار بربوبية الله عز وجل وتوحيده بالعبودية عهد الله على البشر أخذه عليهم وهم في عالم الذر قبل أن يظهروا الى العالم المشهود. فحقيقة التوحيد مركوزة في فطرة كل إنسان وهي لا تمحى ولا تبطل وتطالبه بالتوجه الى الخالق الذي تعرفه[2].

وقد استدل دراز على فطرية التدين من خلال أقوال الفلاسفة في ملاحظة التلازم بين التدين والبشر في عصورهم المختلفة[3].

ومن الجدير بالذكر هنا أن سيد اهتدى من خلال آيات العقيدة – والقرآن بشكل عام– أن أسلوب القرآن في طرح قضايا العقيدة يجمع بين خطاب العقل والفطرة، وهو أسلوب متميز، يقول سيد: "

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (3/ 1405).

[2] – انظر: المصدر السابق، (3/1395–1392).

[3] – انظر: دراز، **الدين**، (83–79).

وتبقى مزية المنهج القرآني في مخاطبة الفطرة بالحقائق الكونية، لا في صورة « نظرية » ولكن في صورة « واقعية » . . صورة تتجلى من ورائها يد المبدع، وتقديره، ورحمته، وتدبيره. صورة مؤثرة في العقل والقلب، موحية للبصيرة والوعي، دافعة إلى التدبر والتذكر، وإلى استخدام العلم والمعرفة للوصول إلى الحقيقة الكبرى المتناسقة"[1].

ويقول: " إن قضية العقيدة – كما جاء بها هذا الدين – قضية اقتناع بعد البيان والإدراك؛ وليست قضية إكراه وغصب وإجبار. ولقد جاء هذا الدين يخاطب الإدراك البشري بكل قواه وطاقاته. يخاطب العقل المفكر، والبداهة الناطقة، ويخاطب الوجدان المنفعل، كما يخاطب الفطرة المستكنة. يخاطب الكيان البشري كله، والإدراك البشري بكل جوانبه"[2].

العقل إذاً هو أداة الفهم والإدراك في تركيبة الإنسان، وهو يلح ويلجئ الإنسان عند ملاحظة الأشياء في هذا الكون الفسيح وملاحظة توازن هذه الأشياء وتناسقها إلى معرفة مصدرها ومعرفة الإرادة التي صدرت عنها هذه الأشياء بهذا النظام المقصود. فهو يرى الحياة التي تدب فيه وفي الأحياء من حوله وسط كون ميت تنعدم فيه الحياة، فكيف من الموت قد تنشأ الحياة! وكيف يتولد الإنسان الكريم من الماء المهين؟ ومن الذي يمسك بعجلة التوازن في الأجيال المتعددة؟ لماذا لا يأتي زمان ينسل فيه ذكوراً فقط او إناثاً فقط فتنقطع الحياة! ومن يبقي على حالة التوازن بين الموت والحياة[3]؟

هذه التساؤلات وأمثالها تحتاج إلى إجابة مقنعة للعقل، والإجابة الوحيدة المقنعة –كما بينتها العقيدة الإسلامية– هو الله تعالى، الذي أبدع هذا الخلق ونظمه ودبر أمره، وتستجيب الفطرة لهذه الإجابة وتطمئن لها لأنها مفطورة عليها كما مر.

وكل تفسير لهذا الوجود يناقض العقل ولا يستجيب لهتاف الفطرة هو تفسير لا يفلح ولا يصلح ولا يبقى، يقول سيد:" إن القول بأن هذا الكون موجود بذاته؛ وفيه كل تلك النواميس المتوافقة لحفظه وتحريكه وتدبيره؛ كما أن فيه كل تلك الموافقات لنشأة الحياة في بعض أجزائه . . وهي موافقات لا تحصى . . إن هذا القول بذاته يرفضه العقل البشري، كما ترفضه الفطرة من أعماقها... إن الكون

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (1159/2).

[2] – المصدر السابق، (291/1).

[3] – انظر: المصدر السابق، (52/1، 3/ 1406–1405).

لا يملك أن يخلق ذاته، ثم يخلق في الوقت نفسه قوانينه التي تصرف وجوده. كما أن نشأة الحياة لا يفسرها وجود الكون الخالي من الحياة. وتفسير نشأة الكون ونشأة الحياة بدون وجود خالق مدبر تفسير متعسف ترفضه الفطرة كما يرفضه العقل أيضا: كما أخذ يرفضه العلم المادي نفسه أخيرا"[1]. وكذلك التوجه بالعبادة والتقديس الى مظهر من مظاهر الطبيعة كالكواكب والنجوم أو صنما من حجر أو وثنا من خشب، يمثل انحرافاً وتشويهاً لفطرة الإنسان لأنها تعرف ربها بموجب الفطرة . وهذه المعبودات في نظر العقل السليم عاجزة عن خلق ذاتها أو حتى بالدفاع عن ذاتها... فما هي بالتي تستحق أن تعبد؛ وما هي بالتي تتخذ آلهة أو تتخذ واسطة بين الرب والعبد[2]!.

يتبين مما سبق مدى حرص سيد قطب على تقديم عقيدة التوحيد باعتبارها العقيدة الوحيدة التي تستجيب لهتاف الفطرة، وتملأ عقل الإنسان قناعة، فتتوحد الفطرة والعقل على وحدانية الخالق وتوحيد العبادة، الذي خلق وأبدع الوجود من عدم، المتصف بصفات الكمال والجلال والجمال، وهو يرعى ويعتني بهذا الوجود ويقيمه على التوازن والتناسق، والنتيجة طمأنينة في النفس والعقل، مما يجعل لهذه الخاصية قيمة كبيرة في حياة الإنسان.

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** ، (2130/4).

[2] – انظر: المصدر السابق، (1138/2).

المبحث الخامس

السهولة واليسر

يعتقد سيد قطب أن الحقائق التي تقدمها العقيدة الإسلامية هي مطلب أساسي لكل إنسان كمطلب الطعام والشراب[1]. ومن المعروف أن لياقات البشر العقلية متفاوتة، فكان حقاً على كل عقيدة أن تجيب كل أحد من الناس مهما كان رصيده من العلم.

ومن خصائص العقيدة الإسلامية التي تميزها أنها تعطي حقائق العقيدة بكل سهولة ويسر، وتحل العقدة الكبرى في حياة الإنسان بدون تعقيد زائد كما تعقده مباحث الفلسفة وعلوم المنطق[2].

وسيد يقف عند هذه الحقيقة ويبرزها في أكثر من موضع، يقول: " وهنا في القرآن يتخذ من أبسط المشاهدات المألوفة للبشر مادة لبناء أضخم عقيدة دينية وأوسع تصور كوني. المشاهدات التي تدخل في تجارب كل إنسان: النسل. الزرع. والماء. والنار. والموت. أي إنسان على ظهر هذه الأرض لم تدخل هذه المشاهدات في تجاربه؟ أي ساكن كهف لم يشهد نشأة حياة جنينية، ونشأة حياة نباتية. ومسقط ماء. وموقد نار. ولحظة وفاة؟ . . من هذه المشاهدات التي رآها كل إنسان ينشئ القرآن العقيدة، لأنه يخاطب كل إنسان في كل بيئة. وهذه المشاهدات البسيطة الساذجة بذاتها هي أضخم الحقائق الكونية، وأعظم الأسرار الربانية؛ فهي في بساطتها تخاطب فطرة كل إنسان"[3].

ويقول عند قول الله تعالى: {ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون} (الواقعة: 62)، " بهذه البساطة وبهذه السهولة يعرض القرآن قصة النشأة الأولى والنشأة الآخرة ... وبهذه البساطة وهذه السهولة يقف الفطرة أمام المنطق الذي تعرفه، ولا تملك أن تجادل فيه. لأنه مأخوذ من بديهياتها هي، ومن مشاهدات البشر في حياتهم القريبة. بلا تعقيد. ولا تجريد. ولا فلسفة تكد الأذهان، ولا تبلغ إلى الوجدان، إنها طريقة الله. مبدع الكون، وخالق الإنسان، ومنزل القرآن"[4].

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** ، (1788/3، 299/1).

[2] – انظر، الغزالي، أبو حامد، محمد الطوسي، (ت: 505هـ)، **تهافت الفلاسفة**، تحقيق: د. سليمان دنيا، الناشر: دار المعارف–مصر، ط:4، بدون السنة، (ص:90–91).

[3] – قطب، **في ظلال القرآن** ، (1794/3–1793).

[4] – المصدر السابق، (3468/6).

وليس أدل على سهولة هذه العقيدة ويسرها من أن أول المتلقين لها كانوا أميين، وصفهم سيد بقوله: " أميين جهالاً... وما كان لهم من المعرفة شيء ذو قيمة بالمقاييس العالمية للمعرفة في أي باب من الأبواب. وما كان لهم في حياتهم من هموم كبيرة تنشئ معرفة ذات قيمة عالمية في أي باب من الأبواب"[1]. ومع هذه الأمية دخلت العقيدة بيسر وسهولة إلى قلوبهم وأصبحوا بها حكماء الدنيا وأساتذة العالم في فهم الوجود وعلاقته بخالقه، وهكذا كان أمر العقيدة مع شعوب العالم باختلاف علومهم وثقافاتهم سهلة ميسرة واضحة غير متعسرة على أحد.

ولمزيد توضيح لهذه الخاصية نضرب مثالا من عقيدة النصارى بعد أن تسربت اليها الوثنيات والفلسفة واختلط فيها الحق بالباطل بما يتعلق بعقيدة " التثليث" والغموض الذي يكتنفها، فجميع مذاهب النصارى تقول: المسيح ابن الله وأنه ثالث ثلاثة[2]. وأنقل بعض التفاسير لبيان التثليث، يقول الشيخ محمد رشيد رضا: "وأما تعليم الكنيسة فقد قرره المجمع النيقاوي سنة 325 للميلاد ، ومجمع القسطنطينية سنة 381 وقد حكما بأن الابن والروح القدس مساويان للأب في وحدة اللاهوت ، وأن الابن قد ولد منذ الأزل من الأب ، وأن الروح القدس منبثق من الأب أيضاً، ومجمع طليطلة المنعقد سنة 589 حكم بأن الروح القدس منبثق من الابن أيضاً ، وقد قبلت الكنيسة اللاتينية بأسرها هذه الزيادة وتمسكت بها ، وأما الكنيسة اليونانية فمع أنها كانت في أول الأمر ساكتة لا تقاوم قد أقامت الحجة فيما بعد على تغيير القانون حاسبة ذلك بدعة ...وقد أطلق » سويد تيراغ « الثالوث على أقنوم المسيح معلماً بثالوث . ولكن لا ثالوث الأقانيم بل ثالوث الأقنوم. وكان يفهم بذلك أن ما هو إلهي في طبيعة المسيح هو الأب، وأن الإلهي الذي اتحد بناسوت المسيح هو الابن، وأن الإلهي الذي انبثق منه هو الروح القدس"[3].

ويقول سيد: " وما تزال فكرة التثليث تصدم عقول المثقفين من النصارى، فيحاول رجال الكنيسة أن يجعلوها مقبولة لهم بشتى الطرق، ومن بينها الإحالة إلى مجهولات لا ينكشف سرها للبشر إلا يوم ينكشف الحجاب عن كل ما في السماوات وما في الأرض! يقول القس بوطر صاحب رسالة:

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** ، (511/1).

[2] – انظر: محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، 288/10–290، قطب، **في ظلال القرآن**: 1638/3.

[3] – محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ، (289/10).

(الأصول والفروع) أحد شراح العقيدة النصرانية، في هذه القضية: " قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ونرجو أن نفهمه فهما أكثر جلاء في المستقبل، حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السماوات والأرض"[1].

وترد العقيدة الإسلامية على مثل هذه الضلالات بنص لا لبس فيه ولا غموض، يقول الله تعالى: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : 171]

وقال: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: 59].

يقول سيد: "وهكذا تتجلى بساطة هذه الحقيقة، حقيقة عيسى، وحقيقة آدم، وحقيقة الخلق كله. وتدخل إلى النفس في يسر وفي وضوح، حتى ليعجب الإنسان: كيف ثار الجدل حول هذا الحادث، وهو جار وفق السنة الكبرى. سنة الخلق والنشأة جميعاً!"[2]

وما كان لمثل هذا الجدل والخلط بين مقام الألوهية والعبودية أن يحصل في عقيدة الإسلام التي وضحت بسهولة وحسم وجزم بالغ بين المقامين، بآيات كثيرة جدا منها، قوله تعالى: { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ }(البقرة: 163)، { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} (آل عمران: 2)

يقول سيد قطب: " وإن جمال هذه العقيدة وكمالها وتناسقها وبساطة الحقيقة الكبيرة التي تمثلها، كل هذا لا يتجلى للقلب والعقل كما يتجلى من مراجعة ركام الجاهلية من العقائد والتصورات، والأساطير والفلسفات! وبخاصة موضوع الحقيقة الإلهية وعلاقتها بالعالم، عندئذ تبدو العقيدة الإسلامية رحمة. رحمة حقيقية للقلب والعقل، رحمة بما فيها من جمال وبساطة، ووضوح وتناسق، وقرب وأنس، وتجاوب مع الفطرة مباشر عميق"[3].

ويقول: " وطالما عجبت وأنا أطالع تصورات كبار الفلاسفة؛ وألاحظ العناء القاتل الذي يزاولونه، وهم يحاولون تفسير هذا الوجود وارتباطاته؛ كما يحاول الطفل الصغير حل معادلة رياضية هائلة، وأمامي التصور القرآني واضحاً ناصعاً سهلاً هيناً ميسراً طبيعياً، لا عوج فيه ولا لف ولا تعقيد ولا

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** ، (816/2).

[2] – المصدر السابق، (405/1).

[3] – المصدر السابق، (24/1).

التواء. وهذا طبيعي. فالتفسير القرآني للوجود هو تفسير صانع هذا الوجود لطبيعته وارتباطاته، أما تصورات الفلاسفة فهي محاولات أجزاء صغيرة من هذا الوجود لتفسير الوجود كله. والعاقبة معروفة لمثل هذه المحاولات البائسة!"[1].

ويسر هذه العقيدة وسهولتها ماثل أمامنا اليوم، فكثير من أبناء هذه الأمة من مختلف شعوب الأرض يدينون لإله واحد ورب واحد، لم يختلط في أذهانهم مقام الألوهة مع مقام النبوة، يؤمنون باليوم الآخر وسائر حقائق العقيدة مع قلة زادهم من علوم الدنيا، أو ربما مع أميتهم، وإن وجد التشويش على بعض حقائق العقيدة فذلك لمكر أعدائهم ولتخاذلنا في طلب العلم، وليس لطبيعة العقيدة ذاتها.

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** ، (6/3395-3394).

المبحث السادس

حاكمة على العقائد

هذه الخاصية مستندها خاصيات العقيدة التي سبقتها، فكونها ربانية محفوظة وشاملة كاملة وثابتة وقطعية ومقنعة للعقل موافقة للفطرة خولتها الصلاحية الكاملة لأن تكون حاكمة على العقائد ومصححة لها وللقيم والموازين في كل زمان ومكان.

لقد بُعث النبي– صلى الله عليه وسلم– بعقيدة التوحيد وفي العالم ركام من العقائد والتصورات والفلسفات اختلط فيها الغث بالسمين والحق بالباطل والدين بالخرافة، فحرفت التوراة وتسربت الفلسفة وعقائد الاغريق والرومان وقدماء المصرين الى الديانة النصرانية، وعقائد العرب خليط من بقايا الحنيفية وخرافات البشر وترهات الجاهلية والوثنيات القديمة، فاضطرب مفهوم البشر في تصورهم للخالق–عز وجل– وصفاته وعلاقته بالوجود وبالإنسان على وجه الخصوص[1].

يقول سيد: " ولقد تولى القرآن الكريم تصحيح عقائد أهل الكتاب التي جاء فوجدها مليئة بالتحريفات مشحونة بالأساطير؛ كما تولى تصحيح عقائد المشركين، المتخلفة من بقايا الحنيفية دين إبراهيم – عليه السلام – في الجزيرة العربية ومن ركام فوقها من أساطير البشر وترهات الجاهلية! لا بل جاء الإسلام ليتولى تصحيح العقيدة في الله للبشر أجمعين؛ وينقذها من كل انحراف وكل اختلال، وكل غلو، وكل تفريط، في تفكير البشر أجمعين، فصحح – فيما صحح – اختلالات تصور التوحيد في أراء أرسطو في أثينا قبل الميلاد، وأفلوطين في الإسكندرية بعد الميلاد؛ وما بينهما وما تلاهما من شتى التصورات في شتى الفلسفات التي كانت تخبط في التيه ، معتمدة على ذبالة العقل البشري ، الذي لا بد أن تعينه الرسالة ، ليهتدي في هذا التيه!"[2].

ويقول في موضع آخر: " فلا بد من قاعدة للحكم على عقائد الناس وتصوراتهم وقيمهم وموازينهم ونشاطهم وأعمالهم. لا بد من قاعدة لتقرير ما هو الحق وما هو الباطل في هذا كله – كي لا يكون الأمر في هذه المقومات هو أمر هوى الناس المتقلب واصطلاحهم الذي لا يقوم على علم مستيقن"[3].

---

[1] – انظر مبحث نماذج من عقائد الجاهلية، ص: (30–26).

[2] – قطب، **في ظلال القرآن**، (815/2).

[3] – المصدر السابق، (1196/3).

وحكم العقيدة على عقائد المشركين وأهل الكتاب بالبطلان وتصحيح عقائد في القرآن كثير، نذكر منها على سبيل التمثيل:

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ } [المائدة : 64].

{ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [آل عمران : 59].

{ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [النحل : 38].

{ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [يونس : 68].

وسيد قطب جعل من العقيدة قاعدة يحاكم عليها التصورات الفلسفية:

من ذلك قول أرسطو: " الله أوجد هذا الكون ثم لم يعد يهتم به، لأن الله أرقى من أن يفكر فيما هو دونه! فهو لا يفكر إلا في ذاته! وأرسطو – وهذا تصوره – هو أكبر الفلاسفة ، وعقله هو أكبر العقول!"[1].

فمن تفسير (رب العالمين) يقول سيد: " لتتجه العوالم كلها إلى رب واحد، تقر له بالسيادة المطلقة، وتنفض عن كاهلها زحمة الأرباب المتفرقة، وعنت الحيرة كذلك بين شتى الأرباب... ثم ليطمئن ضمير هذه العوالم إلى رعاية الله الدائمة وربوبيته القائمة. وإلى أن هذه الرعاية لا تنقطع أبداً ولا تفتر ولا تغيب، لا كما كان أرقى تصور فلسفي لأرسطو"[2].

ومن خلال (الرحمن الرحيم) يرد على أساطير الإغريق والعهد القديم، يقول: " إنها صلة الرحمة والرعاية التي تستجيش الحمد والثناء. إنها الصلة التي تقوم على الطمأنينة وتنبض بالمودة، فالحمد هو الاستجابة الفطرية للرحمة الندية. إن الرب الإله في الإسلام لا يطارد عباده مطاردة الخصوم والأعداء كآلهة الأولمب في نزواتها وثوراتها كما تصورها أساطير الإغريق. ولا يدبر لهم المكائد

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** ، (23/1).

[2] – المصدر السابق، (23/1).

الانتقامية كما تزعم الأساطير المزورة في « العهد القديم » كالذي جاء في أسطورة برج بابل في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين"[1].

ويحاكم سيد عقيدة العالم الغربي على العقيدة الإسلامية، فعند قول الله تعالى: " { قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ} [الأنعام : 12] }، يقول: " ولقد كان العرب في جاهليتهم – على كل ما في هذه الجاهلية من ضلال في التصور ينشأ عنه انحطاط في الحياة – أرقى – في هذا الجانب – من الجاهلية « العلمية » الحديثة ، التي لا تعرف هذه الحقيقة ، والتي تغلق فطرتها وتعطلها دون رؤية هذه الحقيقة! كانوا يعرفون ويقررون أن لله ما في السماوات والأرض. ولكنهم ما كانوا يرتبون على هذه الحقيقة نتائجها المنطقية؛ بإفراد الله سبحانه بالحاكمية فيما يملك... فكيف بمن يخرجون الحاكمية في أمرهم كله من اختصاص الله سبحانه؛ ويزاولونها هم بأنفسهم؟! بماذا يوصفون وبماذا توصف حياتهم؟ لا بد من إعطائهم صفة أخرى غير الشرك، فهو الكفر والظلم والفسق كما يقرر الله سبحانه"[2].

ويقول في إنكار الغيب (هنا الملائكة) من قبل الجاهلية العلمية كما يصفها:

" العرب في جاهليتهم – على كل ما في هذه الجاهلية من خطأ في التصور – كانوا (من هذا الجانب) أرقى من أهل الجاهلية (العلمية!) الحديثة؛ الذين يسخرون من الغيب كله! ويعدون الإيمان بمثل هذه العوالم الغيبية سذاجة غير علمية! ويضعون « الغيبية » في كفة، و « العلمية » في الكفة الأخرى! ... هذه الدعوى التي لا سند لها من العلم، كما أنه لا سند لها من الدين. ونسأل: ماذا عند أدعياء العقلية « العلمية »، من علمهم ذاته ، يحتم عليهم نفي هذا الخلق المسمى بالملائكة، وإبعاده عن دائرة التصور والتصديق؟ ماذا لديهم من علم يوجب عليهم ذلك؟"[3].

وهكذا يسير قطب على خطى القرآن في جعل العقيدة حاكمة ومصححه لسائر العقائد والأفكار السابقة والحاضرة، وهذا هو الحق، فالعقيدة تصلح بخصائصها أن تكون قاعدة فكرية يحاكم على أساسها كل تصور عن الكون والإنسان والحياة.

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** ، (24/1).

[2] – المصدر السابق، (1048/2).

[3] – المصدر السابق، (1042/2).

المبحث السابع

الإيجابية

يتناول سيد إيجابية العقيدة الإسلامية في تفسيره من عدة وجوه، أهمها: أن تتمثل هذه العقيدة في تنظيم عضوي يجابه الجاهلية، فالعقيدة حركة إيجابية في النفس والجماعة والمجتمع، يقول سيد: " كان القرآن وهو يبني العقيدة في ضمائر الجماعة المسلمة كان يخوض بهذه الجماعة معركة ضخمة مع الجاهلية من حولها، كما يخوض بها ضخمة مع رواسب الجاهلية في ضميرها وأخلاقها وواقعها. ومن هذه الملابسات ظهر بناء العقيدة، لا في صورة نظرية، ولا في صورة لاهوت ولا في صورة جدل كلامي، ولكن في صورة تكوين تنظيمي مباشر للحياة، ممثل في الجماعة المسلمة ذاتها"[1]. وفي موضع آخر يقول: " كان يريد بناء الجماعة وبناء الحركة وبناء العقيدة في وقت واحد كان يريد أن يبني الجماعة والحركة بالعقيدة، وأن يبني العقيدة بالجماعة والحركة! كان يريد أن تكون العقيدة هي واقع الجماعة الفعلي، وأن يكون واقع الجماعة الحركي الفعلي هو صورة العقيدة"[2].

والحقيقة أن الواقع يصدق هذه الحقيقية، وأعظم ما يستدل به على صدقها، أن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم–، هو أول من تمثلت به هذه العقيدة بجميع خصائصها[3]. بُعث بالعقيدة فردا فأنشئ بها ولها جماعة هم خير رجال الدنيا – رضي الله عنهم– فأقاموا دولة صغيرة على أساس العقيدة، فدولة عظيمة، فحضارة إنسانية قدمت للبشرية مالم تقدمه حضارة أخرى في زمن قياسي يصعب فهمه. وما زالت الى اليوم من أكثر عقائد الدنيا اتباعا مع أفول حضارتها –لا لقصورها وعدم صلاحيتها وإنما لتقاعس حملتها–، وهي صالحة لتعاود الكرة من جديد بإذن الله.

وكذلك تبرز إيجابية العقيدة عند سيد كونها دافعة للحركة في الحياة، والأعمال الصالحة هي الثمرة الطبيعية للإيمان، يقول: " والعمل الصالح وهو الثمرة الطبيعية للإيمان، والحركة الذاتية التي تبدأ في ذات اللحظة التي تستقر فيها حقيقة الإيمان في القلب. فالإيمان حقيقة إيجابية متحركة. ما إن تستقر في الضمير حتى تسعى بذاتها إلى تحقيق ذاتها في الخارج في صورة عمل صالح، هذا هو الإيمان

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** ، (1012/2).

[2] – المصدر السابق، (1013/2).

[3]– انظر: المصدر السابق، (6/ 3609).

الإسلامي، لا يمكن أن يظل خامداً لا يتحرك، كامناً لا يتبدى في صورة حية خارج ذات المؤمن... فإن لم يتحرك هذه الحركة الطبيعية فهو مزيف أو ميت ... ومن هنا قيمة الإيمان، إنه حركة عمل وبناء وتعمير، يتجه إلى الله، إنه ليس انكماشاً وسلبية وانزواء في مكنونات الضمير. وليس مجرد النوايا الطيبة التي لا تتمثل في حركة وهذه طبيعة الإسلام البارزة التي تجعل منة قوة بناء كبرى في صميم الحياة "[1].

ومن جهة أخرى ينظر سيد لكل حقيقة من حقائق العقيدة أنها لها إيجابية معينة، فصفات الله كما بينتها العقيدة الإسلامية صفات إيجابية، فعند قول الله تعالى: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران : 18]، يقول: " يؤكد حقيقة وحدة الألوهية مرة أخرى في الآية الواحدة، مصحوبة بصفة العزة وصفة الحكمة. والقدرة والحكمة لازمتان كلتاهما للقوامة بالقسط. فالقسط يقوم على وضع الأمور في مواضعها مع القدرة على إنفاذها. وصفات الله سبحانه تصور وتوحي بالفاعلية الإيجابية. فلا سلبية في التصور الإسلامي لله. وهو أكمل تصور وأصدقه لأنه وصف الله لنفسه سبحانه. وقيمة هذه الفاعلية الإيجابية أنها تعلق القلب بالله وإرادته وفعله، فتصبح العقيدة مؤثراً حياً دافعاً لا مجرد تصور فكري بارد!"[2].

ويقف عند صفة القيوم وهو يفسر قول الله تعالى: { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } [البقرة : 255]، فيقول: " أما صفة {القيوم} فتعني قيامه – سبحانه – على كل موجود. كما تعني قيام كل موجود به فلا قيام لشيء إلا مرتكناً إلى وجوده وتدبيره ... لا كما كان أكبر فلاسفة الإغريق – أرسطو – يتصور أن الله لا يفكر في شيء من مخلوقاته، لأنه تعالى أن يفكر في غير ذاته! ويحسب أن في هذا التصور تنزيهاً لله وتعظيماً؛ وهو يقطع الصلة بينه وبين هذا الوجود الذي خلقه وتركه، فالتصور الإسلامي تصور إيجابي لا سلبي. يقوم على أساس أن الله – سبحانه – قائم على كل شيء وأن كل شيء، قائم في وجوده على إرادة الله وتدبيره . . ومن ثم يظل ضمير المسلم وحياته ووجوده ووجود كل شيء من حوله مرتبطا بالله الواحد؛ الذي يصرّف أمره وأمر كل شيء حوله، وفق حكمة وتدبير،

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** ، (3967/6)، وانظر: (2397/4، 2525).

[2] – المصدر السابق، (379/1).

فيلتزم الإنسان في حياته بالمنهج المرسوم القائم على الحكمة والتدبير؛ ويستمد منه قيمه وموازينه، ويراقبه وهو يستخدم هذه القيم والموازين"[1].

والفرق واضح بين من يعتقد باله واحد له صفات الكمال، ومن يعتقد بالهين متنازعين كعقيدة الفرس، أو الهة متفرقة كما تقول الوثنيات، وفرق كبير من يعتقد إلهه الطبيعة الخرساء الصماء وبين من يعتقد باله حي لا يموت، الصمد الذي تلجئ اليه الخلائق في كل شيء، القائم بالعدل بالقسط[2].

ولنأخذ طرفا من العقيدة الإسلامية توضح نظرتها للكون وموقع الإنسان في علاقته مع الكون بكل ما فيه، من زاوية تسخير الكون للإنسان مع إعطاءه الأدوات الصالحة للإفادة من هذا التسخير، وهي نظرة واقعية تجعل من الإنسان فاعلا مؤثرا[3]. قال تعالى:{ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [الجاثية : 12 ، 13]، وقال:{ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [البقرة : 29]، وقال: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ } [الأعراف : 10].

يقول سيد قطب: " وفي ظل هذا التصور يعيش الإنسان في كون مأنوس صديق ... إن هذا التصور لا يكفه عن الحركة لاستطلاع أسرار الوجود والتعرف إلى نواميسه . . على العكس، هو يشجعه ويملأ قلبه ثقة وطمأنينة، إنه يتحرك في مواجهة كون صديق لا يبخل عليه بأسراره، ولا يمنع عنه مدده وعونه، وليس في مواجهة كون عدو يتربص به ويعاكس اتجاهاته ويسحق أحلامه وآماله!"[4].

ويرى سيد في عقيدة اليوم الآخر إيجابية كبيرة في حياة البشر، فيقول: " ولقد علم الله أن أمة من الأمم لا تملك أن تقود البشرية وتشهد عليها – كما هي وظيفة الأمة المسلمة – إلا أن تكون عقيدة الآخرة واضحة لها راسخة في ضميرها، فتصور الحياة على أنها هذه الفترة المحدودة بحدود هذه الحياة الدنيا ، وحدود هذه الأرض الصغيرة ، لا يمكن أن ينشئ أمة هذه صفتها وهذه وظيفتها! إن العقيدة في الآخرة فسحة في التصور، وسعة في النفس، وامتداد في الحياة ضروري في تكوين النفس

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** ، (287/1).

[2] – قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، (199-177).

[3] . انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (1/ 54).

[4] – المصدر السابق، (3/ 1263-1266).

البشرية ذاتها، لتصلح أن تناط بها تلك الوظيفة الكبيرة. كذلك هي ضرورية لضبط النفس عن شهواتها الصغيرة ومطامعها المحدودة؛ ولفسحة مجال الحركة حتى لا تيئسها النتائج القريبة ولا تقعدها التضحيات الأليمة، عن المضي في التبشير بالخير، وفعل الخير والقيادة إلى الخير، على الرغم من النتائج القريبة، والتضحيات الأليمة، وهي صفات ومشاعر ضرورية كذلك للنهوض بتلك الوظيفة الكبيرة"[1].

نخلص من بيان سيد لهذه الخاصية فنقول: جميع حقائق العقيدة منفردة لها إيجابية وفاعلية في حياة البشر، والعقيدة الإسلامية كاملة لها أثرها الإيجابي الضخم، وأعظم دليل على صدق إيجابيتها وفاعليتها ما حققته في واقع الأمة الإسلامية والعالم.

[1] – انظر: قطب، **في ظلال القرآن** ، (3/ 1408).

المبحث الثامن

عقيدة ينبثق عنها نظام

يرى سيد قطب أن أنظمة الإسلام سواء ما كانت تنظم علاقة العبد بربه كالصلاة والصيام، أو ما ينظم علاقة العبد بغيره مثل البيوع والنكاح والسياسة، أو نظام الأخلاق، جميع هذه الأحكام منبثقة من العقيدة موصولة بها، وهي خاصية لعقيدة التوحيد.

يقول سيد قطب: " على أن الذي تمتاز به صورة التوحيد في العقيدة الإسلامية هو تعمقها للحياة كلها، وقيام الحياة على أساسها، واتخاذها قاعدة للمنهج العملي الواقعي في الحياة، تبدو آثاره في التشريع كما تبدو في الاعتقاد سواء. وأول هذه الآثار أن تكون شريعة الله وحدها هي التي تحكم الحياة. فإذا تخلفت هذه الآثار فإن عقيدة التوحيد لا تكون قائمة، فإنها لا تقوم إلا ومعها آثارها محققة في كل ركن من أركان الحياة"[1].

ويقول في موضع آخر: " وعبادة الله وحده منهج كامل للحياة، يشمل تصور الإنسان لحقيقة الألوهية وحقيقة العبودية؛ ولحقيقة الصلة بين الخلق والخالق، ولحقيقة القوى والقيم في الكون وفي حياة الناس ومن ثم ينبثق نظام للحياة البشرية قائم على ذلك التصور، فيقوم منهج للحياة خاص. منهج رباني مرجعه إلى حقيقة الصلة بين العبودية والألوهية، وإلى القيم التي يقررها الله للأحياء والأشياء"[2].

لقد لاحظ سيد قطب أن عرض الأحكام العملية في كتاب الله تُعرض موصولة دائما بالله تعالى وهو ربط بحقيقة العقيدة الكبرى الإيمان بالله. يقول: " إن هذا الدين شريعته كعقيدته في تقرير صفة الشرك أو صفة الإسلام. بل إن شريعته من عقيدته في هذه الدلالة. بل إن شريعته هي عقيدته، إذ هي الترجمة الواقعية لها، كما تتجلى هذه الحقيقة الأساسية من خلال النصوص القرآنية، وعرضها في المنهج القرآني"[3].

وعند الآيات الواردة في سورة البقرة التي تتناول بعض أحكام الزواج والمعاشرة. والإيلاء والطلاق والعدة والنفقة والمتعة. والرضاعة والحضانة، يقول سيد: " هذه الأحكام لا تذكر مجردة – كما اعتاد

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (4004/6).

[2] – المصدر السادس، (3771/6)، وانظر: ذات المصدر، (281/1، 2822/5، 3893/6).

[3] – المصدر السابق، (1216/3).

الناس أن يجدوها في كتب الفقه والقانون – . . كلا! إنها تجيء في جو يشعر القلب البشري أنه يواجه قاعدة كبرى من قواعد المنهج الإلهي للحياة البشرية؛ وأصلاً كبيراً من أصول العقيدة التي ينبثق منها النظام الإسلامي. وأن هذا الأصل موصول بالله سبحانه مباشرة. موصول بإرادته وحكمته ومشيئته في الناس، ومنهجه لإقامة الحياة على النحو الذي قدره وأراده لبني الإنسان"[1].

وعند قول الله تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام : 152]، قال: " وهذه في المبادلات التجارية بين الناس في حدود طاقة التحري والإنصاف، والسياق يربطها بالعقيدة؛ لأن المعاملات في هذا الدين وثيقة الارتباط بالعقيدة . والذي يوصي بها ويأمر هو الله. ومن هنا ترتبط بقضية الألوهية والعبودية، وتذكر في هذا المعرض الذي يبرز فيه شأن العقيدة، وعلاقتها بكل جوانب الحياة...ومن ثم يربط السياق القرآني بين قواعد التعامل في المال والتجارة والبيع والشراء، وبين هذا المعرض الخاص بالعقيدة، للدلالة على طبيعة هذا الدين، وتسويته بين العقيدة والشريعة، وبين العبادة والمعاملة، في أنها كلها من مقومات هذا الدين، المرتبطة كلها في كيانه الأصيل"[2].

ومن هذه الطبيعة لعرض الاحكام موصولة بالعقيدة في كتاب الله، يخلص سيد الى نتيجة مفادها: " هذا الدين، إنه وحدة لا تتجزأ . . تنظيماته الاجتماعية، وقواعده التشريعية وشعائره التعبدية . . كلها منبثقة من العقيدة فيه؛ وكلها نابعة من التصور الكلي الذي تنشئه هذه العقيدة؛ وكلها مشدودة برباط واحد إلى الله؛ وكلها تنتهي إلى غاية واحدة هي العبادة: عبادة الله الواحد"[3].

وفي نفس المعنى يقول: " ولا يمكن أن ينفك عنصر العقيدة الإيمانية، عن الشعائر التعبدية، عن القيم الخلقية، عن الشرائع التنظيمية، في أي دين يريد أن يصرّف حياة الناس وفق المنهج الإلهي. وأي انفصال لهذه المقومات يبطل عمل الدين في النفوس وفي الحياة؛ ويخالف مفهوم الدين وطبيعته كما أراده الله"[4].

---

[1] – انظر: قطب، **في ظلال القرآن** ، (236/1).

[2] – المصدر السابق، (1233/3).

[3] – المصدر السابق، (164/1).

[4] – المصدر السابق، (400/1).

ثم يقف سيد على الاقتران الدائم بين الايمان والعمل الصالح عند ذكر العمل والجزاء في كتاب الله، وعدم قبول العمل الا إذا صدر عن إيمان، وهو نوع من أنواع الأربطة الوثيقة القائمة بين الإيمان والعمل. فعند تفسير قول الله تعالى: { فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ} [الأنبياء : 94]، قال: " هذا هو قانون العمل والجزاء، لا جحود ولا كفران للعمل الصالح متى قام على قاعدة الأيمان . . ولا بد من الأيمان لتكون للعمل الصالح قيمته، بل ليثبت للعمل الصالح وجوده. ولا بد من العمل الصالح لتكون للإيمان ثمرته، بل لتثبت للإيمان حقيقته ... والعمل الصالح هو ثمرة الإيمان التي تثبت وجوده وحيويته في الضمير. والإسلام بالذات عقيدة متحركة متى تم وجودها في الضمير تحولت إلى عمل صالح هو الصورة الظاهرة للإيمان المضمر . . والثمرة اليانعة للجذور الممتدة في الأعماق. ومن ثم يقرن القرآن دائماً بين الإيمان والعمل الصالح كلما ذكر العمل والجزاء. فلا جزاء على إيمان عاطل خامد لا يعمل ولا يثمر. ولا على عمل منقطع لا يقوم على الإيمان"[1].

وعند قوله تعالى: { والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون} (البقرة: 82). قال: " فمن مقتضيات الإيمان أن ينبثق من القلب في صورة العمل الصالح، وهذا ما يجب أن يدركه من يدعون الإيمان . . وما أحوجنا – نحن الذين نقول أنا مسلمون – أن نستيقن هذه الحقيقة: أن الإيمان لا يكون حتى ينبثق منه العمل الصالح . فأما الذين يقولون: إنهم مسلمون ثم يفسدون في الأرض، ويحاربون الصلاح في حقيقته الأولى وهي إقرار منهج الله في الأرض، وشريعته في الحياة، وأخلاقه في المجتمع، فهؤلاء ليس لهم من الإيمان شيء، وليس لهم من ثواب الله شيء، وليس لهم من عذابه واق ولو تعلقوا بأماني كأمانيّ اليهود التي بين الله لهم وللناس فيها هذا البيان"[2].

ويذهب سيد قطب الى أفاق أبعد من كون النظام منبثق من العقيدة، فهو يدلل على أن الارتباط بين العقيدة بالنظام كارتباط الشرط بالمشروط، أو بمعنى آخر يجعل الطاعة والتنفيذ– ومنها رد الأمر الى الله ورسوله عند النزاع والتحاكم اليهما – شرطا للإيمان متى وجد الإيمان وجدت الطاعة، ومتى فقد الإيمان فقدت الطاعة[3]، فيقف عند قول الله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

---

[1] – انظر: قطب، **في ظلال القرآن** ، (4/ 2397).

[2] – المصدر السابق، (86/1).

[3] – انظر: المصدر السابق، (697/2-687).

بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء : 65]، فيقول: " ومرة أخرى نجدنا أمام شرط الإيمان وحدّ الإسلام . يقرره الله سبحانه بنفسه. ويقسم عليه بذاته. فلا يبقى بعد ذلك قول لقائل في تحديد شرط الإيمان وحد الإسلام، ولا تأويل لمؤول. اللهم إلا مماحكة لا تستحق الاحترام...[1].

وعند قول الله تعالى: { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا }[النساء : 124]، يقول سيد:" هو نص صريح في اشتراط الإيمان لقبول العمل . وأنه لا قيمة عند الله لعمل لا يصدر عن الإيمان. ولا يصاحبه الإيمان"[2].

وهذا الذي ذهب إليه سيد قطب هو مذهب علماء كثر، يقول ابن كثير في تفسير الآية السابقة: "شرع في بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال الصالحة من عباده ذُكْرَانهم وإناثهم، بشرط الإيمان"[3]. وهو قول القرطبي[4] وابن عاشور[5] وغيرهم الكثير.

لهذا نجد سيد يسجل اعتراضاً على الإمام محمد عبده[6] والشيخ المراغي[7] في تفسير قول الله تعالى { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [الزلزلة: 7 ، 8]، فقالوا بعموم هذا النص فيشمل المسلم وغيره، ولم يلتفتوا إلى سائر النصوص التي تجعل الإيمان شرط قبول الاعمال[8]. وحسبنا هذه الارتباطات في كتاب الله بين العقيدة والعمل كما بينها سيد حتى نحكم بهذه الخاصية للعقيدة الإسلامية، التي لا ترضى بالإيمان أن يبقى سجين الصدور، وإنما لا بد له من ترجمة واقعية في مجالات الحياة المختلفة، حتى يظهر أثره الإيجابي في سلوك المؤمنين وفي تحديد طبيعة مجتمعهم القائم على أساس التوحيد.

---

[1] – انظر: قطب، **في ظلال القرآن** ، (696/2).

[2] – المصدر السابق، (762/2).

[3] – ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت: 774 ه)، **تفسير القرآن العظيم**، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2، 1420ه –1999 م، 2/ 421.

[4] – انظر: القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر، (ت: 671 ه)، **الجامع لأحكام القرآن**، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، بدون ذكر الطبعة، 1423 ه/ 2003 م، 399/5.

[5] – انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 539/1، 62/4.

[6] – انظر: محمد عبده، **تفسير المنار**، (5/ 87–86).

[7] – انظر: المراغي، أحمد مصطفى، (ت: 1952م)، **تفسير المراغي**، دار النشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، بدون ذكر السنة والطبعة، (220/30).

[8] – قطب، **في ظلال القرآن** ، 762/2.

الفصل الرابع

آثار العقيدة على الفرد كما يصورها سيد قطب

المبحث الأول: دقة التصور

المبحث الثاني: الطاعة والتسليم

المبحث الثالث: الطمأنينة

المبحث الرابع: تكريم الإنسان

المبحث الخامس: تحرير الإنسان

المبحث السادس: قوة الإرادة

المبحث السابع: رفع الاهتمامات

الفصل الرابع

آثار العقيدة على الفرد كما يصورها سيد قطب

يبحث هذا الفصل في أهم جوانب تأثير العقيدة الإسلامية على الفرد كما يراها سيد قطب، فقد صرح في أكثر من موضع في تفسيره أن العقيدة الإسلامية هي أعمق وأشمل ما يعمر النفوس[1].

المبحث الأول

دقة التصور

ركز سيد قطب كثيرا في تفسيره على التصور الدقيق الذي تبنيه العقيدة الإسلامية عند الفرد المؤمن عن ربه وعن حقيقة الكون والحياة والإنسان، وكان شديد الاهتمام ببيان الصلات التي تربط الله تعالى بالكون والإنسان والحياة، وطبيعة العلاقة بين هذه الثلاثة. ويعتقد أن هذا التصور الشامل هو الذي يشكل وعي الإنسان فيدرك به حقائق الأشياء، يقول في ذلك: " وأول ما يصنعه الإيمان في الكائن البشري، حين تستقر حقيقته في قلبه، هو سعة تصوره لهذا الوجود، ولارتباطاته هو به، ولدوره هو فيه؛ وصحة تصوره للقيم والأشياء والأشخاص والأحداث من حوله"[2]. ويقول في موضع آخر: " إن الإيمان نور يشرق به كيان المؤمن أول ما ينبثق في ضميره... نور يكشف حقائق الأشياء وحقائق القيم وحقائق التصورات، فيراها قلب المؤمن واضحة بغير غبش، بينة بغير لبس"[3].

بل اعتبر سيد أن الإيمان بهذه الحقائق هو بمثابة ميلاد جديد للإنسان، يقول: "فالإنسان لا وجود له قبل أن يعرف إلهه كما يعرّفه هذا الدين له. وقبل أن يعرف الوجود الذي يعيش فيه كما يعرّفه له هذا الدين. وقبل أن يعرف نفسه ودوره في هذا الوجود وكرامته على ربه ... إن معرفة الإنسان بهذه الحقائق الكبرى كما صورها هذا الدين هي بدء مولد الإنسان، إنه بدون هذه المعرفة على هذا

---

[1] – انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (149/1، 239/1، 293/1، 783/2، 3709/6).

[2] – المصدر السابق، (3351/6).

[3] – المصدر السابق: (293/1)، وانظر: (477/1).

المستوى؛ يمكن أن يكون حيواناً أو أن يكون مشروع إنسان في طريقه إلى التكوين! ولكنه لا يكون الإنسان في أكمل صورة للإنسان، إلا بمعرفة هذه الحقائق الكبيرة كما صورها القرآن "[1].

وسأعرض بإيجاز لأهم الحقائق المتعلقة بالكون والإنسان والحياة مع ملاحظة علاقتها بالله تعالى كما يبرزها سيد قطب، مع بيان بعض آثارها على الفرد المؤمن. وقد جعلتها في عدة مطالب، على النحو الآتي:

المطلب الأول: دقة التصور لحقيقة الإنسان

الإنسان مخلوق لله تعالى، فيه نفخة من روحه، بهذه النفخة تفرَّد بخصائص الإنسانية، وقد جعله الله تعالى خلفية في الأرض، فهو سيدها ومالك لما فيها، ألقيت عليه مهام تطويرها وعمرانها، ووهب الله له من الطاقات الكامنة والكفاءة ليقوم بهذه المهمة، وسّخر له ما في الأرض ليتمكن من مزاولة دوره فيها. والوحي يزوده بالعقيدة والنظام والأخلاق حتى يتمكن من ممارسة خلافته على أكمل وجه. والعبادة غاية وجوده وهي شرط استخلافه، ويقع في نطاقها كل نشاط يقوم به، وحياته على هذه الأرض ابتلاء واختبار، والأفعال التي تصدر عنه بثمارها ونتائجها هو فقط من يتحمل مسؤوليتها، لأنه يمتلك الإرادة الحرة، وهو مجازى بها الجزاء الأوفى يوم القيامة[2].

وهذه النظرة إلى الإنسان ودوره وغاية وجوده، وصلته بربه وبالكون من حوله، وسائر حقائقه التي أسلفناها، لها أثار عميقة في نفس الإنسان كما يراها سيد، سأبينها في مباحث قادمة، ولكني أذكر هنا بعضها:

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (843/2).

[2]– انظر: المصدر السابق: (53/1–54، 56/1–58، 60/1–61، 159/1، 164/1، 181/1، 189/1، 207/1، 291/1، 313/1، 322/1، 284/1، 421/1–422، 514/1، 836/2، 688/2، 810/2–811، 1031/2، 1113/2–1114، 1119/2–1120، 1132/2، 1168/2، 1124/3، 1188/3، 1024/3، 1262/3–1264، 1270/3–1274، 1770/3، 1858/4، 1888/4، 2106/4–2108، 2142/4–2145، 2249/4، 2552/5، 2559/5، 2661/5–2662، 2938/5، 3199/5، 3362/6–3363، 3585/6–3586، 3642/6، 3905/6، 3917/6–3918).

أولاً: الوعي لحاجات الإنسان الزائدة عن حاجة الحيوان، يقول سيد: "فأما النظرة الإسلامية إلى الإنسان وهي تقوم على أساس تفرده بخصائصه الإنسانية إلى جانب ما يشارك فيه الحيوان من التكوين العضوي – فإنها منذ اللحظة الأولى تعتبر أن مطالب الإنسان الأساسية مختلفة وزائدة عن مطالب الحيوان الأساسية . فليس الطعام والشراب والمسكن والجنس هي كل مطالبه الأساسية. وليس ما وراءها من مطالب العقل والروح مطالب ثانوية! . . إن العقيدة وحرية التفكير والإرادة والاختيار هي مطالب أساسية كالطعام والشراب والمسكن والجنس . . بل هي أعلى منها في الاعتبار؛ لأنها هي المطالب الزائدة في الإنسان على الحيوان. أي المطالب المتعلقة بخصائصه التي تقرر إنسانيته! والتي بإهدارها تهدر آدميته!"[1] .

ثانياً: مراقبة الله ومحاسبة النفس والرغبة في الإحسان: " إن شعور الإنسان بأنه مبتلى وممتحن بأيامه التي يقضيها على الأرض، وبكل شيء يملكه، وبكل متاع يتاح له، يمنحه مناعة ضد الاغترار والانخداع والغفلة؛ ويعطيه وقاية من الاستغراق في متاع الحياة الدنيا، ومن التكالب على هذا المتاع الذي هو مسؤول عنه وممتحن فيه. وإن شعوره بالرقابة التي تحيط به، والتي يصورها قول الله سبحانه: { لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} [يونس : 14] . ليجعله شديد التوقي، شديد الحذر، شديد الرغبة في الإحسان، وفي النجاة أيضا من هذا الامتحان!"[2].

ويقول في موضع آخر: " وحقيقة فردية التبعة والجزاء ذات أثر حاسم في الشعور الأخلاقي، وفي السلوك العملي سواء. فشعور كل فرد بأنه مجزي بعمله، لا يؤاخذ بكسب غيره، ولا يتخلص هو من كسبه، عامل قوي في يقظته لمحاسبة نفسه قبل أن تحاسب! مع التخلي عن كل أمل خادع في أن ينفعه أحد بشيء، أو أن يحمل عنه أحد شيئا"[3] .

ويقول عند تفسير قول الله تعالى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق : 16] " وهو تعبير يمثل ويصور القبضة المالكة، والرقابة المباشرة. وحين يتصور الإنسان هذه الحقيقة لا بد يرتعش ويحاسب. ولو استحضر القلب مدلول هذه العبارة وحدها

---

[1] – انظر: قطب، **في ظلال القرآن** ، (2144/4).

[2] – المصدر السابق، (1770/3).

[3] – المصدر السابق، (2938/5).

ما جرؤ على كلمة لا يرضى الله عنها. بل ما جرؤ على هاجسة في الضمير لا تنال القبول. وإنها وحدها لكافية ليعيش بها الإنسان في حذر دائم ويقظة لا تغفل عن المحاسبة"[1].

ثالثاً: الاستقامة. يقول سيد: " ومعرفة المؤمن بأن غاية الوجود الإنساني هي العبادة، وأنه مخلوق ليعبد الله . . من شأنها – ولا شك – أن ترفعه إلى هذا الأفق الوضيء. ترفع شعوره وضميره، وترفع نشاطه وعمله، وتنظف وسائله وأدواته. فهو يريد العبادة بنشاطه وعمله؛ وهو يريد العبادة بكسبه وإنفاقه؛ وهو يريد العبادة بالخلافة في الأرض وتحقيق منهج الله فيها. فأولى به ألا يغدر ولا يفجر؛ وأولى به ألا يغش ولا يخدع؛ وأولى به ألا يطغى ولا يتجبر؛ وأولى به ألا يستخدم أداة مدنسة ولا وسيلة خسيسة"[2].

المطلب الثاني: دقة التصور لحقيقة الكون

الكون مخلوق لله تعالى، فهو ليس أزلياً ولم يوجد صدفة، خلقه الله تعالى لحكمة، وهو مقدر بحساب دقيق. ومقدر فيه حساب الحياة. يدبر أمره الله وحده، ولا يقع فيه شيء إلا بمشيئة الله المطلقة. وكل ما يقع فيه يقع عن تدبير، ويصدر عن حكمة، ويتجه إلى غاية. وفيه كائنات مغيبة عن الإنسان تشاركه الحياة فيه، كالملائكة والجن والشياطين، وهذه المخلوقات لها علاقة وصلة بالإنسان، وكل العوالم والخلائق تُحفظ وتُتعهد برعاية الله رب العالمين. والكون بما فيه سّخره الله للإنسان، وقد عُلِّم الإنسان كيف يهتدي لهذا التسخير لينتفع به. ومصير الكون الهلاك، فسيأتي يوم ينفرط فيه عقد نظام الكون، وتتناثر أجزاؤه، وينتهي إلى الفناء[3].

من هذا التلخيص لنظرة العقيدة الإسلامية–كما يراها سيد–إلى الكون، وعلاقة الله به (الخلق والرعاية)، وعلاقة الكون بالإنسان (التسخير)، تتشكل وجهة نظر المؤمن إلى هذا الكون، وتتحدد مشاعره وسلوكه نحوه، ويمكن تلخيص أثر هذا التصور على الفرد كما بينه سيد، بالنقاط الآتية:

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (3362-3363/6).

[2] – انظر: المصدر السابق، (208/1).

[3] – انظر المصدر السابق، (23/1، 47/1، 106/1، 206/1-207، 692/2، 1034/2، 1119/2- 1120، 1134/2، 1158/2، 1263/3، 1307/3، 1336/3، 1383/3، 1394-1395/3، 1823/3، 2130/4، 2371/4، 2414/4، 2241/4، 2521/4-2522، 2765/5، 2792/5، 3161/5، 3601/6-3602، 3679/6، 3837/6، 3721/6، 3731/6).

أولاً: معرفة طبيعة الكون وطريقة التعامل معه. يقول سيد: " وقيمة الإيمان أنه معرفة بالحقيقة الأولى التي لا تقوم في النفس البشرية معرفة صحيحة لشيء في هذا الوجود إلا عن طريقها. فمن طريق الإيمان بالله ينشأ إدراك لحقيقة هذا الوجود، وأنه من صنع الله؛ وبعد إدراك هذه الحقيقة يستطيع الإنسان أن يتعامل مع الكون وهو يعرف طبيعته كما يعرف قوانينه التي تحكمه. ومن ثم ينسق حركته هو مع حركة هذا الوجود الكبير، ولا ينحرف عن النواميس الكلية، فيسعد بهذا التناسق، ويمضي مع الوجود كله إلى بارئ الوجود في طاعة واستسلام وسلام"[1].

ثانياً: الأُنس بالكون. يقول سيد: " فالله خلق هذا الكون بالحق؛ وخلق كل شيء فيه بقدر وحكمة. وهذا الإنسان مخلوق قصداً، وغير متروك سدى، ومهيأ له كل الظروف الكونية المناسبة لوجوده، ومسخر له ما في الأرض جميعاً... والكون من حوله صديق مأنوس، تتجاوب روحه مع روحه، حين يتجه كلاهما إلى الله ربه. وهو مدعو إلى هذا المهرجان الإلهي المقام في السماوات والأرض ليتملاه ويأنس به"[2].

ثالثاً: الصداقة مع القوى الطبيعية في الكون. يقول سيد: " وأما القوى الطبيعية فموقف المسلم منها هو موقف التعرف والصداقة، لا موقف التخوف والعداء. ذلك أن قوة الإنسان وقوة الطبيعة صادرتان عن إرادة الله ومشيئته، محكومتان بإرادة الله ومشيئته، متناسقتان متعاونتان في الحركة والاتجاه. إن عقيدة المسلم توحي إليه أن الله ربه قد خلق هذه القوى كلها لتكون له صديقاً مساعداً متعاوناً؛ وأن سبيله إلى كسب هذه الصداقة أن يتأمل فيها. ويتعرف إليها، ويتعاون وإياها، ويتجه معها إلى الله ربه وربها... إنه يؤمن بالله وحده، ويعبد الله وحده، ويستعين بالله وحده. وهذه القوى من خلق ربه. وهو يتأملها ويألفها ويتعرف أسرارها، فتبذل له معونتها، وتكشف له عن أسرارها. فيعيش معها في كون مأنوس صديق ودود. وما أروع قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهو ينظر إلى جبل أُحد :

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** (3161/5).

[2] – المصدر السابق: (208/1–207).

"هذا جبل يحبنا ونحبه"[1] ففي هذه الكلمات كل ما يحمله قلب المسلم الأول محمد – صلى الله عليه وسلم – من ود وألفة وتجاوب ، بينه وبين الطبيعة في أضخم وأخشن مجاليها"[2].

رابعاً: الحركة في الكون لاكتشافه، والإنتفاع به. يقول سيد:" إن هذا التصور لا يكفه عن الحركة لاستطلاع أسرار الوجود والتعرف إلى نواميسه . . على العكس، هو يشجعه ويملأ قلبه ثقة وطمأنينة.. إنه يتحرك في مواجهة كون صديق لا يبخل عليه بأسراره، ولا يمنع عنه مدده وعونه . . وليس في مواجهة كون عدو يتربص به ويعاكس اتجاهاته ويسحق أحلامه وآماله!... إن « الإنسان » هو ابن هذه الأرض؛ وهو ابن هذا الكون . لقد أنشأه الله من هذه الأرض، ومكنه فيها، وجعل له فيها أرزاقا ومعايش، ويسر له المعرفة التي تسلمه مفاتيحها؛ وجعل نواميسها موافقة لوجود هذا الإنسان، تساعده – حين يتعرف إليها على بصيرة – وتيسر حياته"[3].

المطلب الثالث: دقة التصور لحقيقة الحياة

الحياة خلقها الله تعالى، وهي تمضي وفق قدر الله، فلم توجد صدفة ولا تمضي خبط عشواء. وهي في حقيقتها سر مغلق لا يعلمه إلا الله. مظهرها الفاعلية والنمو والامتداد، وهي موجودة في الإنسان والحيوان والنبات والطير والأسماك والزواحف والحشرات. أصلها الماء وهو العنصر المشترك في جميع الأحياء. والأحياء في هذا الكون منتظمة في أمم، كل أمة ذات خصائص واحدة، وذات طريق في الحياة واحدة. قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ}، [الأنعام: 38]. وتدبير الله يشمل جميع الأحياء، وعلمه محيط بها جميعاً، وهي مكفولة الرزق من الله، قال تعالى: { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي

---

[1] – البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، (ت: 256هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وأيامه**، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، ط:3، 1407هـ، كتاب الجهاد والسَيرِ، باب فضل الخدمة في الغزو، رقم: 2732، (1058/3). مسلم، مسلم بن حجاج القيشري النيسابوري، (ت: 261هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم**–، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العربية، بدون ذكر الطبعة والسنة، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها، رقم: 1365، (993/2).

[2] – قطب، **في ظلال القرآن**، (26/1–25).

[3] – أنظر: المصدر السابق، (1263/3).

كِتَابٍ مُبِينٍ} [هود : 6]. والأحياء في عبادة، قال تعالى: { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ } [النحل : 49] [1].

ولهذا التصور لحقيقة الحياة التي تدب في الأحياء كما يراه سيد قطب أثره على المؤمن، ويظهر ذلك في عدة أمور، منها:

أولا: تعظيم الله جل وعلا، يقول بعد ذكر بعض مشاهد الحياة: " وكلها مشاهد لو أعاد الإنسان تأملها – كما يوحي القرآن للقلب المؤمن – بعين مفتوحة وقلب واع ، لارتجف كيانه من عظمة القدرة ورحمتها . . تلك الحياة التي تنبعث من الأرض حينما يجودها الماء . . هذه الحياة المجهولة الكنه، اللطيفة الجوهر، التي تدب في لطف، ثم تتبدى جاهرة معلنة قوي"[2].

ثانياً: الشجاعة والإقدام وحسن التوكل على الله، يقول: " إن لكل نفس كتابا مؤجلا إلى أجل مرسوم. ولن تموت نفس حتى تستوفي هذا الأجل المرسوم. فالخوف والهلع والحرص والتخلف لا تطيل أجلا. والشجاعة والثبات والإقدام والوفاء لا تقصر عمرا. فلا كان الجبن ولا نامت أعين الجبناء. والأجل المكتوب لا ينقص منه يوم ولا يزيد! بذلك تستقر حقيقة الأجل في النفس، فتترك الاشتغال به ولا تجعله في الحساب وهي تفكر في الأداء والوفاء بالالتزامات والتكاليف الإيمانية. وبذلك تنطلق من عقال الشح والحرص كما ترتفع على وهلة الخوف والفزع. وبذلك تستقيم على الطريق بكل تكاليفه وبكل التزاماته في صبر وطمأنينة وتوكل على الله الذي يملك الآجال وحده"[3].

وهكذا نجد سيد قطب يطيل النفس مع هذه الحقائق وارتباطاتها في مواضع كثيرة في تفسيره، يشرح وجهة نظر العقيدة في بناء تصور كامل عن الوجود وعن خالقه، كاشفاً عن آثار هذا التصور على الفرد، فكان تفسيراً مميزاً في هذا المجال.

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (47/1، 50/1/، 112/1، 143/1، 153/1، 297/1–298، 397/1–398، 487/1، 1085–1084/1035،2/2، 1154–1153/2، 1160–1159/2، 1183/3، 1299/3–1300، 1315/3، 1406/3، 1856/4–1858، 2144/4، 2163/4، 2174–2173/4، 2305–2304/4، 4/ 2376، 2409/4–2410، 2461/4، 2477/4، 2511/4، 2174–2173/4، 2647/5، 2660–2656/5، 3093–3091/5، 3380–3378/6، 3385/6).

[2] – المصدر السابق، (153/1).

[3] – المصدر السابق: (487/1).

المبحث الثاني

الطاعة والتسليم

ذهب سيد قطب إلى أن الطاعة المطلقة لله تعالى هي أحد أهم آثار العقيدة الإسلامية، فهو يرى أن الإيمان متى رسخ في القلب لا بد له من صورة ظاهرة تدل عليه، وهي التسليم المطلق لأمر الله ونهيه، وحكمه وقضائه. والمصطلحات التي يستعملها سيد للدلالة على هذا الأثر الإيماني كثيرة، منها: الطاعة المطلقة[1]، والتسليم[2]، والاستسلام[3]، والإسلام[4]، وإسلام الوجه[5]، والعبودية[6]، وغيرها من العبارات التي تدل على حقيقة التسليم المطلق لله في عالم الشعور وعالم الحركة كأثر من آثار العقيدة الإسلامية.

لقد وقف سيد قطب على طريقة القرآن المكي في تناول قضايا الاعتقاد دون التطرق إلى تفصيلات النظام والشرائع، وكان من أبرز ما توصل إليه هو العلاقة الحتمية بين استقرار العقيدة في القلب والاستسلام لله في كل شيء، فجعل الاستسلام مقتضى الإيمان، لهذا بدأ القرآن بالعقيدة حتى إذا رسخ الإيمان حصل الاستسلام والقبول لكل أمر من الله، ففي مقدمة سورة الأنعام، يقول: " ومتى استقرت عقيدة: (لا إله إلا الله) في أعماقها الغائرة البعيدة، استقر معها في نفس الوقت النظام الذي تتمثل فيه: (لا إله إلا الله) وتعيّن أنه النظام الوحيد الذي ترضيه النفوس التي استقرت فيها العقيدة، واستسلمت هذه النفوس ابتداء لهذا النظام حتى قبل أن تعرض عليه تفصيلاته... فالاستسلام ابتداء هو مقتضى الإيمان، وبمثل هذا الاستسلام تلقت النفوس تنظيمات الإسلام وتشريعاته بالرضى والقبول، لا تعترض على شيء منه فور صدوره اليها، ولا تتلكأ في تنفيذه بمجرد تلقيها له، وهكذا أبطلت الخمر، وأبطل الربا، وأبطل الميسر، وأبطلت العادات الجاهلية كلها، أبطلت بآيات من القرآن، أو كلمات من رسول الله– صلى الله عليه وسلم– بينما الحكومات الأرضية تجهد في شيء من هذا

---

[1] – انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (343/1)

[2] – انظر: المصدر السابق، (807/2، 2527/4).

[3] – انظر: المصدر السابق، (1009–1110/2، 206–207/1).

[4] – انظر: المصدر السابق، (364/1، 2995–2996/5)).

[5] – انظر: المصدر السابق، (104/1).

[6] – انظر: المصدر السابق، (836/1، 1296/3).

كله بقوانينها وتشريعاتها ونظمها وأوضاعها، وجندها وسلطانها، ودعايتها وإعلامها، فلا تبلغ إلا أن تضبط الظاهر من المخالفات، بينما المجتمع يعج بالمنهيات والمنكرات"[1].

فليس للإيمان عند سيد معنى إذا لم يستلم المؤمن لربه، فالاستسلام الاختياري هو الذي يمثل معنى الإيمان، ويحقق معنى الإسلام، يقول: " إنه مذاق العبودية الراضية، التي لا يسوقها القسر، ولا يحركها القهر... الاستسلام لله الذي يرفع الجباه عن الدينونة لغيره أو العبودية لسواه. الاستسلام الرفيع الكريم لرب العالمين. هذا الاستسلام هو الذي يمثل معنى الإيمان ، ويعطيه طعمه ومذاقه .. وهذه العبودية هي التي تحقق معنى الإسلام، وتعطيه حيويته وروحه . . وهي هي القاعدة التي لا بد أن تقام وتستقر، قبل التكليف والأمر؛ وقبل الشعائر والشرائع . . ومن ثم هذه العناية الكبرى بإنشائها وتقريرها وتعميقها وتثبيتها في المنهج القرآني الحكيم"[2].

ويبين سيد أن أثر الإيمان يتجلى كذلك في السمع والطاعة، ففي تفسير قول الله تعالى: { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة : 285] يقول سيد: " ويتجلى في هذه الكلمات أثر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله. يتجلى في السمع والطاعة، السمع لكل ما جاءهم من عند الله، والطاعة لكل ما أمر به الله. فهو إفراد الله بالسيادة كما ذكرنا من قبل، والتلقي منه في كل أمر. فلا إسلام بلا طاعة لأمر الله، وإنفاذ لنهجه في الحياة. ولا إيمان حيث يعرض الناس عن أمر الله في الكبيرة والصغيرة من شؤون حياتهم؛ أو حيث لا ينفذون شريعته، أو حيث يتلقون تصوراتهم عن الخلق والسلوك والاجتماع والاقتصاد والسياسة من مصدر غير مصدره. فالإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل"[3].

وفي المقطع الأول من سورة آل عمران يقول: " ثم يتضمن هذا الدرس الأول إيضاحات قوية لأسس التصور الإسلامي من ناحية العقيدة، وإلى جانبها إيضاحات قوية كذلك في طبيعة هذه العقيدة وآثارها في الحياة الواقعية. هذه الآثار الملازمة للإيمان بها. فهي عقيدة التوحيد لله. ومن ثم تجعل الدين هو

---

[1] – انظر: قطب، **في ظلال القرآن** ، (1110/2-1009).

[2] – المصدر السابق، (1296/3).

[3] – المصدر السابق، (343/1).

الإسلام لله. ولا دين سواه . . الإسلام بمعنى الاستسلام والطاعة والاتباع. الاستسلام لأمره، والطاعة لشرعه، والاتباع لرسوله ومنهجه. فمن لم يستسلم ويطع ويتبع فليس بمسلم، ومن ثم فليس بصاحب دين يرضاه الله. فالله لا يرضى إلا الإسلام. والإسلام – كما قلنا – الاستسلام والطاعة والاتباع"[1].

ويرى سيد أن مفهوم الاستسلام لله تعالى باطناً وظاهراً هو أول مفاهيم دعوة القرآن للمؤمنين للدخول في السلم، فعند قول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً } [البقرة : 208]، يقول: " إنها دعوة للمؤمنين باسم الإيمان. بهذا الوصف المحبب إليهم، والذي يميزهم ويفردهم، ويصلهم بالله الذي يدعوهم . . دعوة للذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة، وأول مفاهيم هذه الدعوة أن يستسلم المؤمنون بكلياتهم لله، في ذوات أنفسهم، وفي الصغير والكبير من أمرهم. أن يستسلموا الاستسلام الذي لا تبقى بعده بقية ناشزة من تصور أو شعور، ومن نية أو عمل، ومن رغبة أو رهبة، لا تخضع لله ولا ترضى بحكمه وقضاه. استسلام الطاعة الواثقة المطمئنة الراضية. الاستسلام لليد التي تقود خطاهم وهم واثقون أنها تريد بهم الخير والنصح والرشاد؛ وهم مطمئنون إلى الطريق والمصير، في الدنيا والآخرة سواء"[2].

وجعل سيد الاستسلام سمة الإسلام الأولى، ففي تفسير قول الله تعالى: { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة : 112]، يقول: " هنا تبرز سمة الإسلام الأولى : إسلام الوجه – والوجه رمز على الكل – ولفظ أسلم يعني الاستسلام والتسليم. الاستسلام المعنوي والتسليم العملي"[3].

ويعلق سيد قطب على موقف شيخ الأنبياء إبراهيم – عليه السلام– في حادثة الذبح، ويعلل استسلام الأب وابنه لأمر الله: بالإيمان العظيم، ففي تفسير قول الله تعالى: { فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} [الصافات: 103]، يقول: " ومرة أخرى يرتفع نبل الطاعة. وعظمة الإيمان. وطمأنينة الرضى وراء كل ما تعارف عليه بنو الإنسان. إن الرجل يمضي فيكب ابنه على جبينه استعدادا. وإن الغلام يستسلم فلا يتحرك امتناعا... لقد أسلما، فهذا هو الإسلام. هذا هو الإسلام في حقيقته. ثقة وطاعة

---

[1] – انظر: قطب، **في ظلال القرآن** ، (364/1).

[2] – المصدر السابق، (207/1–206).

[3] – المصدر السابق، (104/1).

وطمأنينة ورضى وتسليم، وتنفيذ، وكلاهما لا يجد في نفسه إلا هذه المشاعر التي لا يصنعها غير الإيمان العظيم"[1].

هذا الأثر الذي بينه سيد قطب في تفسيره حريٌّ بكل صاحب دعوة ألا يتجاوزه دون تعمق، فقبول الإسلام في النفوس يبدأ من الإيمان، وطاعة الله في كل أمر تبدأ من ترسيخ الإيمان في القلوب، وكلما كان إيمان الفرد أوثق كانت طاعته لربه أتم وأكمل.

[1] – انظر: قطب، **في ظلال القرآن** ، (2995-2996/5).

المبحث الثالث

الطمأنينة

كان سيد وهو يفسر آيات القرآن الكريم المتعلقة بالعقيدة الإسلامية شديد الاعتناء بما تمنحه هذه العقيدة من قيم وآثار في حياة الفرد، ويُلحظ من خلال تفسيره التركيز على الطمأنينة النفسية التي تسكبها العقيدة الإسلامية في قلب المؤمن، ويجعل من هذه الطمأنينة زاداً ضرورياً لقطع مشوار الحياة بخطى ثابته، يقول سيد: " فالإيمان كسب في الدنيا يتحقق قبل جزاء الآخرة، يتحقق بالراحة والطمأنينة والثبات والاستقرار طوال رحلة الحياة الدنيا"[1]. ويقول في موضع آخر: " وقيمة الإيمان كذلك الطمأنينة النفسية، والثقة بالطريق، وعدم الحيرة أو التردد، أو الخوف أو اليأس. وهذه الصفات لازمة لكل إنسان في رحلته على هذا الكوكب؛ ولكنها ألزم ما تكون للقائد الذي يرتاد الطريق، ويقود البشرية في هذا الطريق"[2]. ويقول: " وأول ما يصنعه الإيمان في الكائن البشري، حين تستقر حقيقته في قلبه... وطمأنينته في رحلته على هذا الكوكب الأرضي حتى يلقى الله، وأنسه بكل ما في الوجود حوله، وأنسه بالله خالقه وخالق هذا الوجود"[3].

من هذه النظرة كان سيد حريصاً على إظهار مواطن الطمأنينة التي تنتج عن حقائق العقيدة، ويستعمل ألفاظ عدة تعبر عن ذات المدلول، مثل: السعادة[4] والسلام[5] والرضى[6].

ويمكن من خلال الاستقراء أن نذكر أهم مواطن الطمأنينة التي تسكبها العقيدة الإسلامية في قلب المؤمن، كما يراها سيد قطب:

أولا: الطمأنينة الناتجة عن تلبية العقيدة لهتاف الفطرة في التوجه إلى رب واحد ومعبود واحد، يقول سيد: " وأول ما يفيض هذا السلام على القلب يفيض من صحة تصوره لله ربه، ونصاعة هذا التصور وبساطته، إنه إله واحد. يتجه إليه المسلم وجهة واحدة يستقر عليها قلبه؛ فلا تتفرق به السبل، ولا

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، ، (3699/6).

[2] – المصدر السابق، (3161/5).

[3] – المصدر السابق، (3351/6).

[4] – انظر: المصدر السابق، (15/1، 26/1، 342/1).

[5] – انظر: المصدر السابق، (208/1–207، 498/1، 3533/6).

[6] – انظر: المصدر السابق، (288/1، 498/1).

تتعدد به القبل؛ ولا يطارده إله من هنا وإله من هناك – كما كان في الوثنية والجاهلية – إنما هو إله واحد يتجه إليه في ثقة وفي طمأنينة"[1]. وتجده يحكم على كل عقيدة لا تلبي هتاف الفطرة هي عقيدة تعرض حياة الإنسان للدمار والبوار[2].

ثانيا: الطمأنينة الناجمة عن تصوير العقيدة لصفات الله تعالى، والتي تبين أن علاقة الله بعباده علاقة رعاية وود ورحمة وعدل، إلى آخر ما تحمله هذه الصفات من معاني، يقول في ذلك: " وهو إله قوي قادر عزيز قاهر. فإذا اتجه إليه المسلم فقد اتجه إلى القوة الحقة الوحيدة في هذا الوجود. وقد أمن كل قوة زائفة واطمأن واستراح... وهو إله عادل حكيم، فقوته وقدرته ضمان من الظلم، وضمان من الهوى، وضمان من البخس. وليس كآلهة الوثنية والجاهلية ذوات النزوات والشهوات. ومن ثم يأوي المسلم من إلهه إلى ركن شديد، ينال فيه العدل والرعاية والأمان. وهو رب رحيم ودود. منعم وهاب. غافر الذنب وقابل التوب. يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء. فالمسلم في كنفه آمن آنس، سالم غانم، مرحوم إذا ضعف، مغفور له متى تاب. وهكذا يمضي المسلم مع صفات ربه التي يعرفه بها الإسلام؛ فيجد في كل صفة ما يؤنس قلبه، وما يطمئن روحه، وما يضمن معه الحماية والوقاية والعطف والرحمة والعزة والمنعة والاستقرار والسلام"[3].

وعند اسم الله السلام، يقول: " وهو اسم كذلك يشيع السلام والأمن والطمأنينة في جنبات الوجود، وفي قلب المؤمن تجاه ربه. فهو آمن في جواره، سالم في كنفه. وحيال هذا الوجود وأهله من الأحياء والأشياء. ويؤوب القلب من هذا الاسم بالسلام والراحة والاطمئنان"[4].

ويقول عند تفسير قول الله تعالى: { لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [البقرة : 255] " على أن مجرد استقرار هذه الحقيقة في الضمير.. مجرد شعور الإنسان بحقيقة المالك – سبحانه – لما في السماوات وما في الأرض . . مجرد تصور الإنسان لخلو يده هو من ملكية أي شيء... وكفيل كذلك بأن يسكب في النفس القناعة والرضى بما يحصل من الرزق؛ والسماحة والجود بالموجود؛ وأن

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، ، (207/1).

[2] – انظر: المصدر السابق، (299/1).

[3] – المصدر السابق: (208/1–207).

[4] – المصدر السابق، (3533/6).

يفيض على القلب الطمأنينة والقرار في الوجدان والحرمان سواء؛ فلا تذهب النفس حسرات على فائت أو ضائع؛ ولا يتحرق القلب سعاراً على المرموق المطلوب!"[1].

وعند تفسير قول الله تعالى: {هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [الحشر: 22]، يقول سيد: " فيستقر في الضمير شعور الطمأنينة لرحمة الله والاسترواح ... فالله في تصور المؤمن لا يطارد عباده ولكن يراقبهم. ولا يريد الشر بهم بل يحب الهدى، ولا يتركهم بلا عون وهم يصارعون الشرور والأهواء"[2].

ثالثاً: الطمأنينة الناشئة من معرفة غاية خلق الإنسان ودوره في الحياة، يقول سيد: " من هذه المعرفة لحقيقة الوجود حوله، ولحقيقة الدور المقسوم له، ولحقيقة الطاقة المهيأة له للقيام بهذا الدور. من هذه المعرفة يستمد الطمأنينة والسكينة والارتياح لما يجري حوله، ولما يقع له. فهو يعرف من أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وإلى أين يذهب؟ وماذا هو واجد هناك؟ وقد علم أنه هنا لأمر... ولا يحار بين شتى الفكر، بل يقطع الرحلة ويؤدي الدور في طمأنينة وثقة وفي يقين. وقد يرتقي في المعرفة الإيمانية، فيقطع الرحلة ويؤدي الدور في فرح وانطلاق واستبشار، شاعراً بجمال الهبة وجلال العطية"[3].

رابعاً: الطمأنينة من الإيمان بالقدر ومعرفة السنن التي تجري عليها أحداث الحياة، يقول سيد: " إن صاحب العقيدة مدرك لسنن الله متعرف إلى مشيئة الله مطمئن إلى قدر الله. إنه يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه. ومن ثم لا يتلقى الضراء بالجزع ولا يتلقى السراء بالزهو ولا تطير نفسه لهذه أو لتلك; ولا يتحسر على أنه لم يصنع كذا ليتقي كذا أو ليستجلب كذا بعد وقوع الأمر وانتهائه! فمجال التقدير والتدبير والرأي والمشورة كله قبل الإقدام والحركة ; فأما إذا تحرك بعد التقدير والتدبير – في حدود علمه وفي حدود أمر الله ونهيه – فكل ما يقع من النتائج فهو يتلقاه بالطمأنينة والرضى والتسليم; موقنا أنه وقع وفقا لقدر الله وتدبيره وحكمته; وأنه لم يكن بد أن يقع كما وقع; ولو أنه هو قدم أسبابه بفعله! . . توازن بين العمل والتسليم وبين الإيجابية والتوكل يستقيم عليه الخطو ويستريح عليه الضمير . . فأما الذي يفرغ قلبه من العقيدة

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، ، (288/1).

[2] – المصدر السابق، (3533/6).

[3] – المصدر السابق، (3352/6).

في الله على هذه الصورة المستقيمة فهو أبدا مستطار أبدا في قلق! أبدا في (لو) و (لولا) و(يا ليت) و (وا أسفاه)!"[1]

ويقول في موضع آخر: " وشعور المؤمن بأنه يمضي مع قدر الله، في طاعة الله، لتحقيق إرادة الله. وما يسكبه هذا الشعور في روحه من الطمأنينة والسلام والاستقرار؛ والمضي في الطريق بلا حيرة ولا قلق ولا سخط على العقبات والمشاق؛ وبلا قنوط من عون الله ومدده؛ وبلا خوف من ضلال القصد أو ضياع الجزاء"[2].

خامساً: الطمأنينة الحاصلة من الإيمان باليوم الآخر، وعدالة الجزاء الإلهي، يقول سيد: " والاعتقاد بالآخرة يؤدي دوره الأساسي في إفاضة السلام على روح المؤمن وعالمه؛ ونفي القلق والسخط والقنوط. إن الحساب الختامي ليس في هذه الأرض؛ والجزاء الأوفى ليس في هذه العاجلة . . إن الحساب الختامي هناك؛ والعدالة المطلقة مضمونة في هذا الحساب. فلا ندم على الخير والجهاد في سبيله إذا لم يتحقق في الأرض أو لم يلق جزاءه. ولا قلق على الأجر إذا لم يوف في هذه العاجلة بمقاييس الناس، فسوف يوفاه بميزان الله. ولا قنوط من العدل إذا توزعت الحظوظ في الرحلة القصيرة على غير ما يريد، فالعدل لا بد واقع. وما الله يريد ظلما للعباد"[3].

ويقول عند تفسير قول الله تعالى: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى*وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى} [النجم : 39 – 41]، " فلن يضيع شيء من السعي والعمل والكسب؛ ولن يغيب شيء عن علم الله وميزانه الدقيق. وسينال كل امرئ جزاء سعيه وافيا كاملا لا نقص فيه ولا ظلم.

وكذلك يتحدد مبدأ فردية التبعة، إلى جانب عدالة الجزاء. فتتحقق للإنسان قيمته الإنسانية. القائمة على اعتباره مخلوقاً راشداً مسؤولاً مؤتمناً على نفسه؛ كريماً تتاح له الفرصة للعمل ثم يؤخذ بما عمل وتتحقق له كذلك الطمأنينة على عدالة الجزاء. عدالة مطلقة لا يميل بها الهوى، ولا يقعد بها القصور، ولا ينقص منها الجهل بحقائق الأمور"[4] .

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، ، (498/1).

[2] – المصدر السابق، (208/1).

[3] – المصدر السابق، (208/1).

[4] – المصدر السابق، (3415/6).

سادساً: الطمأنينة الناتجة عن الإيمان بالأنبياء والرسل، يقول سيد: " وهؤلاء الرهط الكرام والمؤمنون بهم، هم حسب هذا الدين! ... موكب موصول تماسكت حلقاته؛ ودعوة واحدة حملها رسول بعد رسول؛ وآمن بها ويؤمن من يقسم الله له الهداية؛ بما يعلمه من استحقاقه للهداية! . . وهو تقرير يسكب الطمأنينة في قلب المؤمن، وفي قلوب العصبة المسلمة – أيا كان عددها – إن هذه العصبة ليست وحدها . ليست مقطوعة من شجرة! إنها فرع منبثق من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وحلقة في موكب جليل موصول، موصولة أسبابه بالله وهداه . . إن المؤمن الفرد، في أي أرض وفي أي جيل، قوي قوي، وكبير كبير، إنه من تلك الشجرة المتينة السامقة الضاربة الجذور في أعماق الفطرة البشرية وفي أعماق التاريخ الإنساني، وعضو من ذلك الموكب الكريم الموصول بالله وهداه منذ أقدم العصور"[1].

سابعاً: الطمأنينة الناتجة عن تصوير العقيدة لحقيقة الكون والحياة، يقول سيد: " إن التصور الإسلامي وحده هو الذي يمضي وراء هذه الجزئيات ليربطها كلها بأصل شامل متناسق . . إن الله هو الذي خلق الكون، وهو الذي خلق الإنسان. وقد اقتضت مشيئته وحكمته أن يجعل طبيعة هذا الكون بحيث تسمح بنشأة هذا الإنسان، وأودع الإنسان من الاستعدادات ما يسمح له بالتعرف إلى بعض نواميس الكون واستخدامها في حاجته . . . وهذا التناسق الملحوظ هو الجدير بصنعة الله الذي أحسن كل شيء خلقه. ولم يجعل خلائقه متعاكسة متعادية متدابرة! وفي ظل هذا التصور يعيش الإنسان في كون مأنوس صديق؛ وفي رعاية قوة حكيمة مدبرة. يعيش مطمئن القلب، مستروح النفس، ثابت الخطو، ينهض بالخلافة عن الله في الأرض في اطمئنان الواثق بأنه معان على الخلافة؛ ويتعامل مع الكون بروح المودة والصداقة"[2].

ويقول في موضع آخر: " ومن هدي فقد أفلح، فهو سائر على النور، واصل إلى الغاية، ناج من الضلال في الدنيا، ومن عواقب الضلال في الآخرة؛ وهو مطمئن في رحلته على هذا الكوكب تتناسق خطاه مع دورة الأفلاك ونواميس الوجود؛ فيحس بالأنس والراحة والتجاوب مع كل كائن في الوجود"[3].

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، ، (1144/2).

[2] – المصدر السابق، (1263/3).

[3] – المصدر السابق، (2784/5).

وبعد هذا التطواف في هذا الأثر العظيم التي تمنحه العقيدة الإسلامية، لا بد لنا من ذكر أن سيد قطب قد وضع ميزاناً توزن به العقائد والمناهج، يتمثل هذا الميزان بقدر ما تحققه العقيدة من سعادة وطمأنينة في حياة البشر، يقول: " إنه ليس المستوى الحضاري المادي هو الذي يكون عليه الحكم. فالحضارة المادية تنمو بنمو وسائلها التي ينشئها العلم الصاعد . . ولكن ميزان الحياة في فترة من الفترات هو التناسق والتوازن بين جميع أجزائها وأجهزتها وأوضاعها . . هو التوازن الذي ينشىء السعادة والطمأنينة"[1].

ويقول عن الحضارة المعاصرة: " إن البشرية اليوم تعاني من الخواء المرير ... خواء الروح من الحقيقة التي لا تطيق فطرتها أن تصبر عليها . . حقيقة الإيمان . . وخواء حياتها من المنهج الإلهي... إنها تعاني من الهجير المحرق الذي تعيش فيه بعيدا عن ذلك الظل الوارف الندي. ومن الفساد المقلق الذي تتمرغ فيه بعيدا عن ذلك الخط القويم والطريق المأنوس المطروق! ومن ثم تجد الشقاء والقلق والحيرة والاضطراب؛ وتحس الخواء والجوع والحرمان؛ وتهرب من واقعها هذا بالأفيون والحشيش والمسكرات؛ وبالسرعة المجنونة والمغامرات الحمقاء، والشذوذ في الحركة واللبس والطعام! وذلك على الرغم من الرخاء المادي والإنتاج الوفير والحياة الميسورة والفراغ الكثير. لا بل إن الخواء والقلق والحيرة لتتزايد كلما تزايد الرخاء المادي والإنتاج الحضاري واليسر في وسائل الحياة ومرافقها... إنهم لا يجدون أنفسهم لأنهم لا يجدون غاية وجودهم الحقيقية، إنهم لا يجدون سعادتهم لأنهم لا يجدون المنهج الإلهي الذي ينسق بين حركتهم وحركة الكون، وبين نظامهم وناموس الوجود. إنهم لا يجدون طمأنينتهم لأنهم لا يعرفون الله الذي إليه يرجعون"[2] .

ويتساءل في موضع آخر: " لقد أحرزت البشرية انتصارات شتى في جهادها لتسخير القوى الكونية . وحققت في عالم الصناعة والطب ما يشبه الخوارق – بالنسبة للماضي – وما تزال في طريقها إلى انتصارات جديدة . . ولكن ما أثر هذا كله في حياتها؟ ما أثره في حياتها النفسية؟ هل وجدت السعادة؟ هل وجدت الطمأنينة؟ هل وجدت السلام؟ كلا! لقد وجدت الشقاء والقلق والخوف . . والأمراض العصبية والنفسية، والشذوذ والجريمة على أوسع نطاق... إنها لا تجد النور الذي يكشف لها غاية

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، ، (812/2).

[2] – المصدر السابق، (422/1).

وجودها الحقيقية فتنطلق إليها مستعينة بهذا العلم الذي منحه الله لها ووهبها الاستعداد له. ولا تجد المنهج الذي ينسق بين حركتها وحركة الكون، وفطرتها وفطرة الكون، وقانونها وناموس الكون. ولا تجد النظام الذي ينسق بين طاقاتها وقواها، وآخرتها ودنياها، وأفرادها وجماعاتها، وواجباتها وحقوقها.. تنسيقا طبيعيا شاملا مريحا"[1].

ويقرر سيد أن العقيدة الإسلامية أهم منابع الرضى والسعادة على مر العصور، يقول: " إن رصيد الإيمان الذي تقوم الأمة المسلمة حارسة عليه في الأرض، ووارثة له منذ أقدم الرسالات، هو أكرم رصيد وأقومه في حياة البشرية. إنه رصيد من الهدى والنور، ومن الثقة والطمأنينة، ومن الرضى والسعادة، ومن المعرفة واليقين. وما يخلو قلب بشري من هذا الرصيد حتى يجتاحه القلق والظلام، وتعمره الوساوس والشكوك، ويستبد به الأسى والشقاء. ثم يروح بتخبط في ظلماء طاخية، لا يعرف أين يضع قدميه في التيه الكئيب! وصرخات القلوب التي حرمت هذا الزاد، وحرمت هذا الأنس، وحرمت هذا النور، صرخات موجعة في جميع العصور"[2].

وختاماً يمكن للباحث أن يقول: إن بيان سيد قطب لهذه الحقيقة مهم جداً في إدراك قيمة العقيدة، وأنها تحقق السعادة في الدنيا قبل الآخرة، ومهم كذلك في حمل العقيدة للناس، لأن الناس بطبيعتهم يبحثون عن السعادة والطمأنينة في هذه الحياة، والواقع يشهد بأنهم يطلبونها من غير مظانها الحقيقية، فقد حرصت الحضارة المادية على تصوير السعادة والطمأنينة منحصرة في المتع المادية، وهذه النظرة تأثر بها أبناء المسلمين، فلا بد من تصحيح هذا المفهوم، حتى يعود للعقيدة وهجها وقيمتها في حياة المسلم.

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، ، (1/441-440).

[2] – المصدر السابق، (1/342).

المبحث الرابع

تكريم الإنسان

وقف سيد قطب في (الظلال) على بيان العقيدة الإسلامية لكرامة الإنسان بجنسيه، وجعل من كرامة الإنسان حقاُ أصيلا من حقوقه، لا يجوز أن ينتهك تحت أي ظرف من الظروف، يريد بذلك تصحيح نظرة الإنسان لنفسه، بعد أن وُجد في العالم تصورات وحضارات حطت من مكانته التي رفعها إليه الله عز وجل، يقول سيد في مقدمة تفسيره: " وعشت – في ظلال القرآن–أرى الإنسان أكرم بكثير من كل تقدير عرفته البشرية من قبل للإنسان ومن بعد"[1]. ويقول في أثر الإيمان على الكائن البشري: " وأول ما يصنعه الإيمان في الكائن البشري، حين تستقر حقيقته في قلبه، هو سعة تصوره لهذا الوجود... وشعوره بقيمته وكرامته"[2].

لهذا نجد سيد قطب يحاجج المبادئ الأرضية مدافعاً عن كرامة الإنسان، فقد تعرض لأصحاب المذهب المادي الذين أهدروا كرامة الإنسان حين ادعوا أن المادة وتأثيراتها الحتمية هي العامل الأساسي المؤثر في الكون وجعلوا الكائن البشري ثانوياً من حيث التأثير، – وهي مناقضة لمبدأ كرامة الإنسان، –كما سيأتي–، وتعرض للداروينية[3] التي تلحق الإنسان بعالم الحيوان وتتجاهل خصائصه الإنسانية التي كُرم بها الإنسان، وسفه رأي فرويد[4] في مذهبه للتحليل النفسي حين صور الإنسان غارقاً في وحل الجنس، كما تعرض للحضارة المادية[5] التي تجيز انتهاك حرمة الإنسان وكرامته من أجل تحصيل المنافع المادية، يقول سيد قطب في سياق حديثه عن كرامة الإنسان: " أنه كريم عند الله . . وكل مذهب أو تصور يحط من قدر الإنسان في نظر نفسه، ويرده إلى منبت حقير... هو تصور أو مذهب يدعوه إلى التدني والتسفل ولو لم يقل له ذلك صراحة! ومن هنا كانت إيحاءات الداروينية والفرويدية والماركسية هي أبشع ما تبتلى به الفطرة البشرية والتوجيه الإنساني، فتوحي إلى

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (12/1).

[2] – المصدر السابق، (3351/6).

[3] – انظر: المصدر السابق، (3965/6).

[4] – انظر: المصدر السابق، (2511/4، 3965/6).

[5] – المصدر السابق، (60/1، 1272/3).

البشر بأن كل سفالة وكل قذارة وكل حقارة هي أمر طبيعي متوقع، ليس فيه ما يستغرب، ومن ثم ليس فيه ما يخجل . . وهي جناية على البشرية تستحق المقت والازدراء"[1].

كما وقف سيد موقف العداء لجميع الأنظمة التي يحكم فيها البشر البشر بأي صورة كانت، كون هذه الفكرة تحمل في طياتها معنى عبودية البشر للبشر وهو اعتداء سافر على كرامة الإنسان، يقول سيد: "إنه حين تكون الحاكمية العليا لله وحده في مجتمع – متمثلة في سيادة شريعته الربانية – تكون هذه هي الصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحررا حقيقيا كاملا من العبودية للهوى البشري ومن العبودية للعبيد. وتكون هذه هي الصورة الوحيدة للإسلام أو للحضارة – كما هي في ميزان الله – لأن الحضارة التي يريدها الله للناس تقوم على قاعدة أساسية من الكرامة والتحرر لكل فرد. ولا كرامة ولا تحرر مع العبودية لعبد . . لا كرامة ولا تحرر في مجتمع بعضه أرباب يشرعون ويزاولون حق الحاكمية العليا؛ وبعضهم عبيد يخضعون ويتبعون هؤلاء الأرباب!"[2].

لقد أراد سيد قطب أن يوقظ الشعور بالكرامة التي تمنحها العقيدة الإسلامية في حس الإنسان عموماً والمسلم خصوصاً، حتى تعلو قيمته في نظر نفسه، وحتى تأبى عليه نفسه قبول الذلة والصغار في ميادين الحياة الواسعة.

لهذا نجد الحديث عن كرامة الإنسان في (الظلال) يتجدد في مناسبات عديدة، يطرق سيد أبوابها من زوايا مختلفة، يحاول من خلالها أن يكشف عن مدى أصالة هذه الحقيقة في العقيدة الإسلامية والتشريع الإسلامي، ولكننا نلتزم خطة الرسالة فنحصر الحديث عن وجهة نظر العقيدة في كرامة الإنسان وآثارها كما يراها سيد.

تتجلى مظاهر تكريم الله تعالى للإنسان عند سيد قطب بعدة أمور، أهمها:

أولاً: الإعلان المهيب في الملأ الأعلى عن توجه الإرادة الإلهية لخلق أول كائن بشري، وسجود الملائكة لهذا الكائن[3]، وتسليمه مقاليد الأرض ليكون خليفتها، وخلق الإنسان بمواهب تؤهله للقيام بدوره، فعند قول الله تعالى، { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } [البقرة : 30]، أبرز سيد تكريم الله للإنسان بجعلة خليفة له في أرضه وهو مسلتزم لتطويع الأرض لهذا الكائن،

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، ، (3965/6).

[2] – المصدر السابق، (1257/3)

[3] – انظر: المصدر السابق، (2241/4).

ومستلزم كذلك لإعطاء الإنسان مواهب خاصة تمكنه من القيام بعملية الاستخلاف، يقول سيد: " وإذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود ، زمام هذه الأرض ، وتطلق فيها يده ، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين... وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات...وإذن فقد وهب هذا الكائن الجديد من الطاقات الكامنة ، والاستعدادات المذخورة كفاء ما في هذه الأرض من قوى وطاقات ، وكنوز وخامات؛ ووهب من القوى الخفية ما يحقق المشيئة الإلهية. وإذن فهنالك وحدة أو تناسق بين النواميس التي تحكم الأرض – وتحكم الكون كله – والنواميس التي تحكم هذا المخلوق وقواه وطاقاته ، كي لا يقع التصادم بين هذه النواميس وتلك؛ وكي لا تتحطم طاقة الإنسان على صخرة الكون الضخمة! وإذن فهي منزلة عظيمة، منزلة هذا الإنسان، في نظام الوجود على هذه الأرض الفسيحة . وهو التكريم الذي شاءه له خالقه الكريم"[1].

وعند تفسير قوله تعالى: { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا } [الإسراء : 70] يقول: " كرمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته؛ والتي استأهل بها الخلافة في الأرض، يغير فيها ويبدل، وينتج فيها وينشئ، ويركب فيها ويحلل، ويبلغ بها الكمال المقدر للحياة. وكرمه بتسخير القوى الكونية له في الأرض وإمداده بعون القوى الكونية في الكواكب والأفلاك. وكرمه بذلك الاستقبال الفخم الذي استقبله به الوجود، وبذلك الموكب الذي تسجد فيه الملائكة ويعلن فيه الخالق جل شأنه تكريم هذا الإنسان! وكرمه بإعلان هذا التكريم كله في كتابه المنزل من الملأ الأعلى الباقي في الأرض . . القرآن"[2].

ثانياً: حرية إرادة الإنسان، يقول سيد: " وفي التصور الإسلامي إعلاء من شأن الإرادة في الإنسان فهي مناط العهد مع الله، وهي مناط التكليف والجزاء . . إنه يملك الارتفاع على مقام الملائكة بحفظ عهده مع ربه عن طريق تحكيم إرادته، وعدم الخضوع لشهواته، والاستعلاء على الغواية التي توجه إليه. بينما يملك أن يشقي نفسه ويهبط من عليائه، بتغليب الشهوة على الإرادة، والغواية على الهداية، ونسيان العهد الذي يرفعه إلى مولاه. وفي هذا مظهر من مظاهر التكريم لا شك فيه، يضاف إلى عناصر التكريم الأخرى"[3].

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (56/1).

[2] – المصدر السابق: (2241/4).

[3] – المصدر السابق، (61/1).

يرى سيد أن هذه الإرادة الحرة التي منحها الله للإنسان هي أعظم مظاهر التكريم، والتي يستطيع الإنسان من خلالها اعتناق العقيدة التي يريد واتباع المنهج الذي يريد بلا قهر من خالقه تبارك وتعالى، يقول سيد: " ثم هو يملك بإرادته الإنسانية الحرة – وهي أسمى ما أكرمه الله به – أن يغير عقيدته وتصوره وفكره ومنهج حياته من ضلال إلى هدى عن طريق الإدراك والفهم والاقتناع والاتجاه . ولكنه لا يملك أبدا أن يغير جنسه، ولا لونه، ولا قومه . لا يملك أن يحدد سلفا مولده في جنس ولا لون؛ كما لا يمكنه أن يحدد سلفا مولده في قوم أو أرض . . فالمجتمع الذي يتجمع فيه الناس على أمر يتعلق بإرادتهم الحرة هو بدون شك أرقى وأمثل وأقوم من المجتمع الذي يتجمع فيه الناس على أمور خارجة عن إرادتهم ولا يد لهم فيها!"[1].

وعند قول الله تعالى: { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ} [التغابن : 2]، يقول سيد: " ولكن الله كرم هذا المخلوق فأودعه القدرة على التمييز والقدرة على الاختيار؛ وأمده بعد ذلك بالميزان الذي يزن به عمله ويقيس به اتجاهه. وهو الدين الذي نزله على رسل منه. فأعانه بهذا كله على حمل هذه الأمانة. ولم يظلمه شيئا"[2].

ويقول كذلك عند تفسير قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} [البقرة : 256]، " وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان؛ واحترام إرادته وفكره ومشاعره؛ وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه"[3].

ثالثاً: فاعلية الإنسان في الحياة وجريان قدر الله على يديه. فعند تفسير سيد لآية، { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } [الأنفال : 53]، يقول: " ومن الجانب الآخر يكرم هذا المخلوق الإنساني أكبر تكريم ، حين يجعل قدر الله به ينفذ ويجري عن طريق حركة هذا الإنسان وعمله؛ ويجعل التغيير القدري في حياة الناس مبنيا على التغيير الواقعي في قلوبهم ونواياهم وسلوكهم وعملهم ، وأوضاعهم التي يختارونها لأنفسهم . . ومن الجانب الثالث يلقي تبعة عظيمة – تقابل التكريم العظيم – على هذا الكائن. فهو يملك أن يستبقي نعمة الله عليه ويملك أن يزاد عليها، إذا هو عرف فشكر؛ كما يملك أن يزيل هذه النعمة عنه إذا هو أنكر وبطر، وانحرفت

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (1257/3).

[2] – المصدر السابق: (3585/6).

[3] – المصدر السابق: (291/1).

نواياه فانحرفت خطاه. وهذه الحقيقة الكبيرة تمثل جانبا من جوانب « التصور الإسلامي لحقيقة الإنسان »؛ وعلاقة قدر الله به في هذا الوجود؛ وعلاقته هو بهذا الكون وما يجري فيه . . ومن هذا الجانب يتبين تقدير هذا الكائن في ميزان الله؛ وتكريمه بهذا التقدير؛ كما تتبين فاعلية الإنسان في مصير نفسه وفي مصير الأحداث من حوله ، ؛ فيبدوا عنصرا إيجابيا في صياغة هذا المصير – بإذن الله وقدره الذي يجري من خلال حركته وعمله ونيته وسلوكه – وتنتفي عنه تلك السلبية الذليلة التي تفرضها عليه المذاهب المادية ، التي تصوره عنصرا سلبيا إزاء الحتميات الجبارة"[1].

ويقول في موضع آخر عن هذا التصور:" وهذا التصور كما أسلفنا عند مواجهة النص في سياق السورة يزيد من ضخامة التبعة الملقاة على هذا الكائن الإنساني؛ بقدر ما يجلو من كرامته في نظام الكون كله. فهو وحده المخلوق الذي تجري مشيئة الله به من خلال اتجاهه وحركته .. وما أثقلها من تبعة! وما أعظمها كذلك من كرامة!"[2].

رابعاً: تكريم الإنسان من زاوية التكوين. ويتمثل هذا التكريم بعدة أمور:

1. التكريم بالنفخة الإلهية، يقول سيد:" وقد كرم الله هذا المخلوق البشري على كثير من خلقه. كرمه بخلقته على تلك الهيئة، بهذه الفطرة التي تجمع بين الطين والنفخة، فتجمع بين الأرض والسماء في ذلك الكيان"[3]، ويقول: " ففي الإنسان تلك النفخة من روح الله! وهي تهيئة لاستقبال الرسالة من الله، وأدائها كاملة كما تلقاها من الملأ الأعلى. وهي كرامة للجنس البشري كله لا يرفضها إلا جاهل بقدر هذا الإنسان عند الله"[4].
2. التكريم بخلق الإنسان في أحسن تقويم، يقول سيد: " إن خلق الإنسان على هذه الصورة الجميلة السوية المعتدلة، الكاملة الشكل والوظيفة، أمر يستحق التدبر الطويل، والشكر العميق، والأدب الجم، والحب لربه الكريم، الذي أكرمه بهذه الخلقة، تفضلا منه ورعاية ومنة. فقد كان قادرا أن يركبه في أية صورة أخرى يشاؤها. فاختار له هذه الصورة السوية المعتدلة الجميلة"[5].

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (1535/4).

[2] – المصدر السابق، (2073/4).

[3] – المصدر السابق، (2241/4).

[4] – المصدر السابق، (3586/6).

[5] – المصدر السابق، (3848/6).

3. التكريم بمنحه العقل، أداة الإدراك البشري. يقول سيد: " هذه الأداة العظيمة – أداة الإدراك البشري – هي بلا شك موضع التكريم من الله – ومن ثم يكل إليها إدراك الحقيقة الأولى : حقيقة أن هذا الدين من عند الله... يجب أن نحترم الإدراك البشري بالقدر الذي أراده الله له من التكريم في مجاله الذي يحسنه – ثم لا نتجاوز به هذا المجال"[1].

خامساً: تكريم الإنسان بالرسالات، فعند حادثة اتصال الوحي بالنبي محمد–صلى الله عليه وسلم– ودلالة هذا الحادث الضخم على تكريم الله للإنسان، يقول سيد:" إن الله سبحانه قد أكرمه كرامة لا يكاد يتصورها، ولا يملك أن يشكرها. وأن هذه وحدها لا ينهض لها شكره ولو قضى عمره راكعاً ساجداً... أن يذكره الله، ويلتفت إليه، ويصله به، ويختار من جنسه رسولا يوحي إليه بكلماته"[2].

سادساً: جعل مثواه بعد الموت باطن الأرض: يقول سيد: "وجعل مثواه جوف الأرض، كرامة له ورعاية، ولم يجعل السنة أن يترك على ظهرها للجوارح والكواسر. وأودع فطرته الحرص على مواراة ميته وقبره. فكان هذا طرفا من تدبيره له وتقديره"[3].

هذه أهم مظاهر تكريم الإنسان عند سيد قطب، وهذه النظرة ذات أثر ضخم في حياة الفرد، كفيلة ببث روح الكرامة في نفسه، يقول سيد: " والاعتقاد بكرامة الإنسان على الله، يرفع من اعتباره في نظر نفسه، ويثير في ضميره الحياء من التدني عن المرتبة التي رفعه الله إليها"[4].

وما أروع الاستنباط الذي توصل إليه سيد قطب في قصة خلق آدم– عليه السلام– ليكون خليفة الأرض، عندما اعتبر أن كرامة الإنسان يجب أن تكون فوق كل قيمة مادية، ولا يجوز أن تمتهن كرامة الإنسان من أجل توفير هذه القيم، فعند قول الله تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } [البقرة : 30]، يقول تعقيباً على القصة: " وأول اعتبار من هذه الاعتبارات هو أن الإنسان سيد هذه الأرض، ومن أجله خلق كل شيء فيها – كما تقدم ذلك نصا – فهو إذن أعز وأكرم وأغلى من كل شيء مادي، ومن كل قيمة مادية في هذه الأرض جميعا. ولا يجوز إذن أن يستعبد أو يستذل لقاء توفير قيمة مادية أو شيء مادي . . لا يجوز أن يعتدي على أي مقوم من

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (723/2).

[2] – المصدر السابق، (3937/6).

[3] – المصدر السابق، (3831/6).

[4] – المصدر السابق، (3965/6).

مقومات إنسانيته الكريمة، ولا أن تهدر أية قيمة من قيمه لقاء تحقيق أي كسب مادي، أو إنتاج أي شيء مادي، أو تكثير أي عنصر مادي . . فهذه الماديات كلها مخلوقة – أو مصنوعة – من أجله. من أجل تحقيق إنسانيته. من أجل تقرير وجوده الإنساني. فلا يجوز إذن أن يكون ثمنها هو سلب قيمة من قيمه الإنسانية، أو نقص مقوم من مقومات كرامته"[1].

وهذا المبدأ الذي بينه سيد قطب لا شك أن له تأثير كبير في نظرة الفرد إلى نفسه كما أسلفنا، كما له تأثير في نوع الحياة التي يرتضيها المؤمن بهذا المبدأ، يقول سيد: " وما من شك أن كلا من نظرة الإسلام هذه ونظرة المادية للإنسان تؤثر في طبيعة النظام الذي تقيمه هذه وتلك للإنسان؛ وطبيعة احترام المقومات الإنسانية أو إهدارها؛ وطبيعة تكريم هذا الإنسان أو تحقيره . . وليس ما نراه في العالم المادي من إهدار كل حريات الإنسان وحرماته ومقوماته في سبيل توفير الإنتاج المادي وتكثيره، إلا أثرا من آثار تلك النظرة إلى حقيقة الإنسان، وحقيقة دوره في هذه الأرض!"[2].

يظهر مما سبق أن كرامة الإنسان في العقيدة الإسلامية كما بينها سيد في تفسيره، هي حق أصيل لكل فرد من أفراد البشر، لم تمنحه الطبيعة أو الفلسفة، إنما تفضل الله به على الإنسان، وهو حق لا يقبل المفاوضة، ولا يقبل النقصان أو السلب، حق يعطيه الحاكم لرعيته، والزوج لزوجته، والأب لبنيه، وصاحب العمل لعماله، كاملاً غير منقوص.

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** (60/1).

[2] – المصدر السابق، (60/1).

المبحث الخامس

تحرير الإنسان

يرى سيد قطب أن تحرر الإنسان الحقيقي هو أثر من آثار عقيدة التوحيد، التي تجعل الله تعالى هو المستحق الوحيد للعبادة الشاملة، بهذه العقيدة يتحرر الفرد من كل ما يستعبده، يتحرر من عبودية البشر، ويتحرر من عبودية الأهواء والشهوات، ويتحرر من الأوهام والخرافات. هذا المعنى الذي يريده سيد قطب من الحرية التي يكثرُ الحديث عنها في تفسيره، ويعتبرها قيمة من قيم عقيدة التوحيد.

ففي معرض حديثه عن قيم توحيد العبودية، يقول: " وننتقل إلى قيمة أخرى من قيم توحيد العبادة بمعنى الدينونة لله وحده وآثارها في الحياة الإنسانية: إن الدينونة لله تحرر البشر من الدينونة لغيره؛ وتخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده. وبذلك تحقق للإنسان كرامته وحريته الحقيقية، هذه الحرية وتلك اللتان يستحيل ضمانهما في ظل أي نظام آخر غير النظام الإسلامي يدين فيه الناس بعضهم لبعض بالعبودية، في صورة من صورها الكثيرة . . . سواء عبودية الاعتقاد، أو عبودية الشعائر، أو عبودية الشرائع . . فكلها عبودية؛ وبعضها مثل بعض؛ تخضع الرقاب لغير الله؛ بإخضاعها للتلقي في أي شأن من شؤون الحياة لغير الله[1].

ويقول في موضع آخر: " إن العبودية لله وحده – متمثلة في تلقي الشرائع والقوانين والقيم والموازين منه وحده – هي نقطة الانطلاق والتحرر البشري. الانطلاق والتحرر من سلطان الجبارين والطغاة، ومن سلطان السدنة والكهنة، ومن سلطان الأوهام والخرافات، ومن سلطان العرف والعادة، ومن سلطان الهوى والشهوة. ومن كل سلطان زائف يمثل الإصر الذي يلوي أعناق البشر ويخفض جباههم لغير الواحد القهار"[2].

ويتحدث عن القرآن وإنشائه للعقيدة، فيقول: " وهو يستهدف ابتداء إنشاء عقيدة وتصور في قلوب الناس وعقولهم تقوم على قاعدة : أشهد أن لا إله إلا الله . وإنشاء واقع في الأرض آخر يعبد فيه الله وحده، ولا يعبد معه سواه. وتحقيق ميلاد للإنسان جديد. يتحرر فيه الإنسان من عبادة العبيد، ومن عبادة هواه!"[3].

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (4/1940-1939).

[2] – المصدر السابق، (1/346).

[3] – المصدر السابق، (3/1256).

وعند قول الله تعالى: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }[الفاتحة : 5]، يقول سيد: " وهذه هي الكلية الاعتقادية التي تنشأ عن الكليات السابقة في السورة . فلا عبادة إلا لله، ولا استعانة إلا بالله. وهنا كذلك مفرق طريق . . مفرق طريق بين التحرر المطلق من كل عبودية، وبين العبودية المطلقة للعبيد! وهذه الكلية تعلن ميلاد التحرر البشري الكامل الشامل. التحرر من عبودية الأوهام. والتحرر من عبودية النظم، والتحرر من عبودية الأوضاع. وإذا كان الله وحده هو الذي يعبد، والله وحده هو الذي يستعان، فقد تخلص الضمير البشري من استذلال النظم والأوضاع والأشخاص، كما تخلص من استذلال الأساطير والأوهام والخرافات"[1].

ويعتبر سيد قطب كذلك توحيد الربوبية هو في حد ذاته تحرير للإنسان، يقول: " إن إعلان ربوبية الله للعالمين هي بذاتها إعلان تحرير الإنسان. تحريره من الخضوع والطاعة والتبعية والعبودية لغير الله. تحريره من شرع البشر، ومن هوى البشر، ومن تقاليد البشر، ومن حكم البشر"[2].

ويعتقد سيد أن عقيدة التوحيد هي الصورة المثلى للتحرر الإنساني، يقول: " فما يتحرر حقا إلا من يخلص لله كله، ويفر إلى الله بجملته وينجو من العبودية لكل أحد ولكل شيء ولكل قيمة، فلا تكون عبوديته إلا لله وحده . . فهذا هو التحرر إذن . . وما عداه عبودية وإن تراءت في صورة الحرية! ومن هنا يبدو التوحيد هو الصورة المثلى للتحرر. فما يتحرر إنسان وهو يدين لأحد غير الله بشيء ما في ذات نفسه، أو في مجريات حياته، أو في الأوضاع والقيم والقوانين والشرائع التي تصرف هذه الحياة . . لا تحرر وفي قلب الإنسان تعلق أو تطلع أو عبودية لغير الله. وفي حياته شريعة أو قيم أو موازين مستمدة من غير الله. وحين جاء الإسلام بالتوحيد جاء بالصورة الوحيدة للتحرر في عالم الإنسان"[3].

وينظر سيد قطب إلى إعطاء العقيدة الإسلامية الحق للفرد في اختيار عقيدته بلا إكراه أو إجبار صورة أخرى من صور التحرير، بل ينظر إليه كأخص خصائص التحرر الإنساني، وهو حق ثابت من حقوق الإنسان في الإسلام، فعند قول الله تعالى: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} [البقرة : 256]، يقول: " وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان؛ واحترام إرادته وفكره ومشاعره؛ وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه . . وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني... إن حرية الاعتقاد هي أول حقوق الإنسان التي يثبت

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، ، (25/1).

[2] – انظر: قطب، في ظلال القرآن ، (1346/3).

[3] – المصدر السابق، (392/1).

له بها وصف إنسان. فالذي يسلب إنسانا حرية الاعتقاد، إنما يسلبه إنسانيته ابتداء...فكل فرد على حدة يملك أن يختار عقيدته بمجرد أن يبلغ سن الرشد؛ وبذلك يقرر نوع المجتمع الذي يريد أن يعيش فيه مختارا؛ ونوع المنهج الاعتقادي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والخلقي الذي يريد بكامل حريته أن يتمذهب به ويعيش"[1].

وهذا التحرر الذي يمنحه الإيمان للإنسان، يجعله في أفضل أحواله للقيام بدوره في عمارة الأرض وخلافتها كما يرى سيد، قال: " والإيمان بالله تحرر من العبودية للهوى ومن العبودية للعبيد. وما من شك أن الإنسان المتحرر بالعبودية لله، أقدر على الخلافة في الأرض خلافة راشدة صاعدة. من العبيد للهوى ولبعضهم بعضا!... وحين تسير الحياة ... متحررة من الهوى والطغيان البشري ، عابدة خاشعة لله . . تسير سيرة صالحة منتجة تستحق مدد الله بعد رضاه، فلا جرم تحفها البركة، ويعمها الخير، ويظلها الفلاح"[2].

وتحرير الإنسان من صور العبودية المختلفة يجعله عزيزاً يأبى الذلة، ويحقق المساواة بين البشر تحت عبودية الله وحده، يقول سيد: " ثم إن مقومات الإيمان هي بذاتها مقومات الإنسانية الرفيعة الكريمة.. التعبد لإله واحد ، يرفع الإنسان عن العبودية لسواه ، ويقيم في نفسه المساواة مع جميع العباد ، فلا يذل لأحد ، ولا يحني رأسه لغير الواحد القهار . . ومن هنا الانطلاق التحرري الحقيقي للإنسان"[3].

ويقول ايضاً: " إن الإيمان بالله هو نقطة التحول في حياة البشرية من العبودية لشتى القوى، وشتى الأشياء، وشتى الاعتبارات . . إلى عبودية واحدة لله تتحرر بها النفس من كل عبودية، وترتفع بها إلى مقام المساواة مع سائر النفوس في الصف الواحد أمام المعبود الواحد"[4].

ويمكن للباحث أن يطمئن إلى ما ذهب إليه سيد قطب من أن عقيدة التوحيد هي الطريق الوحيد للتحرر من كل عبودية قد يقع الإنسان في براثنها، فلا شك أن في العقيدة قوة تزود الإنسان من التحرر من عبودية النفس للهوى والشهوة، والأعراف والتقاليد الفاسدة، ومن عبودية الأنظمة والحكام الذين يستعبدون الناس لأهوائهم ومصالحهم، ولا شك كذلك في أن النظام الإسلامي الذي يقوم على سيادة الشرع ضامن لحرية الناس وإعتاقهم من العبودية لفرد أو عائلة أو طبقة أو حزب ورد الجميع

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (291/1).

[2] – انظر: المصدر السابق ، (1339/3).

[3] – المصدر السابق، (3965/6).

[4] – المصدر السابق، (159/1).

إلى عبودية الله تعالى، وفيه ضمان لحرية الاعتقاد، فالإسلام لا يكره الناس حتى يكونوا مؤمنين، يقول الله تعالى: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة : 256]، هذا التحرير هو الذي يؤثر في حركة الأفراد في واقع الحياة وفي مسار تعمير الأرض وخلافتها وتطويرها، والذي يراجع حياة الصحابة[1] التي تمثلت بهم العقيدة خير تمثيل يجد أن معاني الحرية التي ذكرها سيد قطب حاضرة في نفوسهم وواقع حياتهم.

[1] – مما يشهد لذلك قول ربعي بن عامر –رضي الله عنه– لرستم ملك الفرس: " الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام"، فهذا الصحابي الجليل فهم أن طاعة العباد فيما شرعوا لأنفسهم هو عبادة لهم، واخراجهم من هذه العبودية لا تكون إلا بعبادة رب العباد. انظر القصة: بن كثير، أبو الفداء إسماعيل، (ت: 774هـ)، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط: 1، 1408 هـ–1988م، (46/7).

المبحث السادس

قوّة الإرادة

يرى سيد قطب أن في العقيدة الإسلامية مصدر قوة دافعة للفرد تمكنه من قطع رحلة الحياة ومواجهة الأحداث بخطى ثابتة، قوة يتسلح بها المؤمن للتغلب على شهوات نفسه والاستعلاء عليها، وتزود الداعية بالقوة الفاعلة لتحمل أعباء دعوته، وكذلك يزود الإيمان الجماعة المسلمة بالقوة العظمية في مواجهة الجاهلية وصناعة التغيير الضخم الذي يريده الإسلام.

ومن خلال ما كتبه سيد في تفسيره يمكن تلخيص أسباب هذه القوة في ثلاث نقاط:

أولاً: اتصال المؤمن بالقوة الأزلية

يقول سيد قطب: " والفرد الفاني ما لم يتصل بالقوة الخالدة ضعيف مهما كانت قوته، لأن قوى الشر والطغيان والإغواء أكبر منه؛ وقد يغالبها مرة ومرة ومرة؛ ولكن لحظة ضعف تنتابه فيتخاذل ويتهاوى ويخسر ماضيه وحاضره ومستقبله؛ فأما وهو يركن إلى قوة الأزل والأبد فهو قوي قوي، أقوى من كل قوي. قوي على شهوته وضعفه. قوي على ضروراته واضطراراته. قوي على ذوي القوة الذين يواجهونه"[1].

ركز سيد قطب كثيراً على سر القوة التي تمنحها العقيدة الإسلامية للمؤمن، وأبان أن الإيمان الحقيقي هو الذي يحقق الاتصال بين المخلوق الفاني بالقوة الأزلية التي تملك كل شيء في الوجود، ومعرفة المؤمن أن هذه القوة مع المؤمنين، تغير من طبيعة نظرته إلى ميزان القوى في حياته، فالمؤمن يرى نفسه وهو في كنف الله أقوى قوة على الأرض، من هذه النظرة يستمد المؤمن قوته، يقول سيد:" والقلب الذي يسجد لله حقاً، ويتصل به على مدار الليل والنهار، يستشعر أنه موصول السبب بواجب الوجود، ويجد لحياته غاية أعلى من أن تستغرق في الأرض وحاجات الأرض، ويحس أنه أقوى من المخاليق لأنه موصول بخالق المخاليق . . وهذا كله مصدر قوة للضمير، كما أنه مصدر تحرج وتقوى، وعامل هام من عوامل تربية الشخصية، وجعلها ربانية التصور، ربانية الشعور، ربانية السلوك"[2].

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (68/1).

[2] – المصدر السابق، (40/1).

وعند تفسير قول الله تعالى: { وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } [آل عمران : 160]، يقول: " وبذلك يخلص تصور المسلم من التماس شيء من عند غير الله ; ويتصل قلبه مباشرة بالقوة الفاعلة في هذا الوجود ; فينفض يده من كل الأشباح الزائفة والأسباب الباطلة للنصرة والحماية والالتجاء ; ويتوكل على الله وحده في أحداث النتائج وتحقيق المصاير وتدبير الأمر بحكمته وتقبل ما يجيء به قدر الله في اطمئنان أيا كان. إنه التوازن العجيب الذي لا يعرفه القلب البشري إلا في الإسلام" [1].

ويقول في موضع آخر: " إن قلب المؤمن ينبغي أن يكون راسخا ثابتا لا تهزمه في الأرض قوة، وهو موصول بقوة الله الغالب على أمره، القاهر فوق عباده . . وإذا جاز أن تنال هذا القلب هزة – وهو يواجه الخطر – فإن هذه الهزة لا يجوز أن تبلغ أن تكون هزيمة وفرارا"[2].

ثانياً: التوجه لمعبود واحد يجمع النفس البشرية ولا تمزقها

يكشف سيد عن سبب آخر من أسباب هذه القوة، وهو أن الايمان يجمع النفس البشرية ويطلقها باتجاه واحد، لعبودية واحدة، فلا تمزقها الأرباب المختلفة بين اتجاهات شتى، يقول سيد: " والإيمان بالله قوة دافعة دافقة، تجمع جوانب الكينونة البشرية كلها، وتتجه بها إلى وجهة واحدة، وتطلقها تستمد من قوة الله، وتعمل لتحقيق مشيئته في خلافة الأرض وعمارتها، وفي دفع الفساد والفتنة عنها، وفي ترقية الحياة ونمائها. وهذه كذلك من مؤهلات النجاح في الحياة الواقعية"[3].

وعند بيان قيمة عقيدة التوحيد يقول سيد: " والكينونة الإنسانية حين تتجمع على هذا النحو، تصبح في خير حالاتها... وحين تكون الكينونة الإنسانية في الوضع الذي يطابق الحقيقة في كل مجالاتها، تكون في أوج قوتها الذاتية؛ وفي أوج تناسقها كذلك مع حقيقة هذا الكون الذي تعيش فيه، وتتعامل معه؛ ومع حقيقة كل شيء في هذا الوجود، مما تتأثر به وتؤثر فيه . . وهذا التناسق هو الذي يتيح لها أن تنشئ أعظم الآثار، وأن تؤدي أعظم الأدوار"[4].

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (1/504-503).

[2] – المصدر السابق، (3/1490-1489).

[3] –المصدر السابق، (3/1338)

[4] – المصدر السابق، (4/1939-1938). وانظر: قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، (130-128).

ثالثاً: الدافعية للعمل

والسبب الأخير في سر قوة العقيدة عند سيد، أن الايمان الحقيقي يدفع إلى العمل، فما تستقر حقيقة الإيمان في قلب الفرد حتى يتحرك في الواقع ليؤثر فيه، يقول سيد: " والإيمان – بعد قوة دافعة وطاقة مجمعة. فما تكاد حقيقته تستقر في القلب حتى تتحرك لتعمل، ولتحقق ذاتها في الواقع، ولتوائم بين صورتها المضمرة وصورتها الظاهرة. كما أنها تستولي على مصادر الحركة في الكائن البشري كلها، وتدفعها في الطريق. ذلك سر قوة العقيدة في النفس، وسر قوة النفس بالعقيدة. سر تلك الخوارق التي صنعتها العقيدة في الأرض. وما تزال في كل يوم تصنعها. الخوارق التي تغير وجه الحياة من يوم إلى يوم، وتدفع بالفرد وتدفع بالجماعة إلى التضحية في العمر الفاني المحدود في سبيل الحياة الكبرى التي لا تفنى؛ وتقف بالفرد القليل الضئيل أمام قوى السلطان وقوى المال وقوى الحديد والنار، فإذا هي كلها تنهزم أمام العقيدة الدافعة في روح فرد مؤمن. وما هو الفرد الفاني المحدود الذي هزم تلك القوى جميعا، ولكنها القوة الكبرى الهائلة التي استمدت منها تلك الروح، والينبوع المتفجر الذي لا ينضب ولا ينحسر ولا يضعف"[1].

كان سيد شديد العناية في إيصال حقيقة القوة المتأصلة في العقيدة إلى أصحاب الدعوة الذين يريدون تغيير الواقع الجاهلي، فهو يصف العقيدة الإسلامية بأنها: "صخرة النجاة؛ وخط الدفاع، ومصدر القوة الدافعة للأمة المسلمة"[2]. ، ويحثهم على تحصيل الإيمان الحقيقي، يقول: "والعصبة المسلمة في كل مكان وفي كل زمان مدعوة إلى أن تزن بميزان الإيمان والعقيدة؛ وأن تدرك ببصيرة المؤمن وقلبه، وأن ترى بنور الله وهداه، وألا تتعاظمها قوى الطاغوت الظاهرة، وألا تستهين بقوتها ووزنها فإن معها الله، وأن تلقي بالها دائما إلى تعليم الله سبحانه للمؤمنين"[3].

ويقول في موضع آخر: " هناك قوة واحدة في هذا الوجود، هي قوة الله؛ وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون، هي قيمة الإيمان. فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ولو كان مجردا من كل مظاهر

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (3353/6). وانظر: قطب، **السلام العالمي والإسلام**، دار الشروق– القاهرة ط:13، 1422هـ–2001م، (7–14).

[2] – قطب، **في ظلال القرآن**، (438/1).

[3] – المصدر السابق، (1533/3).

القوة، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له ولا طمأنينة ولو ساندته جميع القوى؛ ومن كانت له قيمة الإيمان فله الخير كله، ومن فقد هذه القيمة فليس بنافعه شيء أصلا"[1].

ويكشف عن طبيعة قوى الإيمان أمام قوى الكفر، فيقول: " إن الإيمان صلة بالقوة الكبرى، التي لا تضعف ولا تفنى . . وإن الكفر انقطاع عن تلك القوة وانعزال عنها . . ولن تملك قوة محدودة مقطوعة منعزلة فانية، أن تغلب قوة موصولة بمصدر القوة في هذا الكون جميعا ... إن حقيقة الإيمان قوة حقيقية ثابتة ثبوت النواميس الكونية. ذات أثر في النفس وفيما يصدر عنها من الحركة والعمل. وهي حقيقة ضخمة هائلة كفيلة حين تواجه حقيقة الكفر المنعزلة المبتوتة المحدودة أن تقهرها"[2]

وتعقيباً على قصة هود –عليه السلام–، يقول: " إن أصحاب الدعوة إلى الله لا بد أن يجدوا حقيقة ربهم في نفوسهم ... حتى يملكوا أن يقفوا بإيمانهم في استعلاء أمام قوى الجاهلية الطاغية من حولهم.. أمام القوة المادية. وقوة الصناعة. وقوة المال. وقوة العلم البشري. وقوة الأنظمة والأجهزة والتجارب والخبرات . . وهم مستيقنون أن ربهم آخذ بناصية كل دابة؛ وأن الناس كل الناس إن هم إلا دواب من الدواب!"[3]

ثم يقف سيد على بعض القصص القرآني يدلل على ما ذهب إليه من أن قوة الأيمان تستعلي على قوة الكفر وإن كانت فقيرة الإمكانات المادية، يريد أن القوة الروحية المستمدة من الإيمان أعظم من أي قوة مادية، كونها تستند إلى القوة الحقيقية في الوجود، قوة الله تعالى. ويستنهض عزيمة المؤمنين ويدعوهم للتأسي بسير الأنبياء والمؤمنين. فيقف عند تحدي نبي الله نوح – عليه السلام– لقومه، حين قال لهم: { يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ } [يونس : 71]، فيقول: " كان معه الإيمان . . القوة التي تتصاغر أمامها القوى، وتتضاءل أمامها الكثرة، ويعجز أمامها التدبير. وكان وراءه الله الذي لا يدع أولياءه لأولياء الشيطان! إنه الإيمان بالله وحده ذلك الذي يصل صاحبه بمصدر القوة الكبرى المسيطرة على هذا الكون بما فيه ومن فيه. فليس هذا التحدي غرورا، وليس كذلك تهورا، وليس انتحارا. إنما هو تحدي القوة الحقيقية الكبرى للقوى الهزيلة الفانية التي تتضاءل

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (2674/5).

[2] – انظر: المصدر السابق ، (783/2).

[3] – انظر: المصدر السابق ، (1906/4).

وتتصاغر أمام أصحاب الإيمان. وأصحاب الدعوة إلى الله لهم أسوة حسنة في رسل الله . . وإنه لينبغي لهم أن تمتلئ قلوبهم بالثقة حتى تفيض. وإن لهم أن يتوكلوا على الله وحده في وجه الطاغوت أيا كان! ولن يضرهم الطاغوت إلا أذى – ابتلاء من الله لا عجزا منه سبحانه عن نصرة أوليائه ، ولا تركا لهم ليسلمهم إلى أعدائه"[1]

وتعقيباً على قصة فرعون والسحرة الذين دخل الإيمان في قلوبهم بعد ما رأوا الآيات، وتهديد طاغية مصر لهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف ووعيده لهم بالصلب في جذوع النخل، وردهم العظيم الذي خلده القرآن { قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ } [الأعراف : 125]، يقول سيد: " ولكن النفس البشرية حين تستعلن فيها حقيقة الإيمان؛ تستعلي على قوة الأرض، وتستهين ببأس الطغاة؛ وتنتصر فيها العقيدة على الحياة، وتحتقر الفناء الزائل إلى جوار الخلود المقيم. إنها لا تقف لتسأل: ماذا ستأخذ وماذا ستدع؟ ماذا ستقبض وماذا ستدفع؟ ماذا ستخسر وماذا ستكسب؟ وماذا ستلقى في الطريق من صعاب وأشواك وتضحيات؟ . . لأن الأفق المشرق الوضيء أمامها هناك، فهي لا تنظر إلى شيء في الطريق . . إنه الإيمان الذي لا يفزع ولا يتزعزع. كما أنه لا يخضع أو يخنع. الإيمان الذي يطمئن إلى النهاية فيرضاها، ويستيقن من الرجعة إلى ربه فيطمئن إلى جواره"[2].

ويرى سيد أن ما بين المسلمين والنصر في كل زمان ومكان إلا تحقيق الإيمان، يقول: " وليس بيننا وبين النصر في أي زمان وفي أي مكان، إلا أن نستكمل حقيقة الإيمان. ونستكمل مقتضيات هذه الحقيقة في حياتنا وواقعنا كذلك . . ومن حقيقة الإيمان أن نأخذ العدة ونستكمل القوة. ومن حقيقة الإيمان ألا نركن إلى الأعداء؛ وألا نطلب العزة إلا من الله. ووعد الله هذا الأكيد، يتفق تماما مع حقيقة الإيمان وحقيقة الكفر في هذا الكون"[3].

وفي ختام هذا المبحث يتبين أن سيد قطب – رحمه الله– قد وفق في تبليغ حقيقة قوة العقيدة إلى أصحاب الدعوة إلى الله، وحقيقة أن القوة الروحية أكثر قوة وتأثيرا في النفس من أي قوة مادية، وكان تركيز سيد على هذا الجانب ملاحظاً.

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (1811/3).

[2] – انظر: المصدر السابق ، (1351/3).

[3] – انظر: المصدر السابق، (783/2).

المبحث السابع

رفع الاهتمامات

لاحظ سيد قطب النقلة النوعية التي أحدثها الإيمان على صعيد الفرد والمجتمع، فبعد أن كانت اهتمامات العرب قبل الإسلام كما يخبرنا القرآن الكريم وكما ترويها دواوينهم الشعرية اهتمامات صغيرة تتمركز حول الاستغراق في شهوات الدنيا ورغائب النفوس، أصبحت بعد الإيمان اهتمامات رفيعة متناسقة مع غاية خلق الإنسان ودوره، ووظيفة الأمة ودورها في الحياة، والتفسير الوحيد لهذه النقلة العجيبة كما يراها سيد قطب هو الإيمان، فالإيمان يرفع من اهتمامات الإنسان كما يحط الكفر من اهتماماته.

يصف سيد العرب قبل الإسلام بأنهم كانوا غارقين في ضلالات التصور والاعتقاد، قادهم إلى ضلال في العادات والسلوك والأخلاق، فشغلوا أنفسهم في صغائر الأمور، فتفاخروا بالأنساب وكثر فيهم التعاظم في الآباء والأجداد، شغلتهم القبيلة وثاراتها، هان عليهم إراقة الدماء لأتفه الأسباب، يعيشون لنشوة الخمر وألعاب الميسر، إلى غير ذلك من الأوصاف التي تعبر عن حقيقة اهتماماتهم[1].

وسبب هذا التدني في الاهتمامات عند سيد، خلو العرب من عقيدة إلهية ترفع اهتماماتهم، يقول: "وكان ذلك علامة فراغ الحياة من الاهتمامات الكبيرة التي تشغلهم عن تفريغ الطاقة في هذه الملابسات الصغيرة. إذ لم تكن لهم رسالة للحياة ولا فكرة للبشرية ولا دور للإنسانية يشغلهم عن هذا السفساف. ولم تكن هناك عقيدة تطهرهم من هذه الأرجاس الاجتماعية الذميمة . . وماذا يكون الناس من غير عقيدة إلهية؟ ماذا تكون اهتماماتهم؟ وماذا تكون تصوراتهم؟ وماذا تكون أخلاقهم؟"[2].

ثم هم هؤلاء العرب عندما ملأ الإيمان حياتهم، تغيرت وتبدلت أحوالهم واهتماماتهم، يقول سيد: " لقد ملأ فراغها باهتمامات كبيرة لا تدع فيها فراغا تملؤه بنشوة الخمر، وخيالات السكر، وما يصاحبها من مفاخرات وخيلاء . . في الهواء . . ملأ فراغها باهتمامات. منها: نقل هذه البشرية الضالة الشاردة كلها، من تيه الجاهلية الأجرد، وهجيرها المتلظي، وظلامها الدامس، وعبوديتها المذلة، وضيقها الخانق، إلى رياض الإسلام البديعة، وظلاله الندية، ونوره الوضيء، وحريته الكريمة، وسعته التي

---

[1] – انظر: قطب، **في ظلال القرآن** ، (201/1، 510/1-507).

[2] – المصدر السابق، (510/1).

تشمل الدنيا والآخرة! وملأ فراغها – وهذا هو الأهم – بالإيمان. بهذا الإحساس الندي الرضي الجميل البهيج. فلم تعد في حاجة إلى نشوة الخمر، تحلق بها في خيالات كاذبة وسمادير! وهي ترف بالإيمان المشع إلى الملأ الأعلى الوضيء . . وتعيش بقرب الله ونوره وجلاله. . وتذوق طعم هذا القرب، فتمج طعم الخمر ونشوتها؛ وترفض خمارها وصداعها؛ وتستقذر لوثتها وخمودها في النهاية!" إنه استنقذ الفطرة من ركام الجاهلية؛ وفتحها بمفتاحها، الذي لا تفتح بغيره؛ وتمشى في حناياها وأوصالها؛ وفي مسالكها ودروبها . . ينشر النور، والحياة، والنظافة، والطهر، واليقظة، والهمة، والاندفاع للخير الكبير والعمل الكبير، والخلافة في الأرض، على أصولها، التي قررها العليم الخبير، وعلى عهد الله وشرطه، وعلى هدى ونور"[1].

يقف سيد عند بعض ملامح هذه النقلة في الاهتمامات وما حققته، فعند قول الله تعالى: { وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } [آل عمران : 164]، يقول: " وكان المخاطبون بهذه الآية أميين جهالا . أمية القلم وأمية العقل سواء. وما كان لهم من المعرفة شيء ذو قيمة بالمقاييس العالمية للمعرفة في أي باب من الأبواب. وما كان لهم في حياتهم من هموم كبيرة تنشئ معرفة ذات قيمة عالمية في أي باب من الأبواب. فإذا هذه الرسالة تحيلهم أساتذة الدنيا وحكماء العالم، وأصحاب المنهج العقيدي والفكري والاجتماعي والتنظيمي الذي ينقذ البشرية كلها من جاهليتها في ذلك الزمان"[2].

من هذه الملاحظات يخلص سيد قطب، إلى قاعدة: الإيمان يرفع من اهتمامات البشر، يقول: " إن العقيدة الإيمانية هي وحدها التي ترفع النفوس وترفع الاهتمامات وترفع الحياة الإنسانية عن نزوة البهيمة وطمع التاجر وتفاهة الفارغ!"[3].

ويقول في موضع آخر: "إن الإنسان بغير إيمان حقير صغير. حقير المطامع، صغير الاهتمامات. ومهما كبرت أطماعه. واشتد طموحه، وتعالت أهدافه، فإنه يظل مرتكسا في حمأة الأرض، مقيدا بحدود العمر، سجينا في سجن الذات . . لا يطلقه ولا يرفعه إلا الاتصال بعالم أكبر من الأرض،

---

[1] – انظر: قطب، **في ظلال القرآن** ، (666-667/1).

[2] – المصدر السابق، (511/1).

[3] – المصدر السابق، (606/1).

وأبعد من الحياة الدنيا، وأعظم من الذات . . عالم يصدر عن الله الأزلي، ويعود إلى الله الأبدي، وتتصل فيه الدنيا بالآخرة إلى غير انتهاء"[1].

ويذهب سيد إلى أن تفسير العقيدة للوجود الإنساني وللوجود كله ينبثق عنه الاهتمامات الكبيرة، يقول سيد: " وهذا التفسير ينعكس على الاهتمامات الإنسانية في الحياة، ويرفعها إلى مستواه. ومن ثم تبدو اهتمامات الآخرين صغيرة هزيلة في حس المسلم المشغول بتحقيق وظيفة وجوده الكبرى في هذا الكون، عن تلك الصغائر والتفاهات التي يخوض فيها اللاعبون! إن حياة المسلم حياة كبيرة – لأنها منوطة بوظيفة ضخمة، ذات ارتباط بهذا الوجود الكبير، وذات أثر في حياة هذا الوجود الكبير. وهي أعز وأنفس من أن يقضيها في عبث ولهو وخوض ولعب. وكثير من اهتمامات الناس في الأرض يبدو عبثا ولهوا وخوضا ولعبا حين يقاس إلى اهتمامات المسلم الناشئة من تصوره لتلك الوظيفة الضخمة المرتبطة بحقيقة الوجود"[2].

وكذلك من تفسير عقيدة الإسلام للموت تنشأ الرفعة في النفس الإنسانية واهتمامتها، يقول سيد: " فإنه إذا كان العمر مكتوبا والأجل مرسوما . . فلتنظر نفس ما قدمت لغد ; ولتنظر نفس ماذا تريد. أتريد أن تقعد عن تكاليف الإيمان وأن تحصر همها كله في هذه الأرض وأن تعيش لهذه الدنيا وحدها؟ أم تريد أن تتطلع إلى أفق أعلى وإلى اهتمامات أرفع وإلى حياة أكبر من هذه الحياة...وشتان بين حياة وحياة! وشتان بين اهتمام واهتمام! ... والذي يعيش لهذه الأرض وحدها ويريد ثواب الدنيا وحدها . . إنما يحيا حياة الديدان والدواب والأنعام! ... والذي يتطلع إلى الأفق الآخر، إنما يحيا حياة « الإنسان » الذي كرمه الله واستخلفه وأفرده بهذا المكان ثم يموت في موعده المضروب بأجله المكتوب... الذين يدركون نعمة التكريم الإلهي للإنسان فيرتفعون عن مدارج الحيوان ; ويشكرون الله على تلك النعمة فينهضون بتبعات الإيمان"[3].

ويقول في عقيدة الآخرة: " إن اتساع التصور وعمقه وتنوعه ينشئ سعة في النفس وكبراً في الاهتمامات ورفعة في المشاعر! ينشأ عنها هي بذاتها خلق وسلوك، غير خلق الذين يعيشون في الجحور وسلوكهم! فإذا أضيف إلى سعة التصور وعمقه وتنوعه، طبيعة هذا التصور، والاعتقاد في

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (3958/6).

[2] – انظر: المصدر السابق، (3395/6).

[3] – انظر: المصدر السابق، (487/1).

عدل الجزاء في الدار الآخرة، وفي ضخامة العوض عما يفوت ونفاسته؛ استعدت النفس للبذل في سبيل الحق والخير والصلاح الذي تعلم أنه من أمر الله ، وأنه مناط العوض والجزاء؛ وصلح خلق الفرد واستقام سلوكه – متى استيقن من الآخرة كما هي في التصور الإسلامي – وصلحت الأوضاع والأنظمة، التي لا يتركها الأفراد تسوء وتنحرف، وهم يعلمون أن سكوتهم على فسادها لا يحرمهم صلاح الحياة الدنيا وحدها وخيراتها؛ ولكنه يحرمهم كذلك العوض في الآخرة ، فيخسرون الدنيا والآخرة!"

وفي موضع آخر يقول: " والذي يقف عند حدود هذه الحياة الدنيا لا يمكن أن يسمو تصوره إلى تلك الاهتمامات الرفيعة التي يحفل بها المؤمن، ويمد إليها بصره في آفاقها البعيدة . . إن المؤمن قد يحتقر أعراض الحياة كلها؛ لا لأنه أصغر منها همة أو أضعف منها طاقة، ولا لأنه سلبي لا ينمي الحياة ولا يرقيها . . ولكن لأنه ينظر إليها من عل – مع قيامه بالخلافة فيها، وإنشائه للعمران والحضارة، وعنايته بالنماء والإكثار – فينشد من حياته ما هو أكبر من هذه الأعراض وأغلى. ينشد منها أن يقر في الأرض منهجا، وأن يقود البشرية إلى ما هو أرفع وأكمل، وأن يركز راية الله فوق هامات الأرض والناس، ليتطلع إليها البشر في مكانها الرفيع، وليمدوا بأبصارهم وراء الواقع الزهيد المحدود، الذي يحيا له من لم يهبه الإيمان رفعة الهدف، وضخامة الاهتمام، وشمول النظرة"[1].

ويرى سيد أن الكفر هو الكفر في كل زمان ومكان، والجاهلية هي الجاهلية، تبعث في الإنسان تصورات واهتمامات صغيره، وإن اختلفت مظاهرها، يقول: " إن الخمر – كالميسر. كبقية الملاهي. كالجنون بما يسمونه الألعاب الرياضية والإسراف في الاهتمام بمشاهدها . . كالجنون بالسرعة . . كالجنون بالسينما . . كالجنون بالمودات والتقاليع . . كالجنون بمصارعة الثيران . . كالجنون ببقية التفاهات التي تغشى حياة القطعان البشرية في الجاهلية الحديثة اليوم، جاهلية الحضارة الصناعية! إن هذه كلها ليست إلا تعبيرا عن الخواء الروحي . . من الإيمان أولا . . ومن الاهتمامات الكبيرة التي تستنفد الطاقة ثانيا . . وليست إلا إعلانا عن إفلاس هذه الحضارة في إشباع الطاقات الفطرية بطريقة سوية . . ذلك الخواء وهذا الإفلاس هما اللذان يقودان إلى الخمر والميسر لملء الفراغ، كما يقودان إلى كل أنواع الجنون التي ذكرنا"[2].

---

[1] – انظر: **قطب، في ظلال القرآن** ، (214/1).

[2] – المصدر السابق، (667/2).

ويقول: " إن الجاهلية هي الجاهلية. ولكل جاهلية أرجاسها وأدناسها. لا يهم موقعها من الزمان والمكان. فحيثما خلت قلوب الناس من عقيدة إلهية تحكم تصوراتهم ومن شريعة – منبثقة من هذه العقيدة – تحكم حياتهم فلن تكون إلا الجاهلية في صورة من صورها الكثيرة . . والجاهلية التي تتمرغ البشرية اليوم في وحلها لا تختلف في طبيعتها عن تلك الجاهلية العربية أو غيرها من الجاهليات التي عاصرتها في أنحاء الأرض حتى أنقذها منها الإسلام وطهرها وزكاها. إن البشرية اليوم تعيش في ماخور كبير! ونظرة إلى صحافتها وأفلامها ومعارض أزيائها. ومسابقات جمالها ومراقصها وحاناتها. وإذاعاتها. ونظرة إلى سعارها المجنون للحم العاري، والأوضاع المثيرة، والإيحاءات المريضة، في الأدب والفن وأجهزة الإعلام كلها . . إلى جانب نظامها الربوي، وما يكمن وراءه من سعار للمال ووسائل خسيسة لجمعه وتثميره وعمليات نصب واحتيال وابتزاز تلبس ثوب القانون . . وإلى جانب التدهور الخلقي والانحلال الاجتماعي، الذي أصبح يهدد كل نفس وكل بيت وكل نظام وكل تجمع إنساني . . نظرة إلى هذا كله تكفي للحكم على المصير البائس الذي تدلف إليه البشرية في ظل هذه الجاهلية"[1].

ونجمل نظرة سيد في هذه المسألة ورؤية المسلم لاهتمامات الذين لا يؤمنون واشتغالاتهم، بقوله: "كذلك يبدو أن الناس في خوض يلعبون من ناحية اهتماماتهم في الحياة. حين تقاس بالاهتمامات التي يثيرها الإسلام في النفس، ويعلق بها القلب، ويشغله بتدبرها وتحقيقها. وتبدو تفاهة تلك الاهتمامات وضآلتها، والمسلم ينظر إلى اشتغال أهلها بها، وانغماسهم فيها، وتعظيمهم لها، وحديثهم عنها كأنها أمور كونية عظمى! وهو ينظر إليهم كما ينظر إلى الأطفال المشغولين بعرائس الحلوى وبالدمى الميتة، يحسبونها شخوصا؛ ويقضون أوقاتهم في مناغاتها واللعب معها وبه! إن الإسلام يرفع من اهتمامات البشر بقدر ما يرفع من تصورهم للوجود الإنساني وللوجود كله وبقدر ما يكشف لهم عن علة وجودهم وحقيقته ومصيره"[2].

هكذا يجب أن تُقدم عقيدة الإسلام للناس، موصولة بالاهتمامات الكبيرة التي تنشئها في نفس الإنسان، حتى يُعلم أن أمر العقيدة جِدٌّ لا رخاوة فيه، فلا يستقيم إيمان مع اهتمام تافه، ولا يجدر بالمؤمن أن يتابع الصغار في لهوهم، وأن يلتفت إلى عظم المسؤولية وثقل الأمانة ورفعة الدور الذي أناطه الله به.

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن** (511/1-510).

[2] – المصدر السابق، (3395/6).

الفصل الخامس

أثر العقيدة الإسلامية على المجتمع كما يصورها سيد قطب

المبحث الأول: تشكيل وصياغة شخصية الأمة الإسلامية.

المبحث الثاني: إقرار مبدأ الحاكمية.

المبحث الثالث: تقوية الروابط داخل المجتمع.

المبحث الرابع: حماية المجتمع من الزلل والانحراف.

الفصل الخامس

أثر العقيدة الإسلامية على المجتمع كما يصورها سيد قطب

يتناول هذا الفصل أهم آثار العقيدة الإسلامية على المجتمع المسلم من وجهة نظر سيد قطب.

المبحث الأول

تشكيل وصياغة شخصية الأمة

يستطيع الباحث أن يلحظ بسهولة وهو يقرأ في (الظلال) أن من أخطر القضايا التي كانت تؤرق صاحب (الظلال)، قَصر مفهوم الدين على العقيدة وبعض العبادات، وما نتج عن هذا الفهم الخاطئ من عُزلة عميقة بين الدين والمجتمع، أي فصل العقيدة عما ينظم علاقات الناس وعلاقات المجتمع ومشكلات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

لهذا كان سيد شديد العناية على تركيز حقيقة أن المجتمع الإسلامي كان وليد الحركة بالعقيدة الإسلامية[1]، وبيان الارتباط بين نشأة المجتمع المسلم وتشكيله وبين العقيدة، فالمجتمع عند سيد لا يمكن من وجهة نظر العقيدة إلا أن يكون مجتمعاً قائماً على عقيدة الإسلام. يقول سيد: " إنه من توحيد الله – سبحانه – وإفراده بالألوهية تبدأ خطوات المنهج الرباني سواء في تربية النفوس أم في إقامة المجتمع ، ووضع شرائعه وتنظيمه؛ وسواء كانت هذه الشرائع متعلقة بالنظام الداخلي للمجتمع المسلم، أم بالنظام الدولي، الذي يتعامل هذا المجتمع على أساسه مع المجتمعات الأخرى"[2].

ومن جهة المناهج التي تنظم المجتمع الإسلامي فإن جميعها عند سيد منبثقة عن العقيدة الإسلامية، يقول: " من العقيدة في الله تنبع كل التصورات الأساسية للعلاقات الكونية والحيوية والإنسانية. تلك التصورات التي تقوم عليها المناهج الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والعالمية. والتي تؤثر في علاقات الناس بعضهم ببعض، في كل مجالي النشاط الإنساني في الأرض؛ والتي تكيف ضمير الفرد وواقع المجتمع"[3].

---

[11] – انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (2006/4).

[2] – قطب، المصدر السابق، (728/2).

[3] – المصدر السابق، (659/2).

ومن هذه العقيدة وذلك المنهج المنبثق عنها، تتشكل شخصية الأمة المسلمة المتميزة، وتتحدد أهدافها وغاياتها الرفيعة، يقول سيد: " إن هذه العقيدة منهج حياة كامل. وهذا المنهج هو الذي يميز الأمة المستخلفة الوارثة لتراث العقيدة، الشهيدة على الناس، المكلفة بأن تقود البشرية كلها إلى الله. وتحقيق هذا المنهج في حياة الأمة المسلمة هو الذي يمنحها ذلك التميز في الشخصية والكيان، وفي الأهداف والاهتمامات، وفي الراية والعلامة. وهو الذي يمنحها مكان القيادة الذي خلقت له، وأخرجت للناس من أجله. وهي بغير هذا المنهج ضائعة في الغمار، مبهمة الملامح، مجهولة السمات، مهما اتخذت لها من أزياء ودعوات وأعلام!"[1].

ونجد سيد وفي مواضع عديدة من تفسيره، يشير إلى هذه الحقيقة، أن العرب قبل الإسلام لم يكن لهم شأن يذكر، ولم يكن لهم بين أمم الأرض أدنى وجود، فمنَّ الله عليهم بالإيمان، هذا الإيمان هو الذي جعل لهم ذكر في العالمين، يقول: " أنشأهم ومنحهم الوجود الكبير، الذي تعرفهم به الإنسانية كلها. أعطاهم ما يعطونه لهذه الإنسانية. أعطاهم العقيدة الضخمة الشاملة التي تفسر الوجود كما لم تفسره عقيدة قط؛ والتي تمكنهم من قيادة البشرية قيادة راشدة رفيعة. وأعطاهم الشخصية المميزة بهذه العقيدة التي تجعل لهم وجودا بين الأمم والدول، ولم يكن لهم قبلها أدنى وجود. وأعطاهم القوة التي تعرفهم بها الدنيا وتحسب لهم معها حسابا، وكانوا قبلها خدما للإمبراطوريات من حولهم، أو مهملين لا يحس بهم أحد"[2].

من هذه الحقائق يتبين وجهة نظر سيد في تأثير العقيدة الإسلامية على المجتمع المسلم، فالحركة بالعقيدة هي التي أوجدت المجتمع المسلم، وهذا واضح من خلال سيرة النبي– صلى الله عليه وسلم– مع صحابته، ففي الطور المكي حباهم الله بالعقيدة التي دفعتهم للحركة حتى توجت دعوتهم بإقامة أول مجتمع مسلم في المدينة المنورة، يقود هذا المجتمع الرسول الأكرم وصحابته الذين صقلتهم عقيدة الإسلام، ثم تولت العقيدة بما انبثق عنها من أنظمة وتشريعات بصياغة المجتمع الوليد وتحديد شخصيته وأهدافه، وإخراج خير أمة عرفتها البشرية.

---

[1] – – انظر: قطب، **في ظلال القرآن** ، (129/1).

[2] – المصدر السابق، (252/1).

وما نستطيع ملاحظته من خلال تفسير سيد لآيات القرآن الكريم المتعلقة بتنظيم المجتمع الإسلامي الأول الذي أقيم في المدينة المنورة، أن سيدا كان منهجياً في ربط هذه الأحكام بالعقيدة الإسلامية مدللاً على حقيقية أن هذا المجتمع قائم على عقيدة التوحيد، وأن أثر العقيدة الإسلامية كما هو كبير في حياة الفرد، هو كذلك في المجتمع، فمنهج حياة المجتمع الإسلامي، وتصوراته وقيمه وموازينه وأنظمته المختلفة، والقيادة التي تترأسه ما هي إلا نتاج لعقيدة التوحيد التي عالجها القرآن المكي. هذه المنهجية استقاها سيد من القرآن الكريم وكيفية تقديمه للتشريعات، ففي سورة البقرة وعند أحكام الزواج والطلاق والنفقة وغيرها من الأحكام، يقول:" هذه الأحكام لا تذكر مجردة – كما اعتاد الناس أن يجدوها في كتب الفقه والقانون – . . كلا! إنها تجيء في جو يشعر القلب البشري أنه يواجه قاعدة كبرى من قواعد المنهج الإلهي للحياة البشرية؛ وأصلا كبيرا من أصول العقيدة التي ينبثق منها النظام الإسلامي. وأن هذا الأصل موصول بالله سبحانه مباشرة. موصول بإرادته وحكمته ومشيئته في الناس، ومنهجه لإقامة الحياة على النحو الذي قدره وأراده لبني الإنسان. ومن ثم فهو موصول بغضبه ورضاه، وعقابه وثوابه، وموصول بالعقيدة وجوداً وعدماً في حقيقة الحال!"[1].

ولإلقاء الضوء على هذه المنهجية نقف على بعض الدروس في سورة النساء كنموذج، يتبين من خلاله حرص سيد على الربط الدائم بين عقيدة التوحيد والمجتمع المسلم.

ففي مقدمة سورة النساء يلفت النظر إلى ملامح تميز المجتمع الإسلامي عن باقي المجتمعات البشرية، فيرى أن المجتمعات البشرية بدون استثناء تقوم على تصورات ومبادئ وشرائع وقوانين وضعية من صنع البشر، والمجتمع الإسلامي هو الوحيد الذي يقوم على مبادئ وتشريعات وقيم وموازين من الله. وما ذلك إلا لوجود عقيدة توحيد[2]. يقول سيد: " إنه مجتمع يقوم على العبودية لله وحده، فهو مجتمع متحرر إذن من كل عبودية للعبيد، في آية صورة من صور العبودية، المتحققة في كل نظام على وجه الأرض، ما عدا النظام الإسلامي، الذي تتوحد فيه الألوهية وتتمحض لله"[3].

وبعد أن ذكر جملة من الأحكام التي وردت في السورة لتنظيم المجتمع الإسلامي الوليد، ومحو سمات ورواسب الجاهلية في هذا المجتمع، ووجوب طاعة القيادة الجديدة، يقول سيد: " وهكذا يتحدد

---

[1] – – انظر: قطب، **في ظلال القرآن** ، (236/1).

[2] – انظر: المصدر السابق ، (557/1).

[3] – المصدر السابق، (570/1–569).

معنى الدين، وحد الإيمان، وشرط الإسلام، ولا يعود الإسلام مجرد مشاعر وتصورات، ولا يعود الإسلام مجرد كلمات وشعارات، ولا مجرد شعائر تعبدية وصلوات .. إنما هو إلى جانب هذا وذلك، وقبل هذا وذلك، نظام يحكم، ومنهج يتحكم، وقيادة تطاع، ووضع يستند إلى نظام معين، ومنهج معين، وقيادة معينة. وبغير هذا كله لا يكون إيمان، ولا يكون إسلام، ولا يكون مجتمع ينسب نفسه إلى الإسلام"[1]. وقد جعل سيد هذه الحقيقة مبدأ أساسي يترتب عليه أمور أهمها: أن التنظيمات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي إنما هي مقتضى الإيمان[2].

وفي الشوط الأول –كما يسميه– من السورة[3] وتأصيلاً للتشريعات الجديدة التي تنظم المجتمع المسلم، يقف سيد عند إيحاءات قول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء : 1]، يقول: " إن هذه الإرادة التي جاءت بهم إلى هذا العالم، وخطت لهم طريق الحياة فيه، ومنحتهم القدرة على التعامل معه، لهي وحدها التي تملك لهم كل شيء ، وهي وحدها التي تعرف عنهم كل شيء ، وهي وحدها التي تدبر أمرهم خير تدبير. وإنها لهي وحدها صاحبة الحق في أن ترسم لهم منبع حياتهم، وأن تشرع لهم أنظمتهم وقوانينهم، وأن تضع لهم قيمهم وموازينهم. وهي وحدها التي يرجعون إليها وإلى منهجها وشريعتها وإلى قيمها وموازينها عند الاختلاف في شأن من هذه الشؤون، فيرجعون إلى النهج الواحد الذي أراده الله رب العالمين"[4].

ويعلق على باب الفرائض في هذا الشوط، وتحديداً عند قول الله تعالى: { وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ} [النساء : 12]، بقوله: " وهكذا يتكرر مدلول هذا التعقيب لتوكيده وتقريره . . فهذه الفرائض وصية من الله صادرة منه; ومردها إليه. لا تنبع من هوى، ولا تتبع الهوى. صادرة عن علم . . فهي واجبة الطاعة لأنها صادرة من المصدر الوحيد الذي له حق التشريع والتوزيع. وهي واجبة القبول لأنها صادرة من المصدر الوحيد الذي عنده العلم الأكيد"[5].

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (562/1).

[2] – انظر، المصدر السابق، (562/1).

[3] – الآيات: (14–1).

[4] – قطب، في ظلال القرآن، (573/1).

[5] – المصدر السابق، (595/1).

وفي الآية التي تليها: { تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [النساء : 13]، يقول: " توكيد بعد توكيد للقاعدة الأساسية في هذه العقيدة . قاعدة التلقي من الله وحده وإلا فهو الكفر والعصيان والخروج من هذا الدين... فالله وحده هو الذي يختار للناس منهج حياتهم. والله وحده هو الذي يسن للناس شرائعهم. والله وحده هو الذي يضع للناس موازينهم وقيمهم وأوضاع حياتهم وأنظمة مجتمعاتهم . . وليس لغيره – أفرادا أو جماعات – شيء من هذا الحق إلا بالارتكان إلى شريعة الله. لأن هذا الحق هو مقتضى الألوهية والربوبية. ومظهرها البارز المحدد لخصائصها المميزة"[1].

وفي الشوط الثاني[2] من السورة، الذي يتناول تطهير المجتمع من فاحشة الزنا، وتنظيم بعض جوانب الأسرة، يقول: " فالدين منهج للحياة. منهج واقعي عملي. يدين الناس فيه لله وحده ويتلقون فيه من الله وحده. يتلقون التصور الاعتقادي والقيم الأخلاقية كما يتلقون الشرائع التي تنظم حياتهم العملية. وتقوم على هذه الشرائع سلطة تنفذها بقوة السلطان في حياة الناس وتؤدب الخارجين عليها وتعاقبهم وتحمي المجتمع من رجس الجاهلية. لتكون الدينونة لله وحده ويكون الدين كله لله. أي لا تكون هناك آلهة غيره – في صورة من الصور – آلهة تشرع للناس وتضع لهم القيم والموازين والشرائع والأنظمة . فالإله هو الذي يصنع هذا كله. وأيما مخلوق ادعى لنفسه الحق في شيء من هذا فقد ادعى لنفسه الألوهية على الناس . . وما من دين من عند الله يسمح لبشر أن يكون إلها وأن يدعي لنفسه هذه الدعوى ويباشرها . . ومن ثم فإنه ما من دين من عند الله يجيء اعتقادا وجدانيا صرفا بلا شريعة عملية وبلا سلطان ينفذ به هذه الشريعة!"[3].

وفي نهاية هذا الشوط، يقول: " إن هذا الدين يقرر أن التحليل والتحريم هو من شأن الله وحده لأنهما أخص خصائص الألوهية. فلا تحريم ولا تحليل بغير سلطان من الله. فالله – وحده – هو الذي يحل للناس ما يحل ويحرم على الناس ما يحرم . وليس لأحد غيره أن يشرع في هذا وذاك وليس لأحد أن يدعي هذا الحق. لأن هذا مرادف تماما لدعوى الألوهية! ومن ثم فإن الجاهلية تحرم أو تحلل، فيصدر هذا التحريم والتحليل عنها باطلاً بطلاناً أصلياً غير قابل للتصحيح، لأنه لا وجود له منذ

---

[1] – – انظر: قطب، **في ظلال القرآن** ، (596/1-595).

[2] – الآيات: (23-15).

[3] – قطب في ظلال القرآن، (601/1).

الابتداء...هذه النظرية الإسلامية في الحل والحرمة تشمل كل شيء في الحياة الإنسانية ولا يخرج عن نطاقها شيء في هذه الحياة . . إنه ليس لأحد غير الله أن يحل أو يحرم في نكاح ولا في طعام ولا في شراب ولا في لباس ولا في حركة ولا في عمل ولا في عقد ولا في تعامل ولا في ارتباط ولا في عرف ولا في وضع . . إلا أن يستمد سلطانه من الله حسب شريعة الله... والمسألة على هذا الوضع هي مسألة الألوهية وخصائصها. وهي مسألة الدين ومفهومه. وهي مسألة الإيمان وحدوده"[1].

وفي الدرس[2] الذي يلي هذا الشوط، يشير إلى ربط تنظيم علاقات المجتمع والإيمان، يقول سيد: " هذا الدرس تكملة لما جاء في هذه السورة عن تنظيم الأسرة على قواعد الفطرة...وهذا الدرس يتضمن تكملة لبيان المحرمات من النساء... وإلى جانب هذا التنظيم في الأسرة يتطرق إلى شيء من التنظيم لبعض علاقات المجتمع المسلم في الأموال؛ ... ومما يلاحظ – بوجه عام – أن السياق يربط ربطا دقيقا بين هذه التنظيمات والأحكام وبين الأصل الأول الكبير للإيمان : وهو أن هذه التنظيمات والأحكام صادرة من الله . وهي مقتضى ألوهيته. فأخص خصائص الألوهية – كما كررنا ذلك في مطلع السورة – هو الحاكمية، والتشريع للبشر، ووضع الأسس التي تقوم عليها حياتهم وارتباطاتهم"[3].

وفي تقديمه للدرس[4] الذي يلي الدرس السابق، يبين أن المجتمع يقوم على عقيدة التوحيد، وانبثاق حياة المجتمع الإسلامي على أساس التوحيد، يقول: " فهذا الدرس بدء جولة في تنظيم حياة المجتمع المسلم؛ وتخليصه من رواسب الجاهلية ، وتثبيت الملامح الإسلامية الجديدة؛ ... ولأن الدرس الجديد جولة جديدة ، فقد بدأ بالقاعدة الأولية التي يقوم عليها المجتمع المسلم – قاعدة التوحيد الخالص – التي تنبثق منها حياته؛ وينبثق منها منهج هذه الحياة ، في كل جانب ، وفي كل اتجاه ... ولأن في الدرس الجديد توجيهات إلى رعاية الأسرة القريبة – العائلة – والأسرة الكبيرة – الإنسانية – وإقامة قيم وموازين في هذا الحقل ، للباذلين وللباخلين . . فقد ابتدأ الدرس بالقاعدة الأساسية التي تنبثق منها كل القيم والموازين – كما ينبثق منها منهج الحياة كله في المجتمع المسلم – وهي قاعدة

---

[1] – – انظر: قطب، **في ظلال القرآن** ، (610-611/1).

[2] – الآيات، (26-35).

[3] – قطب **في ظلال القرآن**، (618-619/2).

[4] – الآيات: (36-43).

التوحيد.. وربط كل حركة وكل نشاط، وكل خالجة وكل انفعال بمعنى العبادة لله. التي هي غاية كل نشاط إنساني، في ضمير المسلم وفي حياته"[1].

وعند تفسير الآية الأولى من هذا الدرس، يربط بين التوحيد وتنظيم النشاط الإنساني، { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا } [النساء : 36]، يقول: " هذه الفقرة تبدأ بالأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن إشراك شيء به . . تبدأ بحرف عطف يربط بين هذا الأمر، وهذا النهي، والأوامر السابقة الخاصة بتنظيم الأسرة في أواخر الدرس الماضي. فيدل هذا الربط بين الموضوعين على الوحدة الكلية الشاملة المتكاملة في هذا الدين. فليس هو مجرد عقيدة تستكن في الضمير؛ ولا مجرد شعائر تقام وعبادات؛ ولا مجرد تنظيم دنيوي منقطع الصلة بالعقيدة وبالشعائر التعبدية . . إنما هو منهج يشمل هذا النشاط كله، ويربط بين جوانبه، ويشدها جميعا إلى الأصل الأصيل. وهو توحيد الله. والتلقي منه وحده – في هذا النشاط كله – دون سواه. توحيده إلها معبودا. وتوحيده مصدرا للتوجيه والتشريع لكل النشاط الإنساني أيضا. لا ينفك هذا التوحيد عن ذاك – في الإسلام – وفي دين الله الصحيح على الإطلاق"[2].

ثم يتابع ويركز على أن عقيدة التوحيد هي التي تكيف واقع المجتمع، فيقول: " إن التشريعات والتوجيهات – في منهج الله – إنما تنبثق كلها من أصل واحد ، وترتكز على ركيزة واحدة. إنها تنبثق من العقيدة في الله، وترتكز على التوحيد المطلق سمة هذه العقيدة... من العقيدة في الله تنبع كل التصورات الأساسية للعلاقات الكونية والحيوية والإنسانية. تلك التصورات التي تقوم عليها المناهج الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والعالمية. والتي تؤثر في علاقات الناس بعضهم ببعض، في كل مجالي النشاط الإنساني في الأرض؛ والتي تكيف ضمير الفرد وواقع المجتمع"[3].

وهكذا يسير سيد في تفسيره لسورة النساء كاملة –وفي القرآن المدني–، فتجد هذا الربط المحكم بين عقيدة التوحيد وبين صياغة المجتمع المسلم في جميع مقاطع هذه السورة ودروسها، يحاول بذلك تعديل الانحراف الذي طرأ على أذهان المسلمين في فهم عقيدة التوحيد وعلاقتها بالمجتمع، فالمجتمع

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (2/658-657).

[2] – المصدر السابق، (2/659-658)

[3] – المصدر السابق، (2/659).

المسلم يقوم على عقيدة الإسلام، وينظم بتنظيمات منبثقة عن هذه العقيدة، والفصل بين العقيدة والمجتمع هو تزييف وتحريف للعقيدة.

هذا الاهتمام البالغ من سيد الأصل أن يكون محل اهتمام العلماء والدعاة، حتى يعلم المسلمون أن أثر العقيدة يتجاوز دائرة الفرد ليمتد إلى إنشاء المجتمع المسلم وصياغته، وتحديد أهدافه وخصوصياته، بالشكل الذي تريده العقيدة، وبالتالي فإن هذا الفهم يحدد أوليات الدعوة إلى الله، ويجعل من العمل الإسلامي يبدأ لإيجاد الفرد المؤمن وينتهي إلى إيجاد مجتمع قائم على حقائق ومفاهيم وتصورات العقيدة الإسلامية.

المبحث الثاني

إقرار مبدأ الحاكمية

هذا المبحث شديد الاتصال بالمبحث السابق، ولولا أن سيد قد اعتنى بمصطلح الحاكمية وأكثر من إيراده في تفسيره، لما كنا بحاجة إلى إفراده في مبحث مستقل. وربما من الجيد أن أسارع فأذكر تبرير سيد قطب لإكثاره من ذكر الحاكمية والتذكير بها، يقول: " ونحن نحتاج إلى هذا التذكير المستمر، لأن جهود الشياطين في زحزحة هذا الدين عن مفهوماته الأساسية، قد آتت ثمارها –مع الأسف – فجعلت مسألة الحاكمية تتزحزح عن مكان العقيدة، وتنفصل في الحس عن أصلها الاعتقادي! ومن ثم نجد حتى الغيورين على الإسلام، يتحدثون لتصحيح شعيرة تعبدية؛ أو لاستنكار انحلال أخلاقي؛ أو لمخالفة من المخالفات القانونية. ولكنهم لا يتحدثون عن أصل الحاكمية، وموقعها من العقيدة الإسلامية! يستنكرون المنكرات الجانبية الفرعية، ولا يستنكرون المنكر الأكبر؛ وهو قيام الحياة في غير التوحيد؛ أي على غير إفراد الله –سبحانه – بالحاكمية"[1].

إذاً الحاكمية عند سيد مسألة إيمان واعتقاد، ومسألة–كما سيأتي–وجود الإسلام في معترك الحياة، ووجود المجتمع المسلم، وتنفيذ الشريعة في الواقع، ووجود دار الإسلام، كل هذه المسائل وغيرها تلتقي مع مصطلح الحاكمية عند سيد، والذي يهمنا في هذا المبحث أن نبين، أن الحاكمية عند سيد هي التي تدفع المسلمين لإيجاد المجتمع المسلم، ومتى وجدت بالواقع فقد وجد المجتمع المسلم، وهي التي تميز المجتمع المسلم عن غيره[2]، وهذه أهم آثار هذه العقيدة على المجتمع.

مصطلح الحاكمية في تفسير سيد قطب يأتي على الأغلب في سياق الحديث عن العقيدة وقضايا التشريع والحكم (المجتمع)، ومِن تتبُّع ما كتبه سيد عن الحاكمية يمكن وضع تعريفٍ لهذا المصطلح، وهو: إفراد الله وحده بالحكم. وهذا يعني إفراد الله وحده بالتشريع، وإفراده بوضع القيم والموازين التي يتحاكم إليها الناس ويرضونها حكماً. وقد استفاد سيد هذا المصطلح من شهادة التوحيد وآيات كثيرة جداً، وسأكتفي بعرض بعضها.

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (1230/3).

[2] – انظر: المصدر السابق، (570/1–569).

ففي تفسير قول الله تعالى: { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } [البقرة : 255]، يقول: " هذه الوحدانية الحاسمة الناصعة هي القاعدة التي يقوم عليها التصور الإسلامي؛ والتي ينبثق منها منهج الإسلام للحياة كلها. فعن هذا التصور ينشأ الاتجاه إلى الله وحده بالعبودية والعبادة. فلا يكون إنسان عبدا إلا لله، ولا يتجه بالعبادة إلا لله، ولا يلتزم بطاعة إلا طاعة الله، وما يأمره الله به من الطاعات. وعن هذا التصور تنشأ قاعدة: الحاكمية لله وحده. فيكون الله وحده هو المشرع للعباد؛ ويجيء تشريع البشر مستمدا من شريعة الله"[1].

ويقول أيضاً: " جاء هذا الدين ليقيم قاعدة: (أشهد أن لا إله إلا الله) التي جاء بها كل نبي إلى قومه على مدار التاريخ البشري، وشهادة أن لا إله إلا الله ليس لها مدلول إلا أن تكون الحاكمية العليا لله في حياة البشر، كما أن له الحاكمية العليا في نظام الكون سواء. فهو المتحكم في الكون والعباد بقضائه وقدره، وهو المتحكم في حياة العباد بمنهجه وشريعته . . وبناء على هذه القاعدة لا يعتقد المسلم أن لله شريكا في خلق الكون وتدبيره وتصريفه؛ ولا يتقدم المسلم بالشعائر التعبدية إلا لله وحده . ولا يتلقى الشرائع والقوانين ، والقيم والموازين ، والعقائد والتصورات إلا من الله ، ولا يسمح لطاغوت من العبيد أن يدعي حق الحاكمية في شيء من هذا كله مع الله "[2].

ويرى سيد أن الحاكمية حق الله تعالى، ولا يجوز أن ينازعه فيه أحد، سواء كان فردا أو جماعة أو حزباً، ومن نازع الله في هذا الحق، فهو طاغوت كافر، فعند قول الله تعالى: { إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف : 40]، قال: " إن الحكم لا يكون إلا لله . فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته. إذ الحاكمية من خصائص الألوهية. من ادعى الحق فيها فقد نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته؛ سواء ادعى هذا الحق فرد، أو طبقة، أو حزب. أو هيئة، أو أمة، أو الناس جميعا في صورة منظمة عالمية. ومن نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته وادعاها فقد كفر بالله كفرا بواحا، يصبح به كفره من المعلوم من الدين بالضرورة، حتى بحكم هذا النص وحده"[3].

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (286/1).

[2] – المصدر السابق، (1256/3–1255).

[3] – المصدر السابق، (1990/4).

ويقول في موضع آخر: " والإيمان هو الإقرار لله – سبحانه – بهذه الخصائص. الألوهية، والملك، والسلطان . . . متفردا بها لا يشاركه فيها أحد. والإسلام هو الاستسلام والطاعة لمقتضيات هذه الخصائص . . هو إفراد الله – سبحانه – بالألوهية والربوبية والقوامة على الوجود كله – وحياة الناس ضمنا – والاعتراف بسلطانه الممثل في قدره؛ والممثل كذلك في شريعته... إن أخص خصائص الألوهية – كما أسلفنا – هي الحاكمية . . والذي يشرع لمجموعة من الناس يأخذ فيهم مكان الألوهية ويستخدم خصائصها"[1].

وفي تفسير قول الله تعالى: { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } [الأعراف : 54]، يقول: " إنه هو صاحب الخلق والأمر . . وكما أنه لا خالق معه. فكذلك لا آمر معه . . هذه هي القضية التي يستهدفها هذا الاستعراض . . قضية الألوهية والربوبية والحاكمية، وإفراد الله سبحانه بها . . وهي قضية العبودية من البشر في شريعة حياتهم"[2].

وقد بين سيد في مناسبات كثيرة أن الحاكمية قضية أساسية من قضايا الاعتقاد وأصل من أصوله، كونها خصوصية من خصوصيات الألوهية والربوبية، لهذا كانت الحاكمية محل احتفال القرآن المكي والمدني. ويجيب سيد عن سبب احتفال القرآن بالحاكمية، فيقول: " يحفل بها لأنها من ناحية المبدأ تلخص قضية (العقيدة) في الإسلام؛ كما تلخص قضية (الدين). فالعقيدة في الإسلام تقوم على أساس شهادة: إن لا إله إلا الله. وبهذه الشهادة يخلع المسلم من قلبه ألوهية كل أحد من العباد ويجعل الألوهية لله. ومن ثم يخلع الحاكمية عن كل أحد ويجعل الحاكمية كلها لله . . والتشريع للصغيرة هو مزاولة لحق الحاكمية كالتشريع للكبيرة. فهو من ثم مزاولة لحق الألوهية. يأباه المسلم إلا لله . . والدين في الإسلام هو دينونة العباد في واقعهم العملي – كما هو الأمر في العقيدة القلبية – لألوهية واحدة هي ألوهية الله ، ونفض كل دينونة في هذا الواقع لغير الله من العباد المتألهين! والتشريع هو مزاولة للألوهية، والخضوع للتشريع هو الدينونة لهذه الألوهية . . ومن ثم يجعل المسلم دينونته في هذا لله وحده؛ ويخلع ويرفض الدينونة لغير الله من العباد المتألهين!"[3].

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، ، (890/2).

[2] – المصدر السابق، (1297/3).

[3] – المصدر السابق، (1211/3).

وفي ثنايا تفسيره لسورة الأنعام يقول: " الآن نجيء إلى القضية التي جعلت هذه المقدمات كلها قاعدة لها. قضية الحل والحرمة فيما ذكر اسم الله عليه وما لم يذكر اسم الله عليه من الذبائح . . وهي تأخذ أهميتها من ناحية تقرير المبدأ الإسلامي الأول: مبدأ حق الحاكمية المطلقة لله وحده؛ وتجريد البشر من ادعاء هذا الحق أو مزاولته في أية صورة من الصور . . وحين تكون القضية هي قضية هذا المبدأ فإن الصغيرة تكون كالكبيرة في تحقيق هذا المبدأ أو نقضه . . ولا يهم أن يكون الأمر أمر ذبيحة يؤكل منها أو لا يؤكل؛ أو أن يكون أمر دولة تقام أو نظام مجتمع يوضع. فهذه كتلك من ناحية المبدأ. وهذه كتلك تعني الاعتراف بألوهية الله وحده؛ أو تعني رفض هذه الألوهية. والمنهج القرآني يتكئ كثيرا جدا على هذا المبدأ لتقريره في كل مناسبة. ولا يمل تكراره حيثما جاءت مناسبته أمام كل تشريع للصغير وللكبير من الأمور. . ذلك أن هذا المبدأ هو العقيدة، وهو الدين، وهو الإسلام؛ وليس وراءه من هذا الدين كله إلا التطبيقات والتفريعات"[1].

ويلخص سيد نظرته للحاكمية، فيقول: "والخلاصة التي ينتهي إليها القول في هذه القضية: أنه يتجلى بوضوح من التقريرات القرآنية بجملتها وهذه السورة[2] نموذج منها أن قضية الدينونة والاتباع والحاكمية التي يعبر عنها في هذه السورة بالعبادة هي قضية عقيدة وإيمان وإسلام؛ وليست قضية فقه أو سياسة أو نظام**!**" إنها قضية عقيدة تقوم أو لا تقوم"[3].

ويعتبر سيد أن طبيعة الدعوات على مر التاريخ البشري، هي طبيعة واحدة، تتمثل في تعبيد الناس لله رب العالمين وحده، أي جعل الحاكمية والسلطان والقوامة لله تعالى، هي دعوة ليكون الحكم في واقع حياة الناس لله رب العالمين، ليس لأحد من خلقه، يقول: " هذه طبيعة الدعوة إلى الله على مدار التاريخ البشري . . إنها تستهدف (الإسلام) . . إسلام العباد لرب العباد؛ وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، بإخراجهم من سلطان العباد وحاكميتهم وشرائعهم وقيمهم وتقاليدهم، إلى سلطان الله وحاكميته وشريعته وحده في كل شأن من شؤون الحياة"[4].

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، ، (1192–1193/3).

[2] – سورة هود.

[3] – قطب، **في ظلال القرآن**،(1943/4).

[4] – المصدر السابق، (1555/3).

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بدعاً من الرسل، فالإسلام الذي دعا إليه هو دعوة لرد الناس إلى حاكمية الله، يقول سيد: " جاء ليرد الناس إلى حاكمية الله كشأن الكون كله الذي يحتوي الناس؛ فيجب أن تكون السلطة التي تنظم حياتهم هي السلطة التي تنظم وجوده؛ فلا يشذوا هم بمنهج وسلطان وتدبير غير المنهج والسلطان والتدبير الذي يصرف الكون كله. بل الذي يصرف وجودهم هم أنفسهم في غير الجانب الإرادي من حياتهم... ومن ثم ينبغي أن يثوبوا إلى الإسلام في الجانب الإرادي من حياتهم؛ فيجعلوا شريعة الله هي الحاكمة في كل شأن من شؤون هذه الحياة، تنسيقا بين الجانب الإرادي في حياتهم والجانب الفطري، وتنسيقا بين وجودهم كله بشطريه هذين وبين الوجود الكوني"[1]. ولهذا كانت أيضاً طبيعة المعركة التي يواجهها الأنبياء مع أقوامهم، أي بين الإسلام والجاهلية، وبين المسلمين والكافرين، هي طبيعة واحدة، لم تكن حرباً على الإلحاد، أو على فرعية معينة، ولكنها معركة حكم، أو لمن يكون الحكم؟ لله أم للبشر؟، يقول سيد: " المعركة الحقيقية التي خاضها الإسلام ليقرر وجوده لم تكن هي المعركة مع الإلحاد، حتى يكون مجرد التدين هو ما يسعى إليه المتحمسون لهذا الدين! ولم تكن هي المعركة مع الفساد الاجتماعي أو الفساد الأخلاقي – فهذه معارك تالية لمعركة « وجود » هذا الدين! . . لقد كانت المعركة الأولى التي خاضها الإسلام ليقرر وجوده هي معركة الحاكمية وتقرير لمن تكون . . لذلك خاضها وهو في مكة. خاضها وهو ينشئ العقيدة، ولا يتعرض للنظام والشريعة. خاضها ليثبت في الضمير أن الحاكمية لله وحده؛ لا يدعيها لنفسه مسلم؛ ولا يقر مدعيها على دعواه مسلم . . فلما أن رسخت هذه العقيدة في نفوس العصبة المسلمة في مكة، يسر الله لهم مزاولتها الواقعية في المدينة . . . فلينظر المتحمسون لهذا الدين ما هم فيه وما يجب أن يكون. بعد أن يدركوا المفهوم الحقيقي لهذا الدين!"[2].

ويثبت عند سيد من النصوص المتضافرة والصريحة في مسألة الحاكمية، وجوب تحقيقها في واقع المجتمع، مع ما في هذا العمل من عقبات جسام، يقول: " فالنصوص فيها حاسمة وصريحة وواضحة في وجوب إفراده – سبحانه – بالحاكمية في حياة البشر الواقعية، واتخاذ شريعته وحدها قانونا، وتعبيد الناس له وحده بالشرع النافذ والحكم القاهر"[3].

---

[1] – – انظر: قطب، **في ظلال القرآن** ، (1555-1556/3).

[2] – المصدر السابق، (1217/3).

[3] – المصدر السابق، (1228/3).

وإقرار مبدأ الحاكمية عند سيد يعني تطبيقها في واقع الحياة عملياً، بعد اعتقاده نظرياً، يقول: " والقاعدة النظرية التي يقوم عليها الإسلام – على مدار التاريخ البشري – هي قاعدة: « شهادة أن لا إله إلا الله ». أي إفراد الله – سبحانه – بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية . . إفراده بها اعتقادا في الضمير، وعبادة في الشعائر، وشريعة في واقع الحياة. فشهادة أن لا إله إلا الله، لا توجد فعلا؛ ولا تعتبر موجودة شرعا إلا في هذه الصورة المتكاملة التي تعطيها وجودا جديا حقيقيا يقوم عليه اعتبار قائلها مسلما أو غير مسلم. ومعنى تقرير هذه القاعدة من الناحية النظرية . . أن تعود حياة البشر بجملتها إلى الله، لا يقضون هم في أي شأن من شؤونها، ولا في أي جانب من جوانبها، من عند أنفسهم؛ بل لا بد لهم أن يرجعوا إلى حكم الله فيها ليتبعوه"[1].

من هنا اعتبر سيد أن المجتمع الإسلامي لا يمكن أن يوجد إلا في دار الإسلام، ولا يحكم لدار أنها دار إسلام، إلا بوجود الحاكمية في حياتها عملياً، يقول: " (دار الإسلام) . . وتشمل كل بلد تطبق فيه أحكام الإسلام، وتحكمه شريعة الإسلام، سواء كان أهله كلهم مسلمين، أو كان أهله مسلمين وذميين. أو كان أهله كلهم ذميين ولكن حكامه مسلمون يطبقون فيه أحكام الإسلام، ويحكمونه بشريعة الإسلام. أو كانوا مسلمين، أو مسلمين وذميين ولكن غلب على بلادهم حربيون، غير أن أهل البلد يطبقون أحكام الإسلام ويقضون بينهم حسب شريعة الإسلام . . فالمدار كله في اعتبار بلد ما (دار إسلام) هو تطبيقه لأحكام الإسلام وحكمه بشريعة الإسلام ... والمجتمع المسلم، هو المجتمع الذي يقوم في دار الإسلام"[2]. وهذ الرأي في دار الإسلام، هو رأي جمهور الفقهاء كما نص عليه عبد القادر عودة في كتاب التشريع الجنائي الإسلامي[3].

ووجود الحاكمية في الواقع عند سيد يعني وجود الدين، والعكس صحيح، يقول سيد: " إن وجود هذا الدين هو وجود حاكمية الله. فإذا انتفى هذا الأصل انتفى وجود هذا الدين . . وإن مشكلة هذا الدين في الأرض اليوم، لهي قيام الطواغيت التي تعتدي على ألوهية الله، وتغتصب سلطانه، وتجعل لأنفسها حق التشريع بالإباحة والمنع في الأنفس والأموال والأولاد . . وهي هي المشكلة التي كان يواجهها

---

[1] – – انظر: قطب، **في ظلال القرآن** ، (1556/3).

[2] – المصدر السابق، (874/2–873).

[3] – انظر: عودة، عبد القادر، (ت: 1954م)، **التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي**، الناشر: دار الكتاب العربي–بيروت، بدون ذكر الطبعة والسنة، (276/1–275).

القرآن الكريم بهذا الحشد من المؤثرات والمقررات والبيانات، ويربطها بقضية الألوهية والعبودية، ويجعلها مناط الإيمان أو الكفر، وميزان الجاهلية أو الإسلام"[1].

وهذه المشكلة التي تحدث عنها سيد، غياب الحاكمية عن الأرض، وغياب المجتمع الإسلامي، هي التي تستحق أن يبذل لها الجهد ويستفرغ لها الوسع من قبل الدعاة إلى الله، يقول سيد: " ولا مجتمع مسلم إلا المجتمع الذي تحكمه شريعة الله وحدها في أمره كله؛ وإلا الذي يفرد الله سبحانه بالألوهية والربوبية والحاكمية والتشريع؛ ويرفض حكم الطاغوت المتمثل في كل شرع لم يأذن به الله . . والجهد كله يجب أن ينفق ابتداء لإقامة هذا المجتمع"[2]. وفي موضع آخر يقول: " فأما اليوم وقد عادت الأرض إلى الجاهلية؛ وارتفع حكم الله – سبحانه – عن حياة الناس في الأرض ، وعادت الحاكمية إلى الطاغوت في الأرض كلها ، ودخل الناس في عبادة العباد بعد إذ أخرجهم الإسلام منها . . الآن تبدأ جولة جديدة أخرى للإسلام – كالجولة الأولى – تأخذ – في التنظيم – كل أحكامها المرحلية ، حتى تنتهي إلى إقامة دار إسلام وهجرة؛ ثم تمتد ظلال الإسلام مرة أخرى – بإذن الله – فلا تعود هجرة ولكن جهاد وعمل؛ كما حدث في الجولة الأولى"[3].

وفي تقديمه لسورة الأنعام، قال: " كذلك يجب أن يكون مفهوماً لأصحاب الدعوة الإسلامية، أنهم حين يدعون الناس لإعادة إنشاء هذا الدين... يجب أن يعلموهم أن الإسلام هو أولاً إقرار عقيدة: لا إله إلا الله بمدلولها الحقيقي وهو رد الحاكمية لله في أمرهم كله، وطرد المعتدين على سلطان الله بادعاء هذا الحق لأنفسهم، إقرارها في ضمائرهم وشعائرهم، وإقرارها في أوضاعهم وواقعهم، ولتكن هذه القضية هي أساس دعوة الناس إلى الإسلام كما كانت هي أساس دعوتهم أول مرة، هذه الدعوة التي تكفل بها القرآن المكي طوال ثلاثة عشر عاماً كاملة"[4].

هذه باختصار أهم معالم الحاكمية وآثارها في وجود المجتمع الإسلامي، وفي طبيعة الدعوة إلى الله، وتحديد أولويات الدعوة والدعاة كما يراها سيد قطب.

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (1217/3).

[2] – انظر: المصدر السابق، (1720/3).

[3] – المصدر السابق، (1560/3).

[4] – المصدر السابق، (1011/2).

ونسجل ملاحظة هنا أن مصطلح الحاكمية قد سبق إليه المودودي في كتبه، منها كتابه: (تدوين الدستور الإسلامي)، حيث ذكر أن الحاكمية هي أحد أهم مسائل الدساتير الأساسية، وتطلق في علوم السياسة ويراد بها السلطة العليا والسلطة المطلقة، وهي في الإسلام مقصورة على الله تعالى، وفصل فيها الكلام[1].

والجدير بالذكر أن مدلول مصطلح الحاكمية موجود قديماُ وحديثاً عند علمائنا، ففي تفسير قول الله تعالى: { وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا } [الكهف : 26]، يقول الطبري: " ولا يجعل الله في قضائه وحكمه في خلقه أحدا سواه شريكا، بل هو المنفرد بالحكم والقضاء فيهم، وتدبيرهم وتصريفهم فيما شاء وأحبّ"[2].

وفي وجوب الحكم بما أنزل الله، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر"[3]. ويقول الشنقيطي: " ولما كان التشريع وجميع الأحكام، شرعية كانت أو كونية قدرية، من خصائص الربوبية، كما دلت عليه الآيات المذكورة كان كل من اتبع تشريعا غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرع ربا، وأشركه مع الله. والآيات الدالة على هذا كثيرة"[4].

ونجد أن رأي سيد قطب في الحاكمية موجود عند الإمام حسن البنا وإن لم يقل بمصطلح الحاكمية، يقول البنا: " والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول، لا من الفقهيات والفروع، فالإسلام حكم وتنفيذ، كما هو تشريع وتعليم، كما هو قانون وقضاء، لا ينفك واحد منهما عن الآخر"[5].

---

[1] – انظر: المودودي، أبو الأعلى السيد أحمد حسن، **تدوين الدستور الإسلامي**، الناشر: مؤسسة الرسالة، 1400هـ، (21–18).

[2] – الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، (ت: 310 هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط:1، 1420 هـ – 2000 م، (650/17).

[3] – ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (ت: 728هـ)، **منهاج السنة النبوية**، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، ط:1، بدون السنة، (83/5).

[4] – الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني، (ت: 1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان،1415 هـ– 1995 م، (31/45).

[5] – البنا، حسن أحمد عبد الرحمن، (ت: 1949م)، **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**، المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر–بيروت، بدون ذكر الطبعة والسنة، (170).

لهذا يستغرب الباحث أن يتصدى نفر من العلماء والمفكرين لحقيقة الحاكمية، ولا يقبلون بهذا المصطلح، كما فعل الاستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه (التفسير السياسي للإسلام)[1]، والمستشار مأمون الهضيبي في كتابه (دعاة لا قضاة)[2]، وقد أورد الدكتور صلاح الخالدي أقوال كل منهما مع مناقشة هذه الاقوال، وخلص إلى أن سيد قطب كان محقاً في استعمال مصطلح الحاكمية بالمدلول الذي أراده[3].

ويظهر أن السبب الرئيس وراء عدم إعطاء حقيقة الحاكمية اهتماماً زائداً في عصور الإسلام الأولى، لأن الحاكمية كانت قائمةً فعلاً في مجتمعاتهم، أما في زمان سيد قطب وفي زماننا الحاضر، حيث يحكم الطاغوت، لا بد من التركيز على هذه القضية، فهي بلا شك أخطر القضايا على الإطلاق، لأنها متعلقة في وجود الإسلام وعدمه.

[1] – انظر: الندوي، أبو الحسن، (ت: 1420هـ)، **التفسير السياسي للإسلام**، الناشر: دار القلم–الكويت، ط:3، 1981م، (75–68).

[2] – الهضيبي، حسن، (ت: 1973م)، **دعاة لا قضاة**، الناشر: دار السلام–بيروت، ط:2، 1978م، (86–83).

[3] – انظر: الخالدي، **في ظلال القرآن في الميزان**، (185–178).

المبحث الثالث

تقوية الروابط داخل المجتمع

كثيرة هي المناسبات التي ذكر فيها سيد خصوصية المجتمع الإسلامي من جهة الرابطة التي تربط أبناء هذا المجتمع، فالعقيدة عند سيد قطب هي الرابطة الوحيدة التي يلتقي عليها الناس، فلا قيمة ولا اعتبار في الإسلام للجنس أو القوم أو القبيلة أو أي رابط آخر مما يربط المجتمعات الإنسانية، فكان من أهم آثار رابطة العقيدة أن وُجد أول مجتمع بشري مفتوحاً لجميع الجنسيات والأقوام، فكان مجتمعاً عالمياً، يقوم على أساس إنساني، يسوده المساواة والود والرحمة والتكافل.

وينظر سيد قطب إلى وشيجة العقيدة التي ارتضاها دين الله كأساس للمجتمع الإسلامي، كوشيجة متميزة عن وشائج المجتمعات الجاهلية، يقول: " إن الجاهليات تجعل الرابطة آنا هي الدم والنسب؛ وآنا هي الأرض والوطن، وآنا هي القوم والعشيرة، وآنا هي اللون واللغة، وآنا هي الجنس والعنصر، وآنا هي الحرفة والطبقة! تجعلها آنا هي المصالح المشتركة، أو التاريخ المشترك. أو المصير المشترك. . وكلها تصورات جاهلية على تفرقها أو تجمعها تخالف مخالفة أصيلة عميقة عن أصل التصور الإسلامي!"[1].

وتميز الإسلام في جعل العقيدة هي آصرة المجتمع المسلم، كون هذه الوشيجة تستهدف وتبرز إنسانية الإنسان وتقويتها على جميع الجوانب الأخرى في الكائن البشري، لأن العقيدة تتعلق بأعلى وأثمن ما في الإنسان من خصائص، والتي يتميز بها عن خصائص الحيوان، يقول سيد: " إنه لا يجعل هذه الآصرة هي النسب، ولا اللغة، ولا الأرض، ولا الجنس، ولا اللون، ولا المصالح، ولا المصير الأرضي المشترك . . فهذه كلها أواصر يشترك فيها الحيوان مع الإنسان. وهي أشبه شيء وأقرب شيء إلى أواصر القطيع، وإلى اهتمامات القطيع، وإلى الحظيرة والمرعى والثغاء الذي يتفاهم به القطيع! أما العقيدة التي تفسر للإنسان وجوده، ووجود هذا الكون من حوله تفسيرا كليا؛ كما تفسر له منشأ وجوده ووجود الكون من حوله، ومصيره ومصير الكون من حوله؛ وترده إلى كائن أعلى من هذه المادة

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (1886/4).

وأكبر وأسبق وأبقى، فهي أمر آخر يتعلق بروحه وإدراكه المميز له من سائر الخلائق، والذي ينفرد به عن سائر الخلائق؛ والذي يقرر « إنسانيته » في أعلى مراتبها؛ حيث يخلف وراءه سائر الخلائق"[1].

ومن خلال القصص القرآني يثبت سيد أن العقيدة هي آصرة التجمع التي أراد الله أن يتجمع عليها المؤمنون في كل زمان ومكان، وتلخيصا لهذه القضية أنقل قول سيد من كتابه معالم في الطريق، يقول: " هكذا تتعدد الأمثال في جميع الوشائج والروابط، وشيجة الابوة في قصة نوح، ووشيجة البنوة والوطن في قصة إبراهيم، ووشيجة الأهل والعشيرة والوطن جميعاً في قصة أصحاب الكهف، ورابطة الزوجية في قصص امرأتي نوح ولوط وامرأة فرعون، وهكذا يمضي الموكب الكريم في تصوره لحقيقة الروابط والوشائج، حتى تجيئ الأمة الوسط، فتجد هذا الرصيد من الأمثال والنماذج والتجارب، فتمضي على النهج الرباني للأمة المؤمنة، وتفترق العشيرة الواحدة، ويفترق البيت الواحد، حين تفترق العقيدة، وحيث تنبت الوشيجة الأولى"[2].

ولا يفوت سيد كذلك أن يتطرق إلى التاريخ القديم والحديث، ليثبت تميز المجتمع الإسلامي من جهة الأواصر والوشائج التي تربط الناس في هذا المجتمع الفريد، فيقف على أشهر تجمع بشري في التاريخ القديم الإمبراطورية الرومانية الذين تجمعوا على أساس طبقي عنصري، فكانت طبقة الأشراف وطبقة العبيد، وساد الجنس الروماني، وفي التاريخ الحديث يضرب مثلاً الإمبراطورية البريطانية، التي تجمعت على أساس القوم وسيادة القومية الإنجليزية، ومثلها سائر الإمبراطوريات الأوربية كالإسبانية والبرتغالية والفرنسية، وتطرق إلى الشيوعية والأربطة الطبقية، ليخلص إلى تفرد المجتمع المسلم في حصر أواصر التجمع على العقيدة[3].

ويعتبر سيد قطب أن وشيجة العقيدة تعلي من كرامة الإنسان، كونها آصرة حرة يملك الإنسان أن يختارها، يقول: " ثم إن هذه الآصرة – آصرة العقيدة والتصور والفكرة والمنهج – هي آصرة حرة؛ يملك الفرد الإنساني اختيارها بمحض إرادته الواعية. فأما أواصر القطيع تلك فهي مفروضة عليه فرضا ، لم يخترها ولا حيلة له كذلك فيها . . إنه لا يملك تغيير نسبه الذي نماه؛ ولا تغيير الجنس الذي تسلسل منه؛ ولا تغيير اللون الذي ولد به. فهذه كلها أمور قد تقررت في حياته قبل أن يولد، لم

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (561/3).

[2] – قطب، **معالم في الطريق**، الناشر: دار الشروق، ط:6، 1339هـ – 1979م، (ص: 142). وانظر: في ظلال القرآن، (1886/4–1887).

[3] – انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (1563/3–1562).

يكن له فيها اختيار، ولا يملك فيها حيلة . . كذلك مولده في أرض بعينها، ونطقه بلغة بعينها بحكم هذا المولد، وارتباطه بمصالح مادية معينة ومصير أرضي معين – ما دامت هذه هي أواصر تجمعه مع غيره – كلها مسائل عسيرة التغيير؛ ومجال « الإرادة الحرة » فيها محدود . . ومن أجل هذا كله لا يجعلها الإسلام هي آصرة التجمع الإنساني . . فأما العقيدة والتصور والفكرة والمنهج، فهي مفتوحة دائما للاختيار الإنساني، ويملك في كل لحظة أن يعلن فيها اختياره؛ وأن يقرر التجمع الذي يريد أن ينتمي إليه بكامل حريته؛ فلا يقيده في هذه الحالة قيد من لونه أو لغته أو جنسه أو نسبه، أو الأرض التي ولد فيها، أو المصالح المادية التي تتحول بتحول التجمع الذي يريده ويختاره .. وهنا كرامة الإنسان في التصور الإسلامي"[1].

ومن النتائج الباهرة التي حققتها هذه الرابطة كما يرى سيد قطب، إنشاء مجتمع عالمي يفتح أبوابه لجميع المؤمنين بعقيدته، دون النظر إلى أواصر الوطن أو القوم أو المصلحة المشتركة أو الحدود الجغرافية، فصبت في بوتقة هذا التجمع، عن هذه النتائج يقول سيد: " وأن صبت في بوتقة المجتمع الإسلامي خصائص الأجناس البشرية وكفاياتها؛ وانصهرت في هذه البوتقة وتمازجت؛ وأنشأت مركبا عضويا فائقا في فترة تعد نسبيا قصيرة؛ وصنعت هذه الكتلة العجيبة المتجانسة المتناسقة حضارة رائعة ضخمة تحوي خلاصة الطاقة البشرية في زمانها مجتمعة. على بعد المسافات وبطء طرق الاتصال في ذلك الزمان. لقد اجتمع في المجتمع الإسلامي المتفوق: العربي والفارسي والشامي والمصري والمغربي والتركي والصيني والهندي والروماني والإغريقي والأندونسي والإفريقي . . . إلى آخر الأقوام والأجناس. وتجمعت خصائصهم كلها لتعمل متمازجة متعاونة متناسقة في بناء المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية. ولم تكن هذه الحضارة الضخمة يوما ما عربية، إنما كانت دائما إسلامية. ولم تكن يوما ما قومية إنما كانت دائما عقيدية"[2].

ومن نتائج هذه الرابطة أنها أسست لمجتمع متفوق، صبت فيه خلاصة التجارب الشخصية والقومية التاريخية، وحققت في المجتمع المساواة وتعميق روابط المودة، يقول سيد:" ولقد اجتمعوا كلهم على قدم المساواة، وبآصرة الحب، وبشعور التطلع إلى وجهة واحدة . . فبذلوا جميعا أقصى كفاياتهم ، وأبرزوا أعمق خصائص أجناسهم؛ وصبوا خلاصة تجاربهم الشخصية والقومية التاريخية في بناء هذا

[1] – – انظر: قطب، **في ظلال القرآن** ، (1562/3)، وانظر: (1889/4).

[2] – المصدر السابق، (1562/3).

المجتمع الواحد الذي ينتسبون إليه جميعا على قدم المساواة؛ وتجمع فيه بينهم آصرة تتعلق بربهم الواحد؛ وتبرز فيها « إنسانيتهم » وحدها بلا عائق"[1].

وفي موضع آخر، يصف سيد هذا المجتمع، قال: " هذا المجتمع المتواد المتحاب المترابط المتضامن المتكافل المتناسق. هذا المجتمع الذي حققه الإسلام مرة في أرقى وأصفى صوره. ثم ظل يحققه في صور شتى على توالي الحقب، تختلف درجة صفائه، ولكنه يظل في جملته خيرا من كل مجتمع آخر صاغته الجاهلية في الماضي والحاضر، وكل مجتمع لوثته هذه الجاهلية بتصوراتها ونظمها الأرضية! هذا المجتمع الذي تربطه آصرة واحدة – آصرة العقيدة – حيث تذوب فيها الأجناس والأوطان ، واللغات والألوان ، وسائر هذه الأواصر العرضية التي لا علاقة لها بجوهر الإنسان . . هذا المجتمع الذي يسمع الله يقول له: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } [الحجرات : 10]، والذي يرى صورته في قول النبي الكريم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[2] [3].

ويحسن أن نذكر هنا ما ذكره سيد قطب من أن أعداء هذا الدين قد علموا مصدر قوة المجتمع المسلم المتمثل في العقيدة الإسلامية، ولما أرادوا السيطرة على هذا المجتمع والاستيلاء على ديار المسلمين وأموالهم، ضربوا القاعدة التي يجتمعون عليها، وأقاموا لأهله وشائج وأصناما مما أسموه بالوطنية والقومية، فتصارع المجتمع القائم على عقيدة التوحيد تحت هذه المسميات وضعف المجتمع وكان مصيره الانهيار[4].

هذه خلاصة أثر العقيدة على المجتمع من جهة الرابطة التي تربط بين المؤمنين في مجتمعهم كما يراها سيد، وهي بحق آصرة تجمع بين القوة والتفوق، تصب في إنشاء حضارة إسلامية تشارك فيها الخبرات والتجارب من مختلف قوميات العالم، ولو نظرنا إلى المجتمع الإسلامي الأول لوجدنا كثيراً من علماء الأمة وقادتها من غير العرب، ومن أعظم الخسارة أن يستبدل المسلمون هذه الرابطة بروابط دمرت أوطانهم ومزقت أمتهم.

---

[1] – انظر: قطب، **في ظلال القرآن** ، (1562/3).

[2] – الحديث أخرجه، البخاري، **صحيح البخاري**، باب رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث: 5665، (2238/5).

[3] – قطب، **في ظلال القرآن**، (209/1).

[4] – انظر، المصدر السابق، (1563/3).

المبحث الرابع

حماية المجتمع من الزلل والانحراف

للعقيدة الإسلامية عند سيد قطب أبعاد وآثار كثيرة في المجتمع الإسلامي، وأحد أبعادها المهمة تقوية الوازع الديني الذي تثيره العقيدة الإسلامية في النفس البشرية، وجعله أحد أعمدة تطبيق القانون في السر والعلن، فتنفيذ القانون لا يقوم على صرامة العقوبة وحدها كما هو الحال في الأنظمة الوضعية، إنما جُعلت العقيدة وما يتولد منها من خشية لله ومراقبته وتقواه ضامن لتنفيذ القانون.

فعن خشية الله وتقواه كضامن لتنفيذ القانون، يقول سيد: " التقوى . . حساسية القلب وشعوره بالخوف من الله؛ وتحرجه من غضبه وتطلبه لرضاه. إنه بغير هذا الرباط لا تقوم شريعة، ولا يفلح قانون، ولا يتحرج متحرج، ولا تكفي التنظيمات الخاوية من الروح والحساسية والخوف والطمع في قوة أكبر من قوة الإنسان! وهذا ما يفسر لنا ندرة عدد الجرائم التي أقيمت فيها الحدود على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – وعهد الخلفاء ، ومعظمها كان مصحوبا باعتراف الجاني نفسه طائعا مختارا . . لقد كانت هنالك التقوى . . كانت هي الحارس اليقظ في داخل الضمائر، وفي حنايا القلوب، تكفها عن مواضع الحدود"[1].

وفي موضع آخر يتحدث عن هذا الضامن، يقول: " وهو الشعور الذي ينوط به الإسلام تنفيذ شرائعه، ويجعله الضمان الكامن في ذات الأنفس، فوق الضمانات المكفولة بالتشريع ذاته. فيكون له من ضمانات التنفيذ ما ليس للشرائع الوضعية التي لا تستند إلا للرقابة الخارجية! وما أيسر الاحتيال على الرقابة الخارجية، حين لا يقوم من الضمير حارس له من تقوى الله سلطان"[2].

وفي بيان أهمية الإيمان والتقوى حين يضعف الإنسان أمام نفسه حيناً، فيخالف القانون ويعتدي على حرمة من حرمات الله، يقول: " حتى إذا جمحت السورة البهيمية في حين من الأحيان، وسقط الإنسان سقطة، وكان ذلك حيث لا تراقبه عين ولا تتناوله يد القانون تحول هذا الإيمان نفسا لوامة عنيفة ووخزا لاذعا للضمير وخيالا مروعا، لا يرتاح معه صاحبه حتى يعترف بذنبه أمام القانون،

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (166/1).

[2] – المصدر السابق، (330/1).

ويعرض نفسه للعقوبة الشديدة، ويتحملها مطمئنا مرتاحا، تفاديا من سخط الله، وعقوبة الآخرة. إنها التقوى . . إنها التقوى"[1].

وقد لاحظ سيد خطة القرآن في ربط الأوامر والنواهي بالله وخشيته وتقواه مما يؤكد أن القرآن يعتمد في الأساس على الوازع الداخلي عند المؤمن، يقول سيد: " وهكذا يربط الأمر كله بالله؛ ويشده إلى المحور الأصيل التي تدور عليه العقيدة، وتدور عليه الحياة . . وهذه هي ميزة التشريع الذي يقوم على العقيدة. فضمانة التنفيذ للتشريع لا تجيء أبدا من الخارج، إن لم تنبثق وتتعمق في أغوار الضمير"[2].

ولا شك أن صرامة العقوبة حاضرة في حين يقع التعدي على حدود الله، ولكن سيد ينظر إلى المنهج الرباني في اعتماده الأول على تربية القلوب ووصلها بالله، يقول: "والمنهج الرباني لا يأخذ الناس بالقانون وحده. إنما يرفع سيف القانون ويصلته ليرتدع من لا يردعه إلا السيف. فأما اعتماده الأول فعلى تربية القلب، وتقويم الطبع . وهداية الروح – ذلك إلى جانب إقامة المجتمع الذي تنمو فيه بذرة الخير وتزكو ، وتذبل فيه نبتة الشر وتذوي"[3].

ويتابع سيد أن صلاح المجتمع لا يقوم على القانون وحده، بل لا بد من التقوى ورقابة الضمير في نفس الإنسان، يقول: " فالخوف ينبغي أن يكون من الله . فهذا هو الخوف اللائق بكرامة الإنسان . أما الخوف من السيف والسوط فهو منزلة هابطة . لا تحتاج إليها إلا النفوس الهابطة . . والخوف من الله أولى وأكرم وأزكى . . على أن تقوى الله هي التي تصاحب الضمير في السر والعلن؛ وهي التي تكف عن الشر في الحالات التي لا يراها الناس ، ولا تتناولها يد القانون . وما يمكن أن يقوم القانون وحده – مع ضرورته – بدون التقوى؛ لأن ما يفلت من يد القانون حينئذ أضعاف أضعاف ما تناله . ولا صلاح لنفس ، ولا صلاح لمجتمع يقوم على القانون وحده؛ بلا رقابة غيبية وراءه ، وبلا سلطة إلهية يتقيها الضمير"[4].

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (166/1).

[2] – المصدر السابق، (232/1).

[3] – المصدر السابق، (881/2).

[4] – المصدر السابق، (881/2).

من هذه الحقيقة يبرز سيد قطب فشل الأنظمة الوضعية في منع التفلت والالتواء والتحايل على القانون، كونها تعتمد على الحراسة الخارجية فقط، ففي قصة القرية التي كانت حاضرة البحر وتحايلها على الأمر الرباني في تحريم الصيد يوم السبت، يعلق سيد عموماً على قضية احترام القانون وإنفاذه بدون تحايل، يقول: " إن القانون لا تحرسه نصوصه، ولا يحميه حراسه. إنما تحرسه القلوب التقية التي تستقر تقوى الله فيها وخشيته، فتحرس هي القانون وتحميه. وما من قانون تمكن حمايته أن يحتال الناس عليه! ما من قانون تحرسه القوة المادية والحراسة الظاهرية! ولن تستطيع الدولة – كائنا ما كان الإرهاب فيها – أن تضع على رأس كل فرد حارسا يلاحقه لتنفيذ القانون وصيانته؛ ما لم تكن خشية الله في قلوب الناس ، ومراقبتهم له في السر والعلن. . من أجل ذلك تفشل الأنظمة والأوضاع التي لا تقوم على حراسة القلوب التقية"[1].

ويعلق كذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: { وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا} [النساء : 2]، يقول: " وما تزال أموال اليتامى تؤكل بشتى الطرق، وشتى الحيل، من أكثر الأوصياء، على الرغم من كل الاحتياطات القانونية، ومن رقابة الهيئات الحكومية المخصصة للإشراف على أموال القصر. فهذه المسألة لا تفلح فيها التشريعات القانوينة، ولا الرقابة الظاهرية . . كلا لا يفلح فيها إلا أمر واحد . . التقوى... إن هذه الأرض لا تصلح بالتشريعات والتنظيمات . . ما لم يكن هناك رقابة من التقوى في الضمير لتنفيذ التشريعات والتنظيمات . وهذه التقوى لا تجيش – تجاه التشريعات والتنظيمات – إلا حين تكون صادرة من الجهة المطلعة على السرائر، الرقيبة على الضمائر . . عندئذ يحس الفرد – وهو يهم بانتهاك حرمة القانون – أنه يخون الله، ويعصي أمره ، ويصادم إرادته؛ وأن الله مطلع على نيته هذه وعلى فعله. وعندئذ تتزلزل أقدامه، وترتجف مفاصله، وتجيش تقواه"[2].

وكلمة لسيد تكتب بماء الذهب عند قول الله تعالى: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة : 103]، قال: " فكانت لهم غُنما ينالونه لا غُرما يحملونه . وهذا هو الفارق بين فريضة تؤدى ابتغاء رضوان الله وضريبة تدفع لأن القانون يحتمها ويعاقب عليها الناس!"[3].

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (1384/3).

[2] – المصدر السابق، (577/1).

[3] – المصدر السابق، (1680/3).

إلى جانب خشية الله وتقواه ويقظة ضمير المسلم في تطبيق القانون في المجتمع المسلم، يلفت سيد النظر إلى حقيقة أخرى تساهم في تنفيذ القانون، وهي حقيقة سلطان القانون الإسلامي في نفوس المؤمنين وعقولهم، فالقانون في الإسلام منبثق من العقيدة كما بينا سابقاً، وهو موصول بالله تبارك وتعالى، الجهة الوحيدة المخولة بتشريع القوانين، فمصدر القانون هو الذي يمنحه السلطان، فمحال أن يستهين المؤمن الحق في تنفيذ ما أمر الله، يقول سيد: " فشريعة الله سلطان من الله؛ وكل شريعة غير شريعة الله ما أنزل الله بها من سلطان؛ وما جعل فيها من سطوة على القلوب . لذلك تستهين القلوب بالشرائع والقوانين التي يسنها البشر لأنفسهم، ولا تنفذها إلا تحت عين الرقيب وسيف الجلاد. فأما شريعة الله فالقلوب تخضع لها وتخنع؛ ولها في النفس مهابة وخشية "[1].

وفي ذات الموضوع وفي موضع آخر يقول: " وهي الضمانة الوحيدة التي يؤمن عليها من النقض والالتواء والاحتيال. فحكم الله، هو حكم العليم الحكيم. وهو حكم المطلع على ذوات الصدور. وهو حكم القوي القدير. ويكفي أن يستشعر ضمير المسلم هذه الصلة، ويدرك مصدر الحكم ليستقيم عليه ويرعاه. وهو يوقن أن مرده إلى الله". ويقول أيضاً: " إنه ليست المسألة أن يقال كلام! فالكلام كثير. وقد يكتب فلان من الفلاسفة. أو فلان من الشعراء. أو فلان من المفكرين. أو فلان من السلاطين! قد يكتب كلاما منمقا جميلا يبدو أنه يؤلف منهجا، أو مذهبا، أو فلسفة . . الخ . . ولكن ضمائر الناس تتلقاه، بلا سلطان. لأنه ما أنزل الله به من سلطان! فمصدر الكلمة هو الذي يمنحها السلطان"[2].

وقد نقلنا قوله سابقاً في فشل الأنظمة الوضعية في حمل الناس على احترام القانون وتنفيذه بلا تحايل، ومن جهة سلطان القانون يؤكد سيد على نفس الحقيقة، يقول: " وتفشل النظريات والمذاهب التي يضعها البشر للبشر ولا سلطان فيها من الله . . ومن أجل ذلك تعجز الأجهزة البشرية التي تقيمها الدول لحراسة القوانين وتنفيذها. وتعجز الملاحقة والمراقبة التي تتابع الأمور من سطوحها!"[3].

ويضرب سيد مثلاً في غاية الروعة يبين الفرق بين قبول القانون وتنفيذه بين المجتمع المسلم والمجتمع الأمريكي، فقد تماثل المجتمعان في عادة شرب الخمور، وتغللت هذه العادة وتمكنت من فئات المجتمع، فكيف نجح القرآن ببضع كلمات أن يقطع هذه العادة من المجتمع؟ ولماذا فشلت الحكومة الأمريكية بقوتها في منع تداول الخمور؟، يقول سيد: " أما في أمريكا، فقد حاولت الحكومة الأمريكية مرة القضاء على هذه الظاهرة فسنت قانونا في سنة 1919 سمي (قانون الجفاف)! من باب التهكم

---

[1] – قطب، **في ظلال القرآن**، (800/2).

[2] – المصدر السابق، (666/2).

[3] – المصدر السابق، (1384/3).

عليه، لأنه يمنع الري بالخمر! وقد ظل هذا القانون قائما مدة أربعة عشر عاما، حتى اضطرت الحكومة إلى إلغائه في سنة1933. وكانت قد استخدمت جميع وسائل النشر والإذاعة والسينما والمحاضرات للدعاية ضد الخمر. ويقدرون ما أنفقته الدولة في الدعاية ضد الخمر بما يزيد على ستين مليونا من الدولارات. وأن ما نشرته من الكتب والنشرات يشتمل على عشرة بلايين صفحة . وما تحملته في سبيل تنفيذ قانون التحريم في مدة أربعة عشر عاما لا يقل عن250 مليون جنيه وقد أعدم فيها نفس 300 وسجن كذلك 532335 نفسا وبلغت الغرامات 16 مليون جنيه وصادرت من الأملاك ما يبلغ 400 مليون وأربعة بلايين جنيه وبعد ذلك كله اضطرت إلى التراجع وإلغاء القانون. فأما الإسلام فقضى على هذه الظاهرة العميقة في المجتمع الجاهلي ببضع آيات من القرآن وهذا هو الفرق في علاج النفس البشرية وفي علاج المجتمع الإنساني بين منهج الله ومناهج الجاهلية قديما وحديثا على السواء"[1].

ويعتقد سيد أن نجاح القرآن بقطع هذه العادة يرجع إلى أسباب أهمها تقوى الله وسلطان القانون الإلهي في النفوس، يقول: " لقد تمت المعجزة، لأن المنهج الرباني، أخذ النفس الإنسانية، بطريقته الخاصة.. أخذها بسلطان الله وخشيته ومراقبته، وبحضور الله – سبحانه – فيها حضورا لا تملك الغفلة عنه لحظة من زمان . . أخذها جملة لا تفاريق . . وعالج الفطرة بطريقة خالق الفطرة"[2].

ومن الأسباب عند سيد في نجاح القرآن بقطع هذه العادة، هو وجود الإيمان في حياتهم، الذي ملأ حياة المؤمنين بالاهتمامات الرفيعة، يقول: " وملأ فراغها – وهذا هو الأهم – بالإيمان. بهذا الإحساس الندي الرضي الجميل البهيج. فلم تعد في حاجة إلى نشوة الخمر، تحلق بها في خيالات كاذبة وسمادير! وهي ترف بالإيمان المشع إلى الملأ الأعلى الوضيء . . وتعيش بقرب الله ونوره وجلاله.. وتذوق طعم هذا القرب، فتمج طعم الخمر ونشوتها؛ وترفض خمارها وصداعها؛ وتستقذر لوثتها وخمودها في النهاية!"[3].

ويرى الباحث صدق ما ذهب إليه سيد في أن تنفيذ القانون واحترامه في المجتمع المسلم يقوم على العقيدة وما تمنحه هذه العقيدة من التقوى والخشية لله تعالى، وما تمنحه من سلطان على القلوب، فالوازع الديني الداخلي هو خير ضمان لتنفيذ القانون.

---

[1] – – انظر: قطب، **في ظلال القرآن** ، (663/2).

[2] – المصدر السابق، (666/2). وانظر: المصدر السابق، (667/2).

[3] – المصدر السابق، (667/1).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وبعد:

فهذه أبرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال هذه الرسالة المتواضعة:

أولاً: النتائج:

1. لسيد قطب في تفسيره (الظلال)، جهود كبيرة وقيِّمة جداً في مباحث العقيدة المتنوعة.
2. تطلق العقيدة عند سيد قطب ويراد بها النظرة الكلية عن الكون والإنسان والحياة وعلاقتها بما قبلها–الخالق– وعلاقتها بما بعدها– اليوم الآخر–.
3. يرى سيد قطب أن العقيدة هي التي تحدد سلوك الإنسان في الحياة.
4. ذهب سيد قطب إلى أن العقيدة الإسلامية متمثلةً بالألوهية والربوبية هي قضية القرآن كله، وقضية القرآن المكي بصفة خاصة، وتركيز القرآن المكي على العقيدة دون التطرق إلى النظام طيلة ثلاثة عشر عاماً، تدل على عظم مكانة العقيدة ودورها الرائد في نهضة الإنسان والمجتمع.
5. أبرز سيد قطب أن العقيدة حاجة أساسية في حياة الإنسان كحاجته إلى الطعام والشراب كونها تلبي دافع الفطرة في معرفة سر وجوده ومعرفة غاية خلقه ودوره الذي أنيط به.
6. ركز سيد قطب في (الظلال) على العقيدة وجعلها الأساس الذي ينبثق عنه نظام الحياة ومناهج السلوك وقواعد الأخلاق والآداب في الإسلام قائمة على العقيدة الإسلامية.
7. بيَّن سيد قطب في تفسيره أن المنهج الصحيح لتكوين العقيدة وحملها للناس، هي طريقة القرآن التي تتلخص في مخاطبة العقل والفطرة بدلائل الكون والاحتياج إلى الخالق المدبر. وعلم الكلام والفلسفة والمنطق مناهج خاطئة.
8. تتميز العقيدة الإسلامية حسب تصور سيد قطب بخصائص جعلت منها العقيدة الوحيدة الصحيحة بين العقائد الأخرى، مثل: الربانية، والثبات، وموافقة الفطرة، والشمول والكمال، والسهولة واليسر، والإيجابية، وكونها عقيدة ينبثق عنها نظام.
9. حرص سيد قطب في (الظلال) على بيان آثار العقيدة الإسلامية آثار إيجابية على الفرد، ويمكن تلخيصها بعدة أمور: التصور الصحيح عن الوجود ودور الإنسان فيه، والشعور

بالكرامة الممنوحة من الخالق، وتحرير الإنسان من كل أنواع العبودية، والطمأنينة الدائمة والرضى والقوة التي ترافق الإنسان في قطع مشوار الحياة.

10. وحرص سيد قطب كذلك على بيان الدور العظيم للعقيدة الإسلامية في صياغة المجتمع المسلم، ويرى سيد قطب أن المجتمع المسلم يقوم على العقيدة، وجميع أنظمة حياته وموازينه وقيمه منبثقة عن العقيدة.
11. العقيدة عند سيد قطب هي التي تحدد شخصية الأمه الإسلامية، وتحدد دورها واهتماماتها في الوجود.

ثانياً: التوصيات:

1. توجيه الباحثين في العقيدة الإسلامية إلى اعتبار تفسير سيد قطب (في ظلال القرآن) مصدراً مهماً وأساسياً في العقيدة.
2. توجيه الدارسين وحملة العقيدة الإسلامية إلى البعد عن مناهج الفلسفة وعلم المنطق وتبني طريق القرآن فقط.
3. أدعو كل حامل دعوة إلى جعل العقيدة الإسلامية ومباحثها المتعلقة بتغيير الفرد والمجتمع هي جوهر دعوته.
4. أوصي عموم المسلمين بقراءة (في ظلال القرآن)، فهو بلا شك تفسير يحمل رسالة هدى للناس، ويبتعد عن مسائل الترف الفكري وعن المسائل غير العملية في حياة المسلم.

فهرس الآيات

الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً	البقرة: 80	26
وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ	البقرة: 163	57
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ	البقرة: 170	33
كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ	البقرة: 213	46
لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ	البقرة: 256	93،98
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ	آل عمران: 16	100
شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ	آل عمران: 18	63
إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ	آل عمران: 59	57،60
لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا	آل عمران: 181	26
فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ	النساء: 65	68
لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ	النساء: 165	39
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ	النساء: 171	27،57
الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ	المائدة: 3	50
وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ	المائدة: 18	26
لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا	المائدة: 48	45
أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ	المائدة: 50	25
وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ	المائدة: 64	26،60
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ	المائدة: 72	27
ولكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ	المائدة: 89	17
وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ	المائدة: 116	28
{قُلْ لِمَنْ ما فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	الأنعام: 12	60
وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ	الأنعام: 38	77
وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	الأنعام: 152	67
وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا	الأعراف: 28	28
وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ	التوبة: 3	26،27
اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ	التوبة: 31	27،28

فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ	يونس: 94	33
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ	الحجر: 9	44
إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ	النحل: 40	50
وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ	النحل: 58-59	23
وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا	الإسراء: 15	40
وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ	الإسراء: 31	23
{لَاتَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ	الإسراء: 36	30
أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا	الإسراء: 40	29
ولا يشرك في حكمه ..	الكهف: 26	126
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ	الأنبياء: 25	46
إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً	الأنبياء: 92	47
فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ	الأنبياء: 94	68
وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا	الفرقان: 2	50
كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ}	الشعراء: 105	46
وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ	العنكبوت: 61	28
سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ	لقمان: 20	64،75
وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ	لقمان: 25	28
إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ	الصافات: 69-70	33
وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا	الصافات: 158	29
وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاء	الزمر: 30	29
وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ	الزمر: 38	28
أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ	الزخرف: 16	29
اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ	الجاثية: 12-13	64
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ	الحجرات: 10	131
أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى	النجم: 19-21	29،30
إن يتبعون إلا الظن	النجم: 23	30،32
ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون	الواقعة: 62	55
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا	الإنسان: 23	42
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ	الزلزلة: 7-8	69

فهرس الأحاديث

الرقم	الحديث	الصفحة
1	هذا جبل يحبنا ونحبه".	76
2	"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".	131

المصادر والمراجع

1. الأثري، عبد الله بن عبد الحميد، **الوجيز في عقيدة السلف الصالح**، مراجعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط: 1، (1422هـ).
2. الأشقر، د.عمر سليمان عبد الله، (ت: 2012م)، **العقيدة في الله**، دار النفائس للنشر والتوزيع– الأردن، دون ذكر السنة والطبعة.
3. الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، (ت: 756 هـ)، **المواقف**، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت، ط: 1، (1997م).
4. البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، (ت: 256هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وأيامه**،تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط:3، 1407هـ.
5. البنا، حسن أحمد عبد الرحمن، (ت: 1949م)، **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**، المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر–بيروت، بدون ذكر الطبعة والسنة.
6. البوطي، محمد سعيد رمضان، (ت: 1434 هـ)، **كبرى اليقينيات الكونية**، دار الفكر المعاصر– بيروت، ط: 8، (1982م).
7. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (ت: 728هـ)، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: أنور الباز – عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، ط: 3، (1426 هـ).
8. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (ت: 728هـ)، **منهاج السنة النبوية**، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، ط:1، بدون السنة.
9. حسين، عبد الباقي محمد: **سيد قطب: حياته وأدبه**، الناشر: دار الوفاء–المنصورة، ط:1، 1406هـ–1988.
10. حموده، عادل، **سيد قطب من القرية إلى المشنقة**، الناشر: سناء للنشر، 1987م.
11. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب**، الناشر: دار المنارة–جدة، ط:1، 1985م.

12. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، الناشر: دار القلم–دمشق والدار الشامية–بيروت، ط:2، 1414هـ–1994م.
13. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **مدخل إلى ظلال القرآن**، الناشر: دار عمار–عمان، ط:2، 1421هـ–2000م.
14. دراز، محمد عبد الله، (ت: 1958م)، **الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)**، دار القلم–الكويت، بدون ذكر السنة والطبعة.
15. رضا، محمد رشيد بن علي، (ت: 1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون ذكر الطبعة، 1990 م.
16. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرازق الملقب بمرتضى (ت: 1205 هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار هداية، بدون ذكر السنة والطبعة.
17. الزرقاني، محمد عبد العظيم، (ت: 1948م)، **مناهل العرفان غي علوم القرآن**، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث –القاهرة، بدون ذكر الطبعة (1422هـ).
18. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، (ت: 794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط: 1، (1376 هـ –1957 م).
19. سابق، السيد، (ت: 1420 هـ)، **العقائد الإسلامية**، دار الكتاب العربي– بيروت، بدون ذكر السنة والطبعة.
20. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني، (ت: 1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان،1415 هـ–1995 م.
21. الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، (ت: 310 هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط:1، 1420 هـ – 2000 م.

22. ابن عبد البر، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد، (ت: 463هـ)، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، المحقق: مصطفى بن أحمد العلوى و محمد عبد الكبير البكرى، مؤسسة القرطبه، بدون ذكر السنة والطبعة.
23. د.عتر، نور الدين، **منهج النقد في علوم الحديث**، دار الفكر دمشق–سورية، ط: 3، (1418هـ).
24. العظم، يوسف، (ت: 2007م)، **رائد الفكر الإسلامي المعاصر الشهيد سيد قطب**، الناشر: دار القلم–بيروت، ط:1، 1400هـ–1980م.
25. العقاد، عباس محمود، (ت: 1964م)، **الله**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون ذكر السنة والطبعة،.
26. عودة، عبد القادر، (ت: 1954م)، **التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي**، الناشر: دار الكتاب العربي–بيروت، بدون ذكر الطبعة والسنة.
27. الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد، (ت: 505هـ)، **الجام العوام عن علم الكلام**، المكتبة الأزهرية للتراث–مصر، بدون ذكر الطبعة، (1988م).
28. الغزالي، أبو حامد، محمد الطوسي، (ت: 505هـ)، **تهافت الفلاسفة**، تحقيق: د. سليمان دنيا، الناشر: دار المعارف–مصر، ط:4، بدون السنة.
29. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت: 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر –بيروت –، ط: (1399هـ – 1979م).
30. الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، (ت: 606هـ)، **التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)**، اعداد: مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي، دار احياء التراث العربي–بيروت، ط: 2، (1417هـ).
31. القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر، (ت: 671 هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، بدون ذكر الطبعة، 1423 هـ/ 2003 م.
32. قطب، سيد، (ت: 1966م)، **التصوير الفني في القرآن**، الناشر: دار الشروق–القاهرة، ط:6، 1423هـ–2002م.

33.قطب، سيد، (ت: 1966م)، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، دار الشروق– لبنان، ط: 3، (1978م).

34.قطب، سيد، **السلام العالمي والإسلام**، دار الشروق– القاهرة ط:13، 1422هـ–2001م.

35.قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، الناشر: دار الشروق – القاهرة، ط: 30، 1422هـ - 2001م.

36.قطب، سيد، (ت: 1966)، **مشاهد القيامة في القرآن**، الناشر: دار الشروق–القاهرة، ط:6، 1423هـ–2002م.

37.قطب، **معالم في الطريق**، الناشر: دار الشروق، ط:6، 1339هـ - 1979م.

38.ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، (ت: 751هـ)، **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، تحقيق : د. محمد جميل غازي، الناشر : مطبعة المدني – القاهرة، بدون ذكر السنة والطبعة.

39.ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، (ت: 774هـ)، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط: 1، 1408 هـ–1988م.

40.ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت: 774 هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2، 1420هـ - 1999 م.

41.المراغي، أحمد مصطفى، (ت: 1952م)، **تفسير المراغي**، دار النشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، بدون ذكر السنة والطبعة.

42.المودودي، أبو الأعلى السيد أحمد حسن، **تدوين الدستور الإسلامي**، الناشر: مؤسسة الرسالة، 1400هـ.

43.مسلم، مسلم بن حجاج القيشري النيسابوري، (ت: 261هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم**–، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العربية، بدون ذكر الطبعة والسنة.

44.ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (ت: 711هـ)، **لسان العرب**، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار احياء التراث العربي– بيروت، ط: 1، (1416 هـ).

45. الندوي، أبو الحسن، (ت: 1420هـ)، **التفسير السياسي للإسلام**، الناشر: دار القلم–الكويت، ط:3، 1981م.

46. الندوي، أبو الحسن، (ت: 1420هـ)، **مذكرات سائح في الشرق العربي**، الناشر: مؤسسة الرسالة– بيروت، ط:2، 1395هـ–1975م.

47. الهضيبي، حسن، (ت: 1973م)، **دعاة لا قضاة**، الناشر: دار السلام–بيروت، ط:2، 1978م.

An-Najah National University

Facility of Graduated Studies

Charactarastics of Islamic creed and its impacts through Al-Thilal interpretation book of Sayyid Qutb

By

Firas Fareed Abu-Baker

Supervisor

Dr. Odeh Abdullah

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usol Al-Din), Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2017

Charactarastics of Islamic creed and its impacts through Al-Thilal interpretation book of Sayyid Qutb

By

Firas Fareed Abu-Baker

Supervisor

Dr. Odeh Abdullah

Abstract

This thesis evidently highlights the main characteristics of the Islamic creed and its impacts on the society, in general, and the individual, in specific through the book of interpretation " Al-Thilal" by Sayyid Qutb. Additionally, this thesis, which consists of five chapters, underlines the special efforts of Qutb in clarifying the main features of the Islamic creed.

To begin with, the first chapter summarizes the biography of Sayyid Qutb, his name, childhood, family, siblings, education starting from his village up to his graduation from Dar Al-Oloum College in Cairo, work in the Egyptian Ministry of Education, public, Islamic and political life, and concluding with his martyrdom and his scientific contributions represented by his literary and Islamic books.

In the second chapter, the researcher deeply illustrates the linguistic and connotational definition of the Islamic creed as set in " Al-Thilal ". The researcher paid more attention to the importance of the Islamic creed as depicted by Sayyid Qutb and came up with the basic rules to understand the Islamic creed.

The third chapter was mainly dedicated to clarify the characteristics of the Islamic creed as interpreted in " In the shades of the Quran" which are: The

oneness of God, stability, rationality, innate, comprehensiveness and perfection, easiness and simplicity, positivity, its superiority over the other creeds and its system.

Additionally, the fourth chapter asserted the impact of the creed on the believer, from the point of view of Sayyid Qutb, and the researcher did his best to describe the accuracy of the creation of this universe, mankind and life as the first impact of the creed in addition to the other impacts like obedience, submission, psychological relaxation, the dignity of the human and its freedom, the power of the belief for any individual and the impact of belief on upgrading the human's interests.

In the fifth chapter, this thesis highlighted the impact of the creed on the Muslim community. Specifically speaking, this study addressed Qutb's point of view that the Muslim community is the output of its commitment to the Islamic creed and consequently all the criteria, values, ideas and systems which govern the society are just one impact from impacts of the creed. In addition, in this chapter the researcher also focused on the governance as suggested by Sayyid Qutb. Moreover, this chapter was concluded with a nature of the creed and its impact on the unity of the Muslim community and the impact of the creed on protecting the society from aberration and atheism.